العُمْدَةُ فِي شَرْحِ البُرْدَةْ وَلَقَبُهُ تَفْرِيجُ الشِّدَّةْ

بِتَقْرِيبِ مَعَانِي البُرْدَةْ

للشيخ العلامة
محمد بن أحمد عاموه

دار بي حنيفة

Scanned by CamScanner

العُمْدَةُ
فِي شَرْحِ البُرْدَةِ
وَالقَبْرُ

تَفْرِيجُ الشِّدَّةِ

بِتَقْرِيبِ
مَعَانِي البُرْدَةِ

Scanned by CamScanner

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار أبي حنيفة
للنشر والتوزيع
اليمن - الحديدة
يطلب من
السيد عمار / ٧٣٤٥٩٧٨٩٦
لؤي الحنفي / ٧٧٧ ٠٢٤٣ ٢٠

e-mail: daroabihanifah@gmail.com

Scanned by CamScanner

العمدة
في شرح البردة
والقبر
تفريج الشدة
بتقريب
معاني البردة

للشيخ العلامة
محمد بن أحمد عاموه
حفظه الله تعالى

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولي من تولاه والهادي لمن استهداه والمجيب لمن دعاه والصلاة والسلام علىٰ أسعد مخلوقات الله سيدنا ومولانا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد فهذا شرح لطيف علىٰ بردة المديح للإمام البوصيري رحمه الله تعالىٰ كتبته رجاء الانتساب إلىٰ خدّام الجناب المحمدي ولتكون لي عدة أذخرها ليوم الشدة فأفوز بشفاعة من هو في الشفاعة العمدة كيف لا وقد أعطاه الله المقام المحمود وجعله صاحب الشفاعة العظمىٰ في اليوم الموعود وقد استقيت هذا الشرح من كتب متعددة علىٰ رأسها:

١- الذخر والعدة في شرح البردة للعلامة محمد علي بن علان الصديقي المكي المتوفىٰ ١٠٥٧هـ.
٢- شرح البردة لابن مقلاش.
٣- شرح البردة للعلامة خالد الأزهري.
٤- حاشية البيجوري علىٰ البردة.
٥- البلسم المريح من شفاء القلب الجريح وهو مختصر لشرح الطاهر بن عاشور علىٰ البردة أختصره العلامة عمر عبد الله كامل.
٦- نحت حديد الباطل وبرده في أدلة الحق الذابة عن صاحب البردة للعلامة داود بن سليمان النقشبندي المتوفىٰ سنة ١٢٩٩هـ.

ولما تم الشرح سميته «العمدة في شرح البردة» ولقبته بـ «تفريج الشدة بتقريب معاني البردة» والله أسأل وبنبيه أتوسل أن يجعل هذا الشرح سبباً لإنجاح المودة وسبباً لتفريج كل كربة وشدة وأن يضع له القبول وينفع به كما نفع بأصوله وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

Scanned by CamScanner

مقدمة

مشتملة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة الناظم.

المبحث الثاني: الكلام على البردة وسندي إليها.

المبحث الثالث: في أدلة مشروعية المديح النبوي ومشروعية استماعه وحضور مجالسه.

Scanned by CamScanner

المبحث الأول

ترجمة الناظم رحمه الله تعالى

اسمه ونسبه:

هو الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حياني بن صنهاج بن ملال الصنهاجي.

كان أحد أبويه من بوصير والآخر من دلاص فركب له نسبة منهما وقال الدلاصيري ولكن اشتهر بالبوصيري.

قال الصفدي رحمه الله: وكانت له أشياء مثل هذا يركبها من لفظتين مثل قوله في كساء له كساط فقيل له لماذا سميته بذلك؟ قال: لأني تارة أجلس عليه فهو بساط وتارة أرتدي به فهو كساء.

وأهل العلم تسمي مثل هذا منحوتاً كقولهم عبشمي نسبة إلى عبد شمس أ.هـ.

أصله ومولده:

أصله من المغرب من قلعة حماد ينتمي إلى بني حبنون بحاء مهملة وباء موحدة ونونين بينهما واو على وزن زيدون من قبيلة صنهاجه وقد أشار هو إلى أصله فقال:

فقل لنا مَن ذا الأديب الذي زاد به حبي ووساوسي

إن كان مثلي مغربياً فما في صحبة الأجناس من باس

قال الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان: ولد ببهشيم من أعمال البهنساويه يوم الثلاثاء مستهل شوال سنة ثمان وستمائة ونشأ بدلاص وأنشدني لنفسه:

Scanned by CamScanner

إذا خان من أهوىٰ طوىٰ سبب الهوىٰ وغطت يد التقبيح عني جماله
وصار كمثل الميت يأسىٰ لفقده فؤادي ويأبىٰ قربه ووصاله

أشياخه:

تتلمذ الإمام البوصيري للإمام أبي الحسن الشاذلي وأخذ عن أبي العباس المرسي الذي خلف أبا الحسن الشاذلي في طريقته ﷺ أجمعين.

ثناء العلماء عليه:

١- قال العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله فيه: الشيخ الإمام العارف الهمام الكامل المتفنن المحقق البليغ الأديب المدقق إمام الشعراء وأشعر العلماء وبليغ الفصحاء وأفصح البلغاء الحكماء ا.هـ من المنح المكية شرح الهمزية.

٢- قال العلامة عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن مقلاش في شرحه المتوسط للبردة: ينبغي أن نعرّف أولاً باسم ناظمها هو الشيخ الفاضل العالم العامل الورع الزاهد الكامل الناظم الناثر الذاكر الشاكر نساق أعلاق جواهر الأفكار وجالي عيون معاني الأشعار شرف الدين أبو عبد الله محمد.... إلخ.

٣- قال العلامة إبراهيم الباجوري في شرح البردة: الإمام الكامل والهمام العالم البليغ الأديب أشعر العلماء وأفصح الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري.

٤- قال الشيخ خالد الأزهري رحمه الله في شرح البردة: الشيخ الإمام شرف الدين محمد البوصيري.

٥- قال العلامة محمد علي علان المكي الشافعي في شرح البردة: العارف بالله العالم العامل المخبت الأواه شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري.

Scanned by CamScanner

٦- قال الشيخ داود بن سليمان النقشبندي: كان من عجائب الدهر في النظم والنثر ولو لم تكن إلا قصيدته المشهورة بالبردة التي ازدادت شهرتها إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد لكفاه شرفاً وتقدماً.

٧- قال الأديب أحمد شوقي:

المادحون وأرباب الهوىٰ تبع لصاحب البردة الفيحاء في القدم
الله يشهد أني لا أعارضه من ذا يعارض صوب العارض العرم
وإنما أنا بعض الغابطين ومن يغبط وليك لا يُذمم ولا يُلَمِ
مديحه فيك حب خالص وهوىٰ وصادق الحب يملي صادق الكلم

الآخذون عنه:

من أشهر الآخذين عنه والراوين عنه:

١- الإمام أبو حيان محمد بن يوسف بن علي يوسف الغرناطي ولد سنة ٦٥٤هـ له اليد الطولىٰ في التفسير والحديث وتراجم الناس من أشهر مؤلفاته البحر المحيط توفي سنة ٧٤٥هـ. نقلاً عن الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر.

٢- الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الشافعي ولد سنة ٦٧١هـ قال القطب الحلبي: إمام محدث حافظ أديب من أشهر مؤلفاته عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير توفي سنة ٧٣٤هـ١.هـ الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر.

٣- قاضي المسلمين محقق عصره عز الدين بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي ولد سنة ٦٩٤هـ نص الحافظ ابن حجر

Scanned by CamScanner

رحمه الله في الدرر الكامنة أن الإمام البوصيري أجازه انظر الدرر الكامنة ج٢ص٣٧٩.

شعره:

قال العلامة صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي في الوافي بالوفيات ج٣ ص١٠٧ وشعره في غاية الحسن واللطافة عذب الألفاظ منسجم التركيب كان الشيخ فتح الدين يقول: هو أحسن من شعر الجزار والوراق وقال ـ يعني الإمام البوصيري فيمن اسمه عمر على عينه بياض:

سمّوه غمراً فصحفن اسمه عُمرا فبين الدهر منا موضع الغلط

فأصبحت عينه غيناً بنقطتها وطالما أرتفع التصحيف بالنقط

وقال من قصيدة أولها:

أهوىً والمشيب قد حال دونه والتصابي بعد المشيب رعونةٌ

أبت النفس أن تطيع وقالت إن حبي لا يدخل القِنِّينَةْ

كيف أعصي الهوىٰ وطينة قلبي بالهوىٰ قبل آدم معجونةٌ

وساق أبياتاً ثم قال منها:

سيدي لا تخف عليَّ خروجاً في عروض ففطنتي موزونه

كل بحر إن شئت فيه اختبرني لا تكذب فإنني يقطينه

وساق له بعض القصائد والأشعار ومنها قوله:

وإني اختبرت الناس في حالتي غنىً وفقرٍ فما احمدت من أحد خَبرا

وقد هذب التجريب كل مغفَلٍ فما أبقت الأيام من أحدٍ غِرا

Scanned by CamScanner

ثم ذكر أن للبوصيري في مديح النبي ﷺ قصائد طنانة منها قصيدة مهموزة أولها:

ليس ترقا رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

وقصيدة على وزن بانت سعاد أولها:

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسئول

منها في ذكر كفار قريش:

وأصبحت أيمات محصناتهم وإيماتهم وهي المثاكيل
لا تمسك الدمع من حزن عيونهم إلا كما تمسك الماء الغرابيل

وقصيدته المشهورة بالبردة التي أولها:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

أقول: سيأتي الكلام على هذه المنظومة العظيمة المسماة بالبردة.

قال الصفدي رحمه الله: روى عن البوصيري الشيخ أثير الدين فحينئذ لي رواية جميع شعره عن أثير الدين عنه.

وقال الشيخ أثير الدين: كان البوصيري شيخاً مختصر الجرم وكان فيه كرم رحمه الله.

وفاته:

قال الصفدي: وأظن وفاته كانت في سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وست مائة أو ما حولهما رحمه الله رحمة الأبرار آمين.

Scanned by CamScanner

المبحث الثاني
الكلام على البردة وسندي إليها

قصيدة البردة

ناظمها:

هو الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري رحمه الله وقد تقدمت ترجمته.

سبب نظمه لهذه القصيدة:

قال العلامة ابن مِقلاش في شرحه على البردة ج١ ص٥ ما نصه: وأما سبب نظم هذه القصيدة فما حدثنا به الشيخ أبو علي الحسن بن حسن بن باديس القسمطيني عن أبيه أبي القاسم بن باديس عن الفقيه الحافظ أبي محمد عبد الوهاب عن ناظمها قال: كان سبب نظمي هذه القصيدة أني أصابني فالج ـ الفالج: ريح يصيب الإنسان فيفسد به نصف جسده ـ عجز عن معاناته كل معالج أبطل نصفي وأعيى وصفي ففكرت أن أعمل قصيدة أمدح بها النبي ﷺ وأتوسل بها في برئي إلى ربي فنظمتها ولما فرغت من نظمها نمت ليلة فرأيت النبي ﷺ في النوم فانكببت على الطاهرتين قدميه وتصاغرت بين يديه وتشكيت بما بي من الألم فدنا إليَّ ﷺ ومسح بيديه المباركتين علىٰ جسدي فاستيقظت وقد عوفيت والحمد لله فخرجت في أول النهار فلقيني أحد الفقراء فسلّم عليَّ وطلب مني القصيدة وما كنت أخبرت بها أحداً فقلت له أي قصيدة فقد مدحته ﷺ بقصائد شتىٰ؟ فقال التي أولها أمن تذكر جيران بذي سلم. والله لقد ذكرت بين يديه ﷺ البارحة فكان يتمايل كما يتمايل القضيب قال فناولته القصيدة فذكر ما جرىٰ له من شأنها حتىٰ بلغ خبرها الصاحب وزير الملك الظاهر فاستنسخها في ديوانه واعتنىٰ بها ونذر أن لا يسمعها إلا مكشوف الرأس واقفا حافي القدمين ثم إن ولده كان به رمد ولم يجد لعينيه

Scanned by CamScanner

منه شفاء فلما كان ليلة قيل له تداوَ بالقصيدة المسماة بالبردة فإنها عند أبيك فلما أصبح سألها من أبيه قال أبوه ما أعلم عندي بردة وإنما عند القصيدة المباركة التي نظم الشيخ البوصيري فناوله إياها فكان يمرُ بها على عينيه فكشف الله ما بهما من الألم.

اشتقاق اسمها:

قال ابن مقلاش رحمه الله في شرحه على البردة ج١ ص٦: أما اشتقاق اسمها فقيل كان أصل تسميتها بُرِّءَ داءٍ فصحفه العامة حتى صار يقال لها البُردة وقيل من البرد وهو برد الحديد بالمبرد وذلك أن هذه القصيدة لما شفى الله تعالى ببركتها هؤلاء القوم سميت بردة فهي فعلة بمعنى فاعلة أي باردة للألم وقيل إنما سميت بردة استعارة من البردة التي هي الشملة العجيبة ـ كساء دون القطيفة يشتمل به ـ ولما كانت زينة للابسها وكانت هذه زينة لناظمها سميت بردة ا.هـ.

وفي بعض المجاميع أنها سميت بردة لأن النبي ﷺ كسى البوصيري عندما أنشدها بين يدي رسول الله ﷺ في المنام بردة والله أعلم.

أسماؤها:

تسمى هذه المنظومة المباركة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية وتسمى أم القرى في مدح خير الورى. وتسمى البردة وهذا أشهر أسماءها.

بحرها:

بحر هذه القصيدة هو البسيط وأصل تفاعيله:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

قال ابن مقلاش رحمه الله في شرحه على البردة ج١ ص٧ وإنما اختار المؤلف البسيط لهذه القصيدة لأنه أشرف بحور الشعر. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

بركتها:

هذا باب واسع والقصص فيه كثيرة والنقول فيه شهيرة ويكفي في بركتها أن العلماء مازالوا يوصون تلامذتهم بتلاوتها جاء في شرح الأنطاكي على البردة أن بعض الشيوخ كان يوصي تلامذته بتلاوتها ويقول إنها من أعظم الوسائل إلى الله وإنه فاز بها من الرجال من فاز وأن تلاوتها تؤمن الخائف وتزيل الهموم وتفرج الكروب وأن المكان الذي تتلى فيه تنزل الرحمة والبركة. ا.هـ.

قال العلامة داود بن سليمان النقشبندي رحمه الله المولود سنة ١٢٣١هـ المتوفى ١٢٩٩هـ في بردة المديح هي مرهم مجرب لكل جريح ا.هـ.

أقول كيف لا؟ وهي مشتملة على مديح الوسيلة العظمى والملاذ الأحمى ﷺ ولا شك أن المستمسك بجناب الرسول الرفيع يفوز بمطلوبه ويسعفه الله عز وجل ببركة النبي الكريم ﷺ بمرغوبه.

رواتها:

يصعب جداً حصر رواتها ولكني اكتفي هنا بالإشارة إلى ذكر أربعة عشرة من رواتها الأعلام

أولاً: رواتها عن المصنف:

١- الإمام المفسر لكتاب الله عز وجل النحوي الضليع الشيخ محمد بن يوسف الغرناطي المشهور بأبي حيان.

٢- الإمام الحافظ المحدث محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري.

٣- الإمام الفقيه سلطان العلماء العز بن عبد السلام.

٤- الإمام المحدث محمد بن جابر الوادآشي.

Scanned by CamScanner

ثانياً: طائفة من رواتها من العلماء والمحدثين:

١- الإمام الحافظ زين الدين العراقي.
٢- الإمام المحدث الفقيه عمر بن علي المعروف بابن الملقن.
٣- الإمام المجتهد عمر بن رسلان البلقيني.
٤- أمير المؤمنين في الحديث الحافظ الإمام المحدث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني شارح البخاري.
٥- شيخ الإسلام الإمام المحدث الفقيه الأصولي زكريا الأنصاري.
٦- الإمام المحدث جلال الدين السيوطي.
٧- الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد الرشيدي المكي المعروف بأبي العباس.
٨- الإمام الحافظ اللغوي الكبير المجد الفيروز أبادي صاحب القاموس.
٩- الإمام الحافظ المتقن أبو العباس أحمد بن محمد الأزدي الشهير بالقصار.
١٠- الإمام الشُمَّني الحنفي رحمهم الله أجمعين.

ذكر جماعة ممن سمعها أو حفظها:

١- الإمام إبراهيم بن علي القلقشندي حفظها كما في الضوء اللامع.
٢- الإمام إبراهيم بن علي بن ظهيرة سمعها على أحمد بن إبراهيم الرشيدي كما في الضوء اللامع.
٣- الإمام أحمد بن محمد بن محمد الجخندي سمعها على العز بن جماعة كما في الضوء اللامع.
٤- الإمام عبد الرحمن بن أحمد بن فهد حفظها والهمزية.
٥- الإمام أحمد بن خليل كيكلدى سمعها على يوسف المشهري كما في المعجم المؤسس.
٦- الحافظ ابن حجر العسقلاني سمعها على محمد بن محمد الغماري كما

Scanned by CamScanner

في المعجم المؤسس.
٧- الإمام مجد الدين الفيروزأبادي سمعها على العز بن جماعة كما في العقد الثمين.
٨- العالمة الشيخة بيرم أحمد الديروطيه كانت تحفظها مع العمدة والأربعين كما في الضوء اللامع.
٩- ست الأهل بنت محمد بن فهد سمعت البردة على أحمد المرشدي كما في الضوء اللامع وهذا غيض من فيض ونقطة من بحر.

فائدة جليلة:

ظهر من ترجمة الناظم أن عصره متقدم على عصر شيخ الإسلام ابن تيمية ومن بعده من أتباعه وكانت هذه القصيدة مشهورة شهرة عظيمة في تلك القرون العديدة بدليل كثرة رواتها ومن حفظها ومن سمعها ولم ينقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية ومن بعده من أصحابه أي إنكار على البردة أو شيء فيها ولا يعقل مع شهرتها أن لا تكون بلغتهم خاصة وقد تناقلها الرواة الحفاظ وتداولها العلماء الأعلام نساء ورجالا ولو كان فيها أدنى شيء يخالف الشريعة لنبهوا عليه نصيحة لله ورسوله والمؤمنين كما هي عادتهم وما ظهر الإنكار والتكفير والتضليل إلا في الآونة الأخيرة ممن قصرت أفهامهم وضعفت لغتهم في هذا الزمان كما قال القائل:

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كُلاها وحتى سامها كُل مُفلسِ

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبي وكفى ونعم الوكيل.

Scanned by CamScanner

شراحها:

شرح هذه المنظومة المباركة جماعة من أكابر العلماء منهم:

١- شرحها الشيخ ابن مرزوق التلمساني المالكي الإمام المحقق المحدث بشرحين كبير وصغير.

٢- شرحها الإمام العلامة أبو البقاء الحنفي شرحاً سماه العدّة في كل شدة.

٣- شرحها العلامة المدقق الإمام جلال الدين المحلي المفسر للقرآن وشارح المنهاج في فقه الشافعية وشارح جمع الجوامع في أصول الفقه.

٤- شرحها الإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

٥- شرحها الإمام الحافظ المحدث شهاب الدين القسطلاني شارح البخاري واستعملها في كتابه الممتع المفيد المواهب اللدنية وممن استعملها في السيرة الإمام الحلبي استشهد بها وبالهمزية.

٦- شرحها العلامة الإمام المحقق الرباني سعد الدين التفتازاني إمام أهل السنة.

٧- شرحها العلامة الإمام النحوي الشيخ خالد الأزهري صاحب الأزهرية وشرح القواعد والتصريح.

٨- شرحها العلامة المحقق شيخ زاده الرومي الحنفي صاحب حاشية البيضاوي في عدة مجلدات.

٩- شرحها السيد الغُبريني المقرئ ذكره الشهاب الخفاجي في ريحانته.

١٠- شرحها علامة الروم الخادمي الحنفي.

١١- شرحها العلامة عبد السلام المراكشي المالكي.

١٢- شرحها العلامة المحقق عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن مقلاش المغربي شرحين كبير ومتوسط.

١٣- شرحها الإمام العلامة المحدث محمد علي بن علان الصديقي

Scanned by CamScanner

وسماه الذخر والعدة في شرح البردة.

١٤- شرحها الإمام العلامة الفقيه البيجوري صاحب الحاشية النفيسة علىٰ أبي القاسم في فقه الشافعية وغيرها من الكتب التي سارت في الأفاق.

١٥- شرحها الإمام المفسر الكبير المحقق الأصولي الطاهر بن عاشور المغربي.

ولا يحصىٰ عدد من خمسها وقد سبعها كثير منهم الإمام البيضاوي المفسر رحمه الله وعمل الشعراء علىٰ نهجها قصائد كثيرة من أجملها نهج البردة لأحمد شوقي أمير الشعراء وهذا غيض من فيض وقليل من كثير.

وقد منَّ الله عز وجل عليَّ بخدمة الجناب المحمدي بهذا الشرح المختصر والله أرجو أن يرزقني بركتها بجاه سيدنا محمد وآل سيدنا محمد ﷺ آمين اللهم آمين.

سندي إليها:

أروي البردة بحمد الله وفضله من طرق متعددة أقتصر هنا علىٰ طريق شيخنا العلامة السيد محمد علوي المالكي المتوفىٰ سنة ١٤٢٥هـ رحمه الله عن الحبيب العلامة علي بن حسين العطاس عن المسند المعمر عمر عثمان العمودي عن العلامة عمر العطار عن المعمر بدر الدين خوج عن العلامة المسند عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسىٰ البصري عن الشمس محمد بن علاء الدين البابلي عن العلامة سليمان بن عبد الدائم البابلي والعلامة عبد الرزاق المناوي والعلامة سالم بن محمد السنهوري ثلاثتهم عن النجم محمد بن أحمد الغيطي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن العلامة أبي إسحاق الصالحي عن الصلاح أبي عبد الله محمد بن محمد الحسن الشاذلي عن أبي الحسن علي بن جابر الهاشمي عن ناظمها شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد البوصيري رحمه الله رحمة الأبرار.

Scanned by CamScanner

فائدة:

اختار العلماء تكرار هذا البيت:

مولاي صل وسلم دائماً أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم

لأن الناظم رحمه الله لما أنشأ هذه القصيدة رأى النبي ﷺ في المنام فأنشدها بين يديه فطرب لها وأعجبته فلما انتهى إلى قوله فمبلغ العلم فيه أنه بشر وقف ولم يستطع تكميل البيت فقال له عليه الصلاة والسلام اقرأ وأكمل فقال إني لم أوفق للمصراع يا رسول الله فقال له الرسول ﷺ قل وأنه خير خلق الله كلهم فأدرج البوصيري هذا المصراع الذي قاله النبي ﷺ في البيت المتقدم وجعله صلاة مكررة بعد كل بيت حرصاً على لفظ النبي عليه الصلاة والسلام واستحسن بعض الأشياخ أن يردد أحد البيتين المذكورين لاشتمالها على ذكر آل البيت مع النبي ﷺ وهي:

مولاي صل وسلم دائمًا أبدا على النبي وآل البيت كلهم

مولاي صل وسلم دائمًا أبدا على الحبيب وأهل البيت كلهم

Scanned by CamScanner

المبحث الثالث
أدلة مشروعية المديح النبوي
ومشروعية استماعه وحضور مجالسه

المدائح النبوية:

اعلم يرحمني ويرحمك الله عز وجل أن مدح الأمة للنبي ﷺ دليل على محبتها له هذه المحبة التي تعّد أصلاً من أصول الإيمان قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال ﷺ (فو الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده) أخرجه البخاري في صحيحه.

ومعلوم أن محبة النبي ﷺ مظهر محبة الله عز وجل فمن أحب ملكاً أحب رسوله وسيدنا محمد رسول الله حبيب رب العالمين هو الذي أنقذنا الله عز وجل به من النار وهدانا به من الضلال هو دليلنا إلى الجنة جاءنا بالخير كله وأرشدنا إلى الصراط المستقيم وتحمل المتاعب والأذى من أجل إسلامنا وهو وسيلتنا إلى نيل رضا الله عز وجل وهو الشفيع يوم القيامة.

والمديح النبوي عرفه العلماء بقولهم: هو الشعر الذي ينصب على مدح النبي ﷺ بتعداد صفاته الخلقية والخُلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره المكرم والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة رسول الله ﷺ مع ذكر معجزاته الشريفة ﷺ المادية والمعنوية ونظم سيرته شعراً والتغني الجميل المشروع بذلك الشعر والإشادة بغزواته وجهاده وصفاته العظيمة.

Scanned by CamScanner

فالمديح النبوي هو شعر صادق لا رياء فيه ولا سمعة يرجىٰ به التقرب إلىٰ الله وهو وسيلة دعوية تغذي روح المحبة تجاه رسول الله ﷺ وتحمل الناس علىٰ معرفته ومعرفة سيرته ومكانته والاقتداء به ومتابعته.

ومهما قال المادحون لن يوفوه حقه ﷺ.

قال الإمام البيجوري رحمه الله في شرح البردة: إن كمالاته ﷺ لا تُحصىٰ وشمائله لا تستقصىٰ فالمادحون لجنابه العلي والواصفون لكماله الجلي مقصرون عمّا هنالك قاصرون عن أداء ذلك كيف وقد وصفه الله في كتبه بما يبهر العقول ولا يُستطاع إليه الوصول فلو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن ضبط ما حباه مولاه من مواهبه ا.هـ.

ولله در من قال:

أرىٰ كل مدح في النبي مقصرا ولو صيغ فيه كل عقد مجوهرا
وهل يقدر المدّاح قدر محمد وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنىٰ بالذي هو أهله علىٰ من يراه للمحامد مظهرا
وخصصه في رفعة الذكر مثنياً عليه فما مقدار ما تمدح الورىٰ

فلو اجتمع البلغاء علىٰ مدح محمد ﷺ ما وفوه حقه ويكفيه ﷺ ثناء ربه عليه ومدح ربه له قال تعالىٰ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والمديح النبوي ليس أمراً محدثًا كما يصوره بعض الناس بل هو أمر مشروع أقره النبي ﷺ فكلنا يقرأ في كتب الحديث والسيرة وصف أم معبد أخلاق النبي ﷺ وخلقه لزوجها بقولها: (مر بنا رجل ظاهر الوضاءة مليح الوجه...) إلخ كلامها المشهور في كتب الحديث والسير.

ونقرأ في الصحيح مدح السيدة خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ بقولها: «لا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتكسب

Scanned by CamScanner

المعدوم وتحمل الكل وتقري الضيف».

ونقرأ في كتب الحديث والسير والتاريخ شعر حسان بن ثابت ﷺ الذي قال له رسول الله ﷺ (اهجهم وروح القدس معك) يعني جبريل عليه السلام.

ونقرأ شعر كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير ﷺ وبردته التي أنشدها بين يدي رسول الله ﷺ معروفة مطلعها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وفيها يقول:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وهذا العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ يقول لرسول الله ﷺ يا رسول الله إني أريد أن أمدحك فقال له النبي ﷺ (هات لا يفضض الله فاك) أخرجه الطبراني في الكبير فأنشأ العباس شعراً منه قوله:

وأنت لما ولدت أشرقت الأ رض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في الضياء وفي النور سبل الرشاد نخترق

فأي دليل على مشروعية المدح أظهر من هذا ولابن سيد الناس رحمه الله كتاب جمع فيه أسماء الصحابة الذين مدحوا رسول الله ﷺ سماه منح المدح وهو مطبوع متداول.

واستمر الشعراء والمدّاحون على هذه الطريقة المرضية إلى يومنا هذا ولا يستطيع أحد حصر هؤلاء الشعراء والمداحين لرسول الله ﷺ لكثرتهم وكان يسمعهم أهل الحديث وأهل الفقه وغيرهم من أساطين العلم وحفاظ الشريعة وينقلون هذه الأشعار ويتقربون إلى الله عز وجل

Scanned by CamScanner

بهذا المديح بلا نكير بينهم وينشدونه في المسجد اقتداء برسول الله ﷺ الذي سمع من كعب بن زهير قصيدته في مدحه ﷺ في المسجد والعلماء على هذا بلا نكير.

حتى ظهرت فئة من الناس تصف هذا بالبدعة وتنكر على المادحين وتنبزهم بأسوء الألقاب محتجين بقوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري عن رسول الله ﷺ قال (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله) ونحن نقول لهم الحديث صحيح لا شك في ذلك ولكن فهمكم له يحتاج إلى تصحيح ولو رجعتم إلى شرّاح الحديث لعرفتم معناه الصحيح.

فالإطراء المدح بالباطل تقول أطريت فلاناً مدحته فأفرطت في مدحه كما أطرت النصارى ابن مريم حيث جعلوه إلها جعلوه وأمه ألهين مع الله فالله عندهم ثالث ثلاثة.

فالنبي ﷺ نهى أمته عن المدح بالباطل فقط ولم ينههم عن المدح مطلقاً فالإطراء الذي نهى عنه النبي ﷺ هو الغلو في مدحه بحيث يمدح بما هو من خصائص الربوبية كأن يرفع إلى مقام الإلهية أو يعطى بعض صفات الله عز وجل وخصائصه كما قالت امرأة في زمنه وهي تمدحه وحديثها في صحيح البخاري أيضاً وفينا نبي يعلم ما في غد فقال النبي ﷺ (لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين) فنجد هذا الميزان الصحيح من رسول الله ﷺ نهاها عن تلك الكلمة وفينا نبي يعلم ما في غد لأن علم الغيب من خصائص وصفات الله وقد أمر الله نبيه أن يقول ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالنبي ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله قال تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

Scanned by CamScanner

وأمرها النبي ﷺ أن تعود إلى مدحها وقولي ما كنت تقولين ولم يمنعها من المدح هذا هو الفهم الصحيح لهذا الحديث ولله در الإمام البوصيري قائد رابطة المادحين وأستاذ الشعراء المتخصصين في مدح سيد المرسلين هكذا حلاه شيخنا السيد محمد علوي المالكي رحمه الله يبين لنا في بردته العظيمة المباركة عقيدته الصحيحة في النبي ﷺ التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة أجمعين:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

قال شيخنا السيد محمد علوي المالكي رحمه الله شارحاً لكلام البوصيري: أنه يقول امدح وبالغ مهما شئت فيه لكن احذر أن يصل بك الحال في محمد ﷺ إلى ما وصل الحال بالنصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام حينما قالوا أنه ابن الله أو ثالث ثلاثة ويقول البوصيري أيضاً مكملاً اعتقاده في المصطفى ﷺ:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

إنه يقول إننا مهما مدحناه وقلنا في حقه ما قلنا فإن غاية ذلك ونهايته لا يخرجه عن كونه بشراً مثلنا ليس بملك ولا إله وأن الخصائص والمزايا التي يتصف بها ﷺ والتي يتميز بها عن سائر الناس لتأكيد فضيلته وتحقيق نبوته لا تخرجه عن حقيقته البشرية التي لا يختلف في إثباتها أحد من المسلمين ويقول البوصيري أيضاً متبرئاً من عقيدة النصارى في سيدنا محمد ﷺ:

يا حبيبا وشفيعا مطاعا حسبنا أن إليك الإيابا
لم نقل فيك مقال النصارى إذ ضلوا في المسيح الصوابا
إنما أنت نذير مبين أنزل الله عليك الكتابا

Scanned by CamScanner

ا.هـ كلام شيخنا السيد محمد علوي المالكي قاله في رسالته النافعة الماتعة التي ينبغي لطلاب العلم قراءتها ودراستها المسماة بالمدح النبوي بين الغلو والإنصاف جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء في الدنيا والآخرة ورحمه الله رحمة الأبرار وألحقنا به صالحين آمين آمين آمين.

واعلم أن الإمام البوصيري في بردته هذه التي مدح بها النبي ﷺ والتي هي درة ديوان شعر المديح في الإسلام وهي أشهر قصيدة عربية بين العامة والخاصة وهي أفضل قصيدة مدح بعد لامية كعب صاحب البردة الأم اعلم أن البوصيري في بردته هذه مستلهم لمعاني السيرة النبوية من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ وكتب السيرة النبوية العطرة لم يخرج عن ذلك قيد أنملة فجزاه الله خيراً.

والخلاصة أن مدح رسول الله ﷺ وإنشاده في المسجد والمجامع العامة وحضور الناس فيه واستماعهم له من أعظم القربات وأفضل الطاعات مادام مراعياً للضوابط الشرعية والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله منشي الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم[2]

١- أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

شرح البيت رقم ١:

لما أراد الناظم براعة المطلع جرد من نفسه شخصاً مزج دمعه بدمه فسأله عن علة ذلك فقال مخاطباً له (أمن) الهمزة للاستفهام ومن بكسر الميم حرف تعليل وجر (تذكر جيران) بكسر الجيم جمع جار بمعنىٰ مجاور من الجوار وهو القرب في المنزل (بذي سلم) موضع بين مكة والمدينة (مزجت) بفتح التاء خلطت (دمعاً) الدمع ما يقطر من العين (جرىٰ) سال (من مقلة) المقلة شحمة العين التي هي السواد والبياض.

والمعنىٰ: ما سبب مزج الدمع الجاري من المقلة بالدم هل هو تذكر الجيران المقيمين بذي سلم الغائبين عن عينك المقيمين في فؤادك.

---

(١) الابتداء بالبسملة من الأمور المسنونة التي درج عليها السلف الصالح اتباعاً لهدي رسول الله ﷺ الذي تواتر عنه تواتراً معنوياً افتتاحه الكتب والرسائل بالبسملة.

(٢) اشتهر ابتداء هذه القصيدة بهذا البيت المشتمل علىٰ الثناء علىٰ الله والصلاة علىٰ النبي ﷺ وهذا البيت ليس من هذه القصيدة وهو وإن كان ثناءً حسناً في ذاته إلا أن ابتداء القصائد به غير مستحسن عند الأدباء لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق من ذكر الأحبة وديارهم ومقاساة الأحزان والأشواق وتحمل مكاره الفراق ويسمون ذلك غزلاً وتشبيباً ويعدون هذا الصنيع من حسن المطلع لاهتمامهم بشأن العشق واغتنامهم شدائده ولذلك قال بعضهم: الشعر لا يبدأ بالبسملة والحمدلة.

Scanned by CamScanner

٢- أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم

شرح البيت رقم ٢:

(أم) هو هبوب (الريح) وهيجانها محركة للوجدان لكونها (من تلقاء كاظمة) موضع الحبيب فالمحب دائماً يفكر في محاسن محبوبه فإذا هبت الريح من جهة موضعه تخيل أنها حملت روائحه إليه بل كلما تعلق القلب وتحقق الأمر انكشفت الحجب وصحت الأنوف وتأمل قول أنس بن النضر ﷺ يوم أحد (واهاً إني لأجد ريح الجنة من قبل أحد). أم هو إيماض البرق أي لمعانه (في الظلماء) أي في الليلة المظلمة (من إضم) بكسر الهمزة مكان الحبيب فعادة المحبين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأحبة لكون البرق مما يذكر صفات المحبوبين للطافته وأيضاً المحب يتخيل عند لمعان البرق أنه يرىٰ ديار المحبوب.

٣- فما لعينيك إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم

شرح البيت رقم ٣:

لما سأل الناظم عما ذكر ولم يرد عليه المسئول جوابا لأن من شأن المحبين أن يكتموا الحب في أول الأمر بل جرت عادتهم بإنكاره بالمرة نزَّل الناظم المسئول منزلة المنكر وتعجب من حاله علىٰ فرض صدقه في الإنكار فقال (فما لعينيك ... إلخ) أي إذا صدقت في إنكارك الحب فأي شيء حصل لعينيك أوجب لهما أنك (إن قلت أكففا همتا) أي أمسكا عن البكاء سالتا وأي شيء ثبت (لقلبك) أوجب له أنك (إن قلت) له (استفق) استيقظ من غمرة العشق وأفق (يهم) هام فيه فالفاء في قوله فما للإفصاح وسيلان الدمع وهيام القلب من آثار الحب.

Scanned by CamScanner

٤- أيحسب الصب أن الحب منكتم ما بين منسجم منه ومضطرم

شرح البيت رقم ٤:

لما سأل المصنف المخاطب السؤال المسكت وألزمه الإلزام المبهت رجع إلى تغليطه في الإنكار فقال له ملتفتا من الخطاب إلى الغيبة (أيحسب الصب ... إلخ) الهمزة للاستفهام الإنكاري و(يحسب) يظن و(الصب) العاشق مأخوذ من الصبابة وهي رقة العشق وحرارته و(الحب) صفاء الحال بين المحب والمحبوب و (منكتم) مستتر و(المنسجم) السائل و(المظطرم) المشتعل، ومعنى البيت: أيظن العاشق انكتام المحبة عن الناس وهو ما بين دمع هاطل وقلب ملتهب.

٥- لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل ولا أرقت لذكر البان والعلم

شرح البيت رقم ٥:

لما غلط الناظم المسئول في إنكاره الحب استدل عليه بأدلة ملتفتا من الغيبة إلى الخطاب فقال (لولا الهوى ... إلخ) والهوى بالقصر إفراط الحب و(ترق) تصب. والدمع: ما يسيل من العين ويكون باردا للسرور وساخنا للحزن. والطلل: ما بقي من آثار الديار مرتفعا فإن لم يكن مرتفعا بأن كان ملتصقاً بالأرض كان رسما. و(أرقت) سهرت. و(البان) شجر طيب الريح ويتخذ منه دهن يعرف بدهن البان. (والعلم) اسم جبل والمراد بهما هنا موضعان بالحجاز.

ومعنى البيت: لولا محبتك وهواك لما بكيت على أثار ديار الأحباب وما ذهب نومك بذكر أشجار البوادي وجبال المنازل.

Scanned by CamScanner

٦- ولا أعارتك لوني عبرة وضنا ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم

شرح البيت رقم ٦:

لما ذكر الناظم رحمه الله دليلين أردفهما بدليل ثالث علىٰ ما في بعض النسخ وهو ساقط في أكثرها ومعنىٰ (أعارتك) أعطتك علىٰ سبيل العارية. وقوله (لوني عبرة وضنا) معمول لأعارتك وفاعله ذكرىٰ إلخ والمراد باللونين هنا النوعان وفي بعض النسخ ثوبي بدل لوني والعبرة بفتح العين: الدموع. والضنا: المرض. فانسجام الدموع علىٰ النحر بمثابة الدر المعلق عليه وذلك لون العبرة ورقة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لون الضنا وقوله (ذكرىٰ الخيام وذكر ساكني الخيم) أي تذكر الخيام وتذكر ساكني الخيم فالذكرىٰ فيهما بمعنىٰ التذكر وكل من الخيام والخيم جمع خيمة وهي بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر.

٧- فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم

شرح البيت رقم ٧:

لما أقام الناظم علىٰ المسئول الأدلة علىٰ حبه مع صحة نتيجتها أنكر عليه دوامه بعد ذلك علىٰ الإنكار فقال فكيف تنكر... إلخ فالفاء للإفصاح لإفصاحها عن شرط محذوف والتقدير إذا قامت عليك الأدلة (فكيف تنكر) ومعنىٰ تنكر: تجحد. والجحد: هو النفي بعد العلم. و(شهدت) بمعنىٰ أخبرت والـ (عدول) جمع عدل وفي وصفهم بالعدالة إشارة إلىٰ أنه لا يمكن المخاطب رد شهادتهم.

والمراد بـ(الدمع) الدموع وبـ(السقم) إطالة المرض. والمعنىٰ: كيف تجحد حباً بعد ما شهد به عليك عدول من الدموع الهاطلة والأسقام المتنوعة.

Scanned by CamScanner

٨- وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى مثل البهار على خديك والعنم

شرح البيت رقم ٨:

أي وكيف تنكر المحبة بعد ما (أثبت الوجد) وهو الحزن بسبب الحب وقيل نيران أشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب و(خطي) تثنية خط.

والعبرة: البكاء. أي خطين من الدموع (وضنا) عطف على خطي عبرة ولكن على تقدير مضاف أي وأثر ضنا.

والضنا: الضعف والهزال. والبهار ـ بفتح الباء الموحدة ـ: ورد أصفر.

وأثر الضنا صفرة الوجه فأثر الضنا في (مثل البهار) في الصفرة (والعنم) بفتح العين والنون: شجر له أغصان حمر وقيل ورد أحمر. والخطان من العبرة أحمران لامتزاج الدمع بالدم فالخطان من العبرة مثل العنم في الحمرة.

٩- نعم سرى طيف من أهوى فأرقني والحب يعترض اللذات بالألم

شرح البيت رقم ٩:

لما اتضح حال المسؤول مما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيل إلى الإنكار أقر واعترف بذلك حيث قال نعم ... إلخ و(نعم) حرف إيجاب لما سبق فكأنه قال: صدقت أيها السائل فيما نسبتني إليه من الحب وأن سبب مزج الدمع الجاري من المقلة بالدم تذكر المحبوبين كما هو الشق الأول من السؤال السابق. فقال له السائل: وما سبب تذكرك لهم؟ فقال: (سرى طيف من أهوى) والمعنى سار إليَّ ليلاً طيف من أهوى أي خيال من أحب وسبب ذلك الخيال أن النفس إذا ولعت بشيء حصلت صورته في القوة المخيلة فترى خياله في المنام كثيراً. قوله (فأرقني) أي أسهرني لأنه لما تذكر الحب ثارت عليه الحرارة وانتفت عنه الرطوبة

Scanned by CamScanner

فارتفع عنه النوم (والحب يعترض اللذات بالألم) نعم شأن الحب يحول بين المحب ولذاته بالألم من جهة ما ينشأ عنه من عدم الوصل من المحبوب.

فائدة:

قال البيجوري رحمه الله تعالىٰ فائدة هذا البيت أن من كرره بعد صلاة العشاء حتىٰ يغلب عليه النوم فإنه يرىٰ المصطفىٰ ﷺ في منامه إن شاء الله تعالىٰ.

١٠- يا لائمي في الهوى العذري معذرة مني إليك ولو أنصفت لم تلم

شرح البيت رقم ١٠:

لما أقر المسئول بالحب لامه السائل فيه فرجع المسئول علىٰ السائل يوبخه في لومه عليه فقال: يا لائمي...إلخ الياء حرف نداء (لائمي) منادىٰ مضاف إلىٰ ياء المتكلم منصوب بفتحة مقدرة علىٰ الميم واللائم: العاذل.

قوله (في الهوىٰ العذري) أي الهوىٰ المنسوب إلىٰ بني عذرة قبيلة مشهورة باليمن اشتهرت رجالهم بوفور العشق ونساؤهم بفرط العفاف يؤدي بهم العشق إلىٰ الموت لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم والمقصود من النسبة التشبيه فالمراد أن هواه مشبه لهوىٰ بني عذرة. قوله (معذرة) مصدر عذرته إذا صفحت عنه ومحوت إساءته. والمعذرة أيضا: ما يدفع به الإنسان عن نفسه مما عيب عليه فعله. قوله (ولو أنصفت) أي عدلت (لم تلم) لأن الحب ليس اختياريا حتىٰ يلام عليه بل هو قهري ولا يلام إلا علىٰ الأمر الاختياري كما قال القائل:

وعيب الفتىٰ فيما أتىٰ باختياره ولا عيب فيما كان خلقا مركبا

Scanned by CamScanner

لكن كون الحب ليس اختيارياً بل قهري بعد تحكمه وإلا فمبدؤه اختياري أو لأن اللوم على الهوى لا يكون إلا ممن ذاقه والمخاطب لم يذقه.

ولذلك قال بعض الصوفية: لا ينبغي للشخص أن يتكلم على حال إلا إذا ذاقها. وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض بقوله:

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى وإذا عشقت فبعد ذلك عنف

وهذا الوجه أحسن من سابقه.

١١- عدتك حالي لا سري بمستتر عن الوشاة ولا دائي بمنحسم

شرح البيت رقم ١١:

لما أبدى المحب لمعترضه المعذرة في الهوى ووبخه في اللوم عليه فلم يرجع المعترض عن اللوم استعطفه المحب بالدعاء له فقال: (عدتك حالي) أي جاوزتك حالي كما يقول الشخص لغيره لا أراك الله حالي.

ويحتمل أن يكون قصد بها التعريض كما يقال للعاذل: اعذر لئلا يصيبك ما أصابني ومن كلام الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى حين رآه أخوه يُقلب عروض الشعر ويصنفها ضل عقل أخي فقال له الخليل:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنت أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى وعلمت أنك جاهل فعذرتك

وقوله (لا سري بمستتر عن الوشاة) كلام مستأنف استئنافاً بيانياً لأنه واقع في جواب سؤال مقدر فكأن اللائم قال له وما حالك التي استعظمتها؟ فأجابه الصب قائلا: خذ علمها (لا سري) أي أمري الخفي (بمستتر) أي منكتم (عن الوشاة) الذين هم أعدائي والواشي: الكذاب الذي يبلغ الحديث ويزينه للإفساد بين المحب والمحبوب (ولا دائي) أي مرضي في الحب (بمنحسم) أي بمنقطع فيرجى زواله.

Scanned by CamScanner

١٢- محضتنى النصح لكن لست أسمعه إن المحب عن العذّال في صمم

شرح البيت رقم ١٢:

لما لم يفد الاستعطاف مع المعترض اللائم فلم يرجع عن اللوم اعترف له المحب بأنه أخلص له في النصح من باب التسليم الجدلي ليستريح منه فقال (محضتني النصح) أي أخلصت لي النصح بزعمك. ويفهم من قوله: محضتني النصح أنه سمعه (لكن) بمقتضىٰ اللغة فحسب أما علىٰ طريقة أهل الحب والهوىٰ (لست أسمعه) فيكون قوله (لكن لست أسمعه) علىٰ جهة المبالغة حتىٰ إنه أنزل المسموع منزلة ما لم يسمع فلا يعمل بمقتضاه وطرح العمل بمقتضاه كدأب من لم يسمع شيئا البتة.

ولما استشعر المحب توجه سؤال عتابي من اللائم إذ يقول له: لم لا تسمعه أبك صمم خِلقة أم ماذا؟ قال المحب: (إن المحب عن العذال) أي عن نصحهم والعذال: جمع عاذل وهو اللائم (في صمم) فلا يسمع عذلهم وفي الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود (حبك الشيء يُعمي ويُصم).

١٣- إني اتهمت نصيح الشيب في عَذَلي والشيب أبعد في نصح عن التهم

شرح البيت رقم ١٣:

يقول المحب لعاذله أي لائمه أمسك عليك نصحك (فإني اتهمت) أي نسبت إلىٰ التهمة والكذب في الكلام (نصيح) أي نصيحة فهو من الترخيم للضرورة (الشيب) وهو البياض الذي يعلو الشعر وهو نذير الموت كما قيل في تفسير قوله تعالىٰ في سورة فاطر ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ أنه الشيب.

Scanned by CamScanner

أني اتهمت نصيحة الشيب (في عذلي) أي في عذله إياي وكأن الشيب يقول للمحب أترك ما أنت عليه من الهوىٰ فقد دنىٰ أجلك واشتغل بما يقربك من مولاك عز وجل.

والحالة في (الشيب) هذه أنها (أبعد) شيء عن التهمة فلا شك في صدق نصحها إذ ليس بعد بياض الزرع إلا حصاده ومع كون (الشيب أبعد في نصح عن التهم) إلا أني قد عصيته لأمر مركب في جبلتي ولكون نفسي غلبتني حتىٰ عصيته فكيف تطمع أيها اللائم أن يعمل نصحك في من عصىٰ نصح الشيب الذي لا يتهم.

١٤- فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم

شرح البيت رقم ١٤:

هذا تعليل للبيت قبله فكأنه قال إنما اتهمت نصيح الشيب في العذل ولم أقبل نصحه لأن (أمارتي) أي نفسي الأمارة (بالسوء ما اتعظت) أي ما قبلت الوعظ (من) أجل (جهلها بنذير) إما بمعنىٰ الإنذار فيكون مصدراً أو بمعنىٰ المنذر فيكون اسم فاعل وقد جهلت هذه النفس الأمارة بالسوء نذير (الشيب والهرم) والهرم: هو عبارة عن اتصاف ذات الشيء بأدلة الضعف وسقوط القوىٰ مع رقة الأعضاء وانتقاض لحم صحته وتكاميش جلوده وضعف بصره إلىٰ غير ذلك من أدلته، وفي البيت معنىٰ الاعتراف بالذنب وفية إظهار الندم علىٰ الذي اقترف والندم توبة.

فائدة:

النفس الأمارة: هي التي تأمر بالمخالفة فلا يلوح لها طمع إلا فعلته ولا برزت لها شهوة إلا قضتها.

والنفس اللوامة: هي التي ترجع باللوم علىٰ صاحبها كثيراً عند الوقوع في المعصية لسابقة القضاء.

Scanned by CamScanner

والنفس المطمئنة: هي التي اطمأنت للإيمان وللتصديق بوعد الله فهي دائما موفقة للطاعة مصدقة بلقاء الله تعالىٰ جعلنا الله من أهلها آمين.

١٥- ولا أعدت من الفعل الجميل قرى ضيف ألم برأسي غير محتشم

شرح البيت رقم ١٥:

(ولا أعدت) أي نفسه الأمارة بالسوء. والإعداد: التهيئة. (من الفعل الجميل) أي من الأعمال الصالحة (قرىٰ) الضيف بكسر القاف إكرامه لأنه شبه الشيب بالضيف في طروّه علىٰ الشخص بعد أن لم يكن (ألمّ) بتشديد الميم بمعنىٰ نزل (برأسي) أي في رأسي (غير محتشم) أي غير مستحي فالشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت.

١٦- لو كنت أعلم أني ما أوقره كتمت سراً بدا لي منه بالكتم

شرح البيت رقم ١٦:

(لو كنت أعلم) أعرف أو أتيقن قبل نزول الشيب (أني ما أوقره) أي أعظمه بعد نزوله أي بترك فعل القبيح استحياء منه كما نويت قبل (كتمت) أخفيت (سراً بدا) ظهر (لي منه بالكتم) خضباً أو بغيره مما يخضب به. والكتم ـ محركة ـ: نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيُقّني لونه. وعبر عما بدا من الشيب أولاً بالسر لأنه قبل ظهوره خفي ثم هذا السر المذكور هنا غير المذكور في قوله: لا سري بمستتر لأن ذاك هو الشاهد بهواه من دمعه وأرقه وجواه وهذا هو الشيب.

Scanned by CamScanner

١٧- من لي برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم

شرح البيت رقم ١٧:

هذا على تقدير سؤال كأن قائلاً قال له: ما منعك أن توقر الشيب والنفس نفسك وتوقير الشيب داخل تحت مقدورك إذ لا يلزم من وقوع توقير الشيب منك محال؟

فأجاب قائلاً: النفس مع الروح والجسد كمطية جموحة وإن جعل في يدي زمام الكسب غلبني جماح النفس المجبول على حب الشهوات (فمن لي) كفيل يتكفل لي (برد) ذلك الـ(جماح) المتولد عن غواية هذه المطية والمراد برده صرفه النفس (من غوايتها) أي ضلالتها (كما يرد جماح الخيل باللجم) أي رداً مثل رد جماح الخيل باللجم في القوة والعنف حيث لم ينفع واعظ الشيب.

وفي هذا البيت إشارة إلى أن السلوك لا يتم إلا بشيخ عارف لأن النفس ربما تستحسن أمراً فيكون الهلاك فيه فالشيخ العارف كالطبيب الماهر.

١٨- فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم

شرح البيت رقم ١٨:

(فلا ترم) أي لا تطلب ولا ترجُ ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصي دفع شهوتها لأنه إذا ألفت المعاصي قويت شهوتها والدليل على ذلك (أن الطعام يقوي شهوة النهم) أي أن الطعام يزيد في شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذي هو شديد الشهوة إلى الطعام فتمكينه منه يزيد في شهوته إليه وكذلك تمكينها من المعاصي تزيد في شهوتها إليها فإذا لم ينفع للعلاج تمكينها من عصيانها فالواجب قلعها منها جملة واحدة كرد اللجام الجموح والمعصية الإتيان بالمنهيات و«أل» في المعاصي للاستغراق

Scanned by CamScanner

١٩- والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

شرح البيت رقم ١٩:

لما ذكر أن النفس طالما مُكنت من شهواتها ورغباتها ازدادت بها محبة وفيها رغبة ولا يدركها ملل ولا عن الجنوح إليها كسل ودلل على ذلك بالجائع النهم معدته مفتوحة أبداً لما يلقي فيها من الطعام وقوتها الجاذبة لا تزال وإن امتلأت ـ والعياذ بالله من نفس لا تشبع ـ أتى بدليل آخر يؤكد به هذا المعنى وهو أن (النفس) الأمارة بالسوء وهي عند الصوفية ـ رضي الله عنهم ـ: ما كانت متصفة برذائل الأخلاق وقبائح الأحوال تشبه (الطفل) الرضيع (إن تهمله) تتركه (شب) وكبر وحرص (على حب الرضاع) لإلفه له (وإن تفطمه) تفصله عنه (ينفطم) لم يصر طالبا له بوجه وقد كان قبل يبكي فلا يسكت إلا بالرضاع فلما فُطِمَ يئس منه فكذا النفس إنما تنفطم عن مألوفها برادع قوي ووازع إلهي.

سئل بعض العارفين عن الإسلام فقال: ذبح النفس بسيف المجاهدة ويروى المخالفة.

٢٠- فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يُصم أو يَصِم

شرح البيت رقم ٢٠:

إذا عرفت وعلمت أن استرسال النفس في المعاصي لا يكسر شهواتها (فاصرف هواها) قبل تمكن سلطانه فالفاء فاء الفصيحة وإنما لم يقل فاصرف النفس عن هواها كما هو مقتضى الظاهر لأنه نظر لكونها تابعة لهواها لا تخالفه أبداً فلا يمكن صرفها عن هواها وإنما الممكن صرف هواها بمعنى عدم إتباعه فهي لا تخلو عن هوىً أبداً لكن الشخص لا يتبعه (وحاذر أن توليه) أي واحذر أن تعطي هواها الولاية والإمارة عليك لأنه داع إلى الضلالة غير صالح للإمارة (إن الهوى ما تولى) ما فيه شرطية مصدرية ظرفية أي مدة توليه (يُصم) بضم الياء من

Scanned by CamScanner

الإصماء أي القتل (أو يَصم) بفتح الياء وكسر الصاد أي يجعله ذا عيب من وَصَمَهُ وَصْماً إذا عابه.

فالمعنىٰ: أن الهوىٰ إن ولاه الشخص علىٰ نفسه يقتله أو يعبه.

فائدة:

قال العلامة المحدث الناقد عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالىٰ خطرتُ علىٰ مالك رحمه الله أول الليل وهو يصلي فقرأ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

ويخور في البكاء وتخنقه العبرة فما زالت تلك حاله حتىٰ طلع الفجر عليه.

٢١- وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

شرح البيت رقم ٢١:

(وراعها) أي لاحظ النفس (وهي في الأعمال) الصالحة (سائمة) أي راعية ولما كان للنفس حظ في بعض العبادات كان ربما يلحقها الرياء ويُمدح الإنسان من أجل فعلها فهو يهواها لذلك وهذا القصد قد يخفىٰ علىٰ صاحبها نبه علىٰ ذلك بقوله (وإن هي استحلت المرعىٰ) أي وجدته حلوا فانهمكت أو همَّت بالعكوف عليه (فلا تسم) بضم التاء وكسر السين فلا تخرجها لذلك المرعىٰ حتىٰ تتفقد دسائسها لأن النفوس البشرية إلا من رحم الله لا تهوىٰ الطاعة من حيث ذاتها بل لغرض فيها كرياء وحب محمدة وشهرة وما شابه ذلك فتنقلب الطاعة معصية بل قد تكون أعظم مفسدة من المعصية كما يشير لذلك قول صاحب الحكم رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً.

Scanned by CamScanner

٢٢- كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السمّ في الدَّسَم

شرح البيت رقم ٢٢:

هذا البيت استشهاد على مضمون البيت الذي قبله (كم) خبرية معناها عدد كثير وهي هنا منصوبة على الظرفية العامل فيها (حسنت) أي كثيراً ما زينت (لذة) مفعول لحسنت (للمرء) رجلا كان أو امرأة (قاتلة) صفة للذة واللذة: عبارة عما يستعذبه المرء ويلائم طبعه وقد تكون حسية كالتي تقع وتتكرر من المأكولات والمشروبات وسائر الملذوذات التي تدرك لذاتها بالحواس وقد تكون معنوية وهي التي تنال لذاتها بالسماع وقد بين الناظم وجه كون اللذة قاتلة بقوله (من حيث لم يدر أن السم في الدسم) أي من جهة كونه لم يعلم أن السم مدسوس في الدسم الذي هو الدهن وخص السم بالذكر لأنه قاتل وخص الدسم بالذكر لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحته والمراد بالسم هنا حظ النفس والمراد بالدسم هنا الطاعة.

فائدة:

ذكر البيجوري رحمه الله: أن من واظب على قراءة هذه الأبيات الثلاثة (٢٠-٢١-٢٢) خلف كل صلاة مكتوبة عشرين مرة استقام أمره على الكتاب والسنة وجعله الله تعالى آمنا من الأهواء والبدع.

٢٣- واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم

شرح البيت رقم ٢٣:

خف ما ينشأ عن الشبع من الدسائس وما ينشأ عن الجوع من الدسائس.

أما دسائس الشبع فكثيرة إجمالها: أنه يحرك الشهوة الداعية إلى كسب الدنيا والميل (وحب الدنيا رأس كل خطيئة) كما في الحديث الذي رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن. وتفصيلها: أنه يورث الكسل

Scanned by CamScanner

والبلادة ويعمي القلب ويعين على المعاصي قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت نفوسهم إلى الدنيا).

وأما دسائس الجوع: الحِدة وسوء الخلق وفساد القلب والألم المشوش للفكر وضعف البدن.

والكلام هنا في الجوع والشبع المفرطين لأن الذم متوجه إليهما أما المعتدل الذي بين الإفراط والتفريط فممدوح كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

ويشير إليه قوله ﷺ (حسب بن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس) أخرجه أحمد والترمذي.

ولما كان الجوع في بادئ الرأي لا دسائس فيه لأن العرب والحكماء تمدح بقلة الأكل وتذم بكثرته فلا وجه للتحذير من مكايد الجوع دفع الناظم هذا الوهم بقوله (فرب مخمصة شر من التخم) فكأنه يقول لا تستبعد ذلك إذ رب مجاعة مفرطة شر من كثرة الأكل باعتبار الآفات المترتبة عليها فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط لضعف البدن عنها وتحصل مع كثرة الشبع وإنما كان فيها كسل ولا شك أن ترك العبادة بالمرة شر من الكسل فيها هذا على أن المراد بالجوع والشبع حقيقتهما ولكن بعض الشراح يرى أن الجوع والشبع هنا ليسا على حقيقتهما بل على التمثيل في طلب توسط الأمر من كل مطلب إذ خير الأمور أوسطها فيكون قوله هذا تحذيراً من الإفراط في طرفي الترك والتغالي فحذر من قطع ملذوذات النفس رأساً ومشتهياتها ومن تمكينها من كل ما تمنت بل ينبغي للإنسان أن لا ينسى نصيبه من الدنيا ولا يكون من المسرفين بحيث لا يخل بالترك ولا يطغى بالتمكين والله تعالى يقول: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

Scanned by CamScanner

فإنَّ قطعها رأساً يؤدىٰ إلىٰ اضمحلال رسمها وفساد ما يطلب منها من أمور الطاعات وتمكينها من كل المشتهيات يخرجها عن سبيل الاستقامة إذ تتوغل إذ ذاك في عشق المشتهيات ولا تركن بعد التوغل إلىٰ قطع ما عُوِّدت ومثل بالجوع والشبع لأنه مما يدركه السامع.

وبالجملة فإن مقصود البيت: عدم الإفراط فإن النفس كالمطية تفتقر إلىٰ رياضة ولا يجحف في رياضتها بل يطلبها بالطاعة والكف عن المعاصي ويحملها جُهدها ولا يقطع عنها مرافق النفوس جملة بل يمتعها ببعض ملذوذاتها المباحة فإنَّ توالي القهر علىٰ النفس يورثها التدابر والجماح.

وقد قال بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أما أنا فلا أنام وقال الآخر أما أنا فلا آتي النساء وقال الآخر أما أنا فلا آكل اللحم فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال (أما أنا فأنام وآكل وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني) وفي بعض طرق الحديث (أما أنا فأصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) وأصل الحديث في البخاري ومسلم بألفاظ وابن ماجة والنسائي وأحمد والدارمي وانظر شرح السنة للبغوي رحمهم الله جميعا.

٢٤- واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم

شرح البيت رقم ٢٤:

(واستفرغ الدمع) أرق دمعك أو اطلب إراقته (من عين قد امتلأت من المحارم) أي كثر نظرها إلىٰ ما لا يحل إليه النظر (و الزم حمية الندم) أي الزم التوبة الذي ركنها الأعظم الندم لأن من ندم أقلع عن المعصية وعزم علىٰ عدم العود وتخلص من الحقوق بردها إلىٰ أربابها أو استسمحهم أخرج الترمذي في جامعه قوله ﷺ لعقبة بن عامر رضي الله عنه حين سأله ما النجاة؟ فقال ﷺ (أمسك عليك لسانك وليسعك

Scanned by CamScanner

بيتك وابك على خطيئتك).

فائدة:

امتلاء العين من المحارم كناية عند الفقهاء عن كثرة النظر بها لما لا يجوز النظر إليه شرعا.

أما عند أرباب الأذواق فالمراد رؤية الأغيار بها ولذلك يقال للعارف أدب عينيك بدمع الندامة إذا نظرت إلى غير ذلك الجمال وأقصر نظرك على كمال الكبير المتعال.

فائدة:

أحرص على البكاء أو التباكي من مخافة الله وخشيته فالعين الباكية محرمة على النار.

٢٥- وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

شرح البيت رقم ٢٥:

(وخالف النفس) الأمارة بالسوء وخالف (الشيطان) فيما طلباه منك ولا توف لهما المطلوب (واعصهما) إن أمراك بشيء فلا تسمع لهما أمراً ولا نهيا وإن أظهرا لك خالص النصح فاحملهما على الاتهام ولا تغتر بظاهر الحال وكيف لعاقل أن يسمع نصح النفس بعد معرفة كونها أمارة بالسوء صاحبة مكر وخديعة أو يرى نصحا من الشيطان وقد ظهر أمر نصيحته مع أبينا آدم عليه السلام مع قسمه على كونه ناصحاً كما أخبر الله في القرآن في سورة الأعراف: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ * فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ

Scanned by CamScanner

لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٩-٢٢].

فإذا كان هذا حاله مع أبيك وقد أقسم أنه له لمن الناصحين فكيف بك وقد أقسم أنه ليغوينك.

وقدم النفس على الشيطان لأن النفس باب الشيطان فإنه إذا تعذر عليه الدخول على المؤمن وخاف فواته من الحصول في أشراكه أتاه من قبل نفسه.

وقيل لأن النفس أضر من الشيطان وفتنتها أعظم من فتنته إذ هي عدو في صورة صديق والإنسان لا يتنبه لمكايد الصديق وأيضاً هي عدو من داخل بخلاف الشيطان فإنه عدو ظاهر.

٢٦- ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

شرح البيت رقم ٢٦:

معنى هذا البيت أن النفس والشيطان إذا أتياك من حيث المحاجة وإقامة الدليل على حسن الفعل أو من حيث الأمر والحكم عليك فلا تطعهما بأن تميل مع المحاجة في الأولى وتمتثل الحكم في الثانية لأنك تعرف كيد الخصم ومكره بصاحبه بتمويه الأمر عليه وتزيينه له توصلاً إلى غلبته وتعلم كيد الحاكم إذا جار في حكمه توصلاً لأغراضه فإنه أقوى من مكايد الخصم لأن مكره مصحوباً بالسطوة والسلطان وعصيانهما قبل الوقوع بترك الفعل وبعد الوقوع بترك التمادي على الفعل.

Scanned by CamScanner

٢٧- أستغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلا لذي عقم

شرح البيت رقم ٢٧:

(أستغفر الله) أي أطلب من الله عز وجل المغفرة (من) أجل الـ(قول) والمواعظ الصادرة مني (بلا عمل) يصحب المواعظ التي أمرت بها فإن ذلك مما يترتب عليه المقت لقوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

ثم ضرب الناظم مثلاً لحالته ووجه ذلك أن المتبادر من الأمر والنهي أن يكون الآمر والناهي مؤتمراً منتهياً فذلك القول يتضمن نسبة العمل إلى القائل فإذا كان بلا عمل فقد أشبه نسبة النسل ـ الذرية ـ لذي العقم وهو الذي لا يولد لمثله وذلك كذب يستغفر منه فكذا ما أشبهه.

فائدة:

أعلم أن موافقة القول للفعل شرط كمال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتميماً لمقتضى الرتبة الموروثة عن النبوة وتقوية لداعي الامتثال فإذا انعدمت لا ينعدم الأصل.

٢٨- أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم

شرح البيت رقم ٢٨:

هذا البيت بيان للبيت قبله ومعناه (أمرتك) بفعل (الخير) ونهيتك عن تركه لأن المراد بالأمر هنا ما يشمل النهي والخير ماله عاقبة محمودة (لكن) استدراك (ما ائتمرت به) أي لكن ما عملت به (وما استقمت) بفعل المأمورات وترك المنهيات (فما قولي لك استقم) أي فما ثمرة قولي لك استقم حيث لم استقم والاستفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا ثمرة له ولا فائدة له لأنه لا ينفع غالباً إلا إذا استقام القائل.

Scanned by CamScanner

فائدة:

الاستقامة الشرعية: هي لزوم الطاعة كذا قال بعضهم.

وقال البيضاوي رحمه الله اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المذهب المستقيم وذلك خطب جسيم لا يحصل إلا لمن أشرق قلبه بالأنوار القدسية وتخلص من الكدرات البشرية وأيده الله من عنده وقليل ما هم.ا.هـ.

فائدة:

أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالاستقامة في سورة هود قال تعالى ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

وأقد أرشد النبي ﷺ سفيان بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ إليه حين قال لرسول الله ﷺ قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك؟ قال ﷺ (قل آمنت بالله ثم استقم) وهو في صحيح مسلم وهو من جوامع كلمه ﷺ وهو منتزع من قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف:١٣].

وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠] الآيات.

٢٩- ولا تزودت قبل الموت نافلة ولم أصل سوى فرض ولم أصم

شرح البيت رقم ٢٩:

في هذا البيت زيادة توبيخ لنفسه عما تقدم في البيتين قبله والمعنى لم أخذ من النافلة زاداً لسفر الآخرة قبل حلول الموت الموجب للفوات واقتصرت على فرائض فلم أصلِّ سوى الفرض ولم أصم سوى الفرض.

فحرمت بذلك نفسي الخير الوفير الوارد في الحديث القدسي عند البخاري (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته

Scanned by CamScanner

كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه).
فائدة: أصل التزود تكلف الزاد واتخاذه وأصل الزاد الطعام الذي يتخذ للانتفاع به في السفر ثم تجوز به عن أعمال البر النافعة قال تعالىٰ ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٣٠- ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم

شرح البيت رقم ٣٠:

(ظلمت) هنا بمعنىٰ نقصت ومنه قوله تعالىٰ ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣].

أي لم تنقص منه شيئا. والسنة المراد بها هنا الطريقة أي نقصت طريقة الشارع ومن يقوىٰ علىٰ الإتيان بها؟ فهذا يدلك علىٰ أن اعترافه لم يكن بما ينقص من قدره ويدل علىٰ صحة هذا القصد قوله (أن اشتكت قدماه الضر من ورم) كأنه يقول لم أجتهد في العبادة والقيام حتىٰ أصل إلىٰ أن ترم القدمان مني كما كان شأن حبيبي ﷺ ومن لم يصل تلك الدرجة فقد نقص من طريقة متبوعه وهذه طريقة الأكابر.

في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت (قام ﷺ حتىٰ تورمت قدماه) وفي رواية (حتىٰ تفطرت) فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أكون عبداً شكورا).

واعلم أن لقيام الليل فضل كبير وثواب جزيل في الكتاب والسنة فكن من أهله ولا تكن من الغافلين.

Scanned by CamScanner

٣١- وشدّ من سغب أحشاءه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

شرح البيت رقم ٣١:

بعد أن ذكر الناظم ملازمة النبي ﷺ للصلاة شرع يبين ملازمة النبي ﷺ للصيام فقال (وشد) عصب وربط (من سغب) جوع متعب (أحشاءه) ما انضمت عليه ضلوعه الشريفة (وطوىٰ) من طويت الشيء لففته (تحت الحجارة كشحا) ما بين الخاصرة إلىٰ الضلع (مترف) أي ناعم (الأدم) أي الجلد.

وفي قوله: وشد من سغب أحشاءه مبالغة عظيمة أي أنه ﷺ لم يقنع بشد الأحشاء لأجل شدة الجوع الناشئ عن كثرة الصيام تسكيناً لألم الجوع بل ثنىٰ كشحه الناعم الجلد ﷺ تحت الحجارة لذلك والكشح الناعم إذا طوىٰ تحتها اشتد تألمه ففيه أنه ﷺ أصابه من الجوع ما يكون أشد من هذا الألم فرام دفعه بهذا الألم وهذا غاية في الرياضة وفي صحيح البخاري حدثنا خلاد بن يحيىٰ قال حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال أتيت جابراً رضي الله عنه فقال (إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدّية شديدة فجاؤا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقال (أنا نازل) ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكُدية فعاد كثيبا أهيل أو أهيم، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلىٰ البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق؟ وطحنت الشعير حتىٰ جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: (كم هو؟) فذكرت له، قال: (كثير طيب) قال: (قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتىٰ آتي) فقال: (قوموا) فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل علىٰ امرأته قال: ويحكِ، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم فقال: (ادخلوا ولا

Scanned by CamScanner

تضاغطو) فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمِّر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: (كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة).

فائدة:

خير النبي ﷺ بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبيا عبدا أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل. فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة. فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك قال: أفملكا نبيا يجعلك أو عبدا نبيا. قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال ﷺ: عبدا ورسولاً).

واعلم أن للصوم فوائد عظيمة وله ثواب جزيل لا يعلمه إلا الله فكن من أهله فإنه جنة من النار.

٣٢- وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

شرح البيت رقم ٣٢:

في البيت مناسبة عظيمة ومعنى عظيم وذلك أنه لما ذكر غاية الجوع الذي شدّ منه أحشاءه فكأنه استشعر سائلا يقول أمن عدم؟ قال: هيهات بل ذلك من الزهد ألا ترى أن جبال تهامة عرضت عليه ذهباً وفضة فأبعدها ولم يرضها وعند الترمذي قوله ﷺ: (عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحوها فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك فإذا شبعت شكرتك وحمدتك) وفي الباب عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه هذا حديث حسن.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت (ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ) رواه البخاري ومسلم وفي رواية مسلم قالت: (لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز

Scanned by CamScanner

وزيت في يوم واحد مرتين) وفي رواية الترمذي قال مسروق: دخلت على عائشة رضي الله عنها فدعت لي بطعام فقالت: (ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيت) قلت: لم؟ قالت: (أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله ﷺ الدنيا والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم) وفي رواية للبيهقي قالت: (ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا لشبعنا ولكنه كان يؤثر على نفسه).

وفي هذا البيت إشارة إلى أنه ﷺ تزينت له الدنيا وتجملت ببهجتها وتعرضت له ﷺ ولكنه تركها عن زيد بن أرقم ﷺ قال: كنا مع أبي بكر ﷺ فاستسقى فأتي بماء وعسل فلما وضعه على يده بكى وانتحب حتى ظننا أن به شيئا ولا نسأله عن شيء فلما فرغ قلنا: يا خليفة رسول الله ما حملك على هذا البكاء؟ قال: (بينما أنا مع رسول الله ﷺ إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولا أرى شيئاً فقلت: يا رسول الله ما الذي آراك تدفع عن نفسك ولا أرى شيئاً قال: (الدنيا تطولت لي فقلت إليك عني فقالت أما إنك لست بمدركي) قال أبو بكر ﷺ: فشق ذلك علي وخفت أن أكون قد خالفت أمر رسول الله ﷺ ولحقتني الدنيا) رواه ابن أبي الدنيا والبزار ورواته ثقات إلا عبد الواحد بن زيد وقد قال ابن حبان يعتبر حديثه إذا كان فوقه ثقة ودونه ثقة وهو هنا كذلك قاله المنذري في الترغيب.

وقد قال ﷺ: (ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) رواه ابن ماجة من حديث ابن مسعود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

Scanned by CamScanner

٣٣- وأكدت زهده فيها ضرورته إن الضرورة لا تعدو على العصم

شرح البيت رقم ٣٣:

(وأكدت) التأكيد التقوية (زهده) الزهد: ترك الشيء وقلة الرغبة فيه (فيها) الضمير المجرور بفي راجع للجبال التي تكون من ذهب (ضرورته) الضرورة: شدة الحاجة ولا يخفىٰ عليك أن زهده مفعول مقدم وضرورته فاعل مؤخر وإنما أكدت ضرورته أي شدة حاجته زهده فيها أي في الجبال الذهبية لأن الإعراض عن الشيء وقلة الرغبة فيه مع شدة الاحتياج إليه دليل جلي وبرهان قطعي علىٰ الزهد في ذلك الشيء وقوله (إن الضرورة ... إلخ) مستأنف استئنافا بيانيا لكونه واقعا في جواب سؤال مقدر فكأنه قيل له كيف تؤكد ضرورته زهده فيها مع أن الضرورة تقتضي الإقبال عليها وعدم الإعراض عنها فقال (إن الضرورة) أي شدة الحاجة (لا تعدو) أي لا تتعدىٰ (علىٰ العصم) أي علىٰ ذوي العصم وهم الأنبياء عليهم السلام وعصمة الأنبياء حفظ الله إياهم وإنما لم تَعْدُ الضرورة ذوي العصم لأنهم يتنزهون معها عن أشرف الأشياء وأجلها فضلا عن أخسها وذووها هم الأنبياء عليهم السلام.

قال البيجوري رحمه الله وعلم من ذلك الفرق بين ضرورة من عصمه الله تعالىٰ وضرورة غيره لأن ضرورة من عصمه الله لا تدعوه إلىٰ أحسن الأشياء فضلاً عن أخسها وضرورة غيره تدعوه إلىٰ أخس الأشياء حتىٰ أنها تبيح له تناول ما لا ينبغي تناوله ولو كان محرم الأصل كالميتة. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

٣٤- وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

شرح البيت رقم ٣٤:

يستفهم الناظم استفهاماً إنكارياً بمعنىٰ النفي فيقول (وكيف تدعو) أي لا تدعو ومفعول تدعو محذوف أي تدعوه ﷺ والضمير في (لولاه) مرفوع علىٰ أنه اسم لولا وخبره محذوف وجوبا أي لولاه موجود كما في العمدة، وعند سيبويه لولاه جارٌ ومجرور.

ومعنىٰ البيت: وكيف تدعو ضرورة سيدَ المعصومين وأمام المرسلين إلىٰ زخرف الدنيا وزينتها والدنيا وما فيها ما أخرجت من العدم إلىٰ الوجود إلا لأجله ﷺ.

قال العلامة خالد الأزهري في شرحه علىٰ البردة: ومعنىٰ البيت أنه ﷺ لا تدعوه الضرورة إلىٰ حطام الدنيا الفانية فإن الدنيا ما خرجت من العدم إلىٰ الوجود إلا لأجله ا.هـ.

أقول: والدليل علىٰ ذلك ما أخرجه الحافظ أبو الحسن بن بشران قال حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو قال حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح قال حدثنا محمد بن صالح قال حدثنا محمد بن سنان العوقي قال حدثنا إبراهيم ابن طهمان عن بُديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة ﷺ قال: قلت يا رسول الله متىٰ كنت نبيا؟ قال: (لما خلق الله الأرض واستوىٰ إلىٰ السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب علىٰ ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي علىٰ الأبواب والأوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد فلما أحياه الله تعالىٰ نظر إلىٰ العرش فرأىٰ اسمه فأخبره الله أنه سيد ولدك فلما غرّهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه) وأخرجه الحافظ ابن الجوزي في الوفا بفضائل المصطفىٰ من طريق الحافظ ابن بشران ونقله عنه ابن تيمية في الفتاوىٰ مستشهدا به.

Scanned by CamScanner

أقول: وهو حديث حسن فأبو جعفر محمد بن عمرو هو ابن البختري الرزاز ثقة ثبت مترجم في تاريخ بغداد وأحمد بن إسحاق بن صالح هو أبو بكر الوزان صدوق وهو مترجم في تاريخ بغداد. ومحمد بن صالح هو أبو بكر الأنماطي ثقة حافظ من رجال التهذيب ويحتمل أن يكون هو محمد بن صالح الواسطي وهو ثقة أيضاً مترجم في تاريخ بغداد والاختلاف في تعيين الثقة لا يضر.

ومحمد بن سنان العوقي فمن فوقه أئمة ثقات من رجال التهذيب.

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي وضعفه والطبراني في الصغير وأبو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب بحق محمد لمّا ـ بفتح اللام وتشديد الميم ـ بمعنى إلا غفرت لي قال وكيف عرفت محمد قال لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى أسمك إلا أحب الخلق إليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك). أقول: وهو مع ضعفه حسن باعتبار ما قبله.

وأخرج الحاكم وصححه وأقره السبكي في شفاء السقام والبلقيني في فتاواه وابن حجر الهيتمي في شرح الهمزية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أوحى الله عز وجل إلى عيسى آمن بمحمد ومُر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن).

فإن قلت: هذا موقوف. قلت: له حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالرأي كما في الزرقاني على المواهب.

قال العلامة البيجوري رحمه الله قوله (لولاه ما خلقتك) فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده ﷺ وآدم أبو البشر وقد خلق الله

Scanned by CamScanner

لهم ما في الأرض وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك كما هو نص القرآن قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٣].

وإذا كانت هذه الأمور إنما خلقت لأجل البشر وأبو البشر إنما خلق لأجله ﷺ كانت الدنيا إنما خلقت لأجله فيكون ﷺ هو السبب في وجود كل شيء ا.هـ.

٣٥- محمد سيد الكونين والثقلي ـن والفريقين من عرب ومن عجم

شرح البيت رقم ٣٥:

الممدوح الذي سبقت أوصافه المكرمة هو سيدنا ومولانا (محمد) ﷺ وهو (سيد الكونين) والمراد بالكونين الدنيا والآخرة فسيدنا محمد ﷺ سيد أهل الدنيا والآخرة (و) سيد (الثقلين) والمراد بهما الإنس والجن وهذا تخصيص بعد تعميم (و) هو ﷺ سيد (الفريقين) من عرب ومن عجم وهذا تخصيص آخر تنبيها على شرفهم وفضلهم وقوله من عرب ومن عجم بيان للفريقين والعرب بضم العين وسكون الراء بمعنى العرب بفتحهما والمراد بالعجم غير العرب.

ولا شك ولا ريب في سيادته ﷺ لأنه أرسل إلى العالمين كما قال الله عز وجل ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

والأحاديث النبوية المصرحة بسيادته ﷺ كثيرة منها ما رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مما ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنوا

Scanned by CamScanner

الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم... الحديث) وفي مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) قال الإمام النووي رحمه الله قوله ﷺ (يوم القيامة) مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك ولكن كان في الدنيا من يدعي الملك أو من يضاف إليه مجازاً فانقطع كل ذلك في الآخرة ا.هـ.

وفي جامع الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً (أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر) وفيه أيضاً عن أبي موسى ﷺ قال (خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب فحلوا رحالهم فخرج إليهم وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاءنا فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين... الحديث).

فائدة:

قوله محمد يجوز فيه الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الممدوح محمد ويجوز النصب على أنه مفعول لفعل محذوف أي أمدح محمداً ويجوز الجر على أنه بدل من الموصول في قوله وكيف تدعوا إلى الدنيا ضرورة من.

Scanned by CamScanner

٣٦- نبينا الآمر الناهي فلا أحد أبر في قول لا منه ولا نعم

شرح البيت رقم ٣٦:

(نبينا) محمد ﷺ هو (الآمر) بالمعروف (الناهي) عن المنكر هو المبلغ لدين الله عز وجل أمراً ونهياً (فلا أحد) أصدق منه في الإخبار كما قال ربنا عز وجل ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

فالنبي ﷺ صادق في كل ما أخبر به فلا أحد أصدق منه لا في نفي ولا في إثبات.

فإنه إن سُئل عن شيء فأجاب بالنفي فلا يوجد ذلك الشيء إلا منفيًا وإن أجاب بنعم في شيء فلا يوجد ذلك الشيء إلا كما قال ﷺ.

فإن قلت: الأمر والنهي إنشاء والإنشاء لا يجاب بلا ونعم فالتفريع بلا ونعم لا يصادف محله هنا. قلت: أجاب عن ذلك الخفاجي رحمه الله في شرح الشفا بقوله: فمعنىٰ قوله نبينا الآمر الناهي إلخ أنه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فإذا قال في أمر لا أو نعم وهو لا يقول إلا صواباً موافقاً لرضا الله عز وجل فحينئذ لا يخالفه أحد إلا بقسر قاسر وليس غيره حاكماً يمنعه عما حكم به ويرد أحكامه فهو ﷺ أصدق القائلين ا.هـ.

٣٧- هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم

شرح البيت رقم ٣٧:

سيدنا ومولانا محمد ﷺ (هو الحبيب) فعيل بمعنىٰ مفعول أي حبيب الله عز وجل كما جاء في الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ (ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) هذا الحبيب الأعظم ﷺ (ترجىٰ) وتتوقع (شفاعته) والشفاعة: السؤال في التجاوز عن الذنوب.

Scanned by CamScanner

هذه الشفاعة تتوقع من الحبيب يوم القيامة (لكل) أي عند كل (هول) أي مخافة وفزع (من الأهوال) نعت لهول (مقتحم) على صيغة اسم مفعول نعت هول أيضًا أي مقتحم فيه. والاقتحام: الوقوع بغتة في الشدة.

والمعنى: أن سيدنا ومولانا محمد ﷺ هو الحبيب الذي تتوقع شفاعته يوم القيامة عند كل خوف وفزع يرمي الإنسان نفسه فيه من شدة الدهشة من رؤيته.

والشفاعة لسيدنا محمد ﷺ حق ثابت نؤمن به قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم: قال القاضي عياض رحمه الله تعالى مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الآيات والأثار الذي بلغ مجموعها حد التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها. ا.هـ المراد.

أقول: أخبر النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة التي بلغت مبلغ التواتر أنه الشافع المشفع في أمته وفي غيرهم كما في الشفاعة العظمى وعموم الشفاعة في الآيات القرآنية.

حتى أجمع عليها أهل السنة والجماعة قال تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

وقال تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وهو مقام الشفاعة.

و له ﷺ شفاعات متعددة:

الأولى: في الإراحة من هول الموقف وهي الشفاعة العظمى.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: في إدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا.

الرابعة: في إخراج من أدخل النار من العصاة قبل استيفاء ما يستحقه من المكث فيها.

Scanned by CamScanner

الخامسة: في رفع الدرجات في الجنة لأهلها.

وبعض هذه الخمس مختص به ﷺ وبعضها يشاركه فيها الأنبياء والرسل والملائكة والعلماء والصلحاء والشهداء.

وصحت شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب وصحت شفاعته لمن زار قبره الشريف وصحت شفاعته لمن أجاب المؤذن ثم صلى عليه ﷺ ثم سأل له الوسيلة وصحت شفاعته لمن استوت حسناته وسيئاته كل ذلك ثابت بالأحاديث الصحيحة.

فالشفاعة للنبي ﷺ ثابتة وهي حق نؤمن به ولله در حسان رضي الله عنه حيث يقول من قصيدة رثى بها النبي ﷺ بعد موته كما روى ذلك ابن إسحاق بسنده إلى حسان رضي الله عنه قال:

يدل على الرحمن من يقتدي به وينقذ من هول الخزايا ويرشد

فقد وصف حسان رضي الله عنه وهو صحابي جليل وصف النبي ﷺ بأنه ينقذ من هول الخزايا.

فالشفاعة الشفاعة يا رسول الله يا أكرم الخلق على الله يا صاحب الجاه الرفيع والعز المنيع يا حبيب الله اللهم شفع فينا سيد المرسلين ﷺ.

٣٨- دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم

شرح البيت رقم ٣٨:

(دعا) النبي محمد ﷺ الأنس والجن (إلى) دين (الله) عز وجل (فالمستمسكون به) فالمعتصمون بهذا الدين السائرون على هذا الصراط المستقيم (مستمسكون) معتصمون (بحبل) متين (غير منفصم) أي غير منقطع. والاستمساك: التمسك والأخذ باليد. والمستمسكون به مبتدأ ومستمسكون إلخ خبره. والمراد بالحبل: ما يتوصل به إلى الله. والفصم: القطع بغير الفصل والقصم بالقاف : القطع بالفصل.

Scanned by CamScanner

فالاعتصام بالنبي ﷺ وما جاء به اعتصام بسبب متصل غير منقطع موصل إلى الله فالنبي ﷺ هو صراط الله المستقيم وهو العروة الوثقىٰ وهو باب الله الذي لا يقبل من العبد أن يأتي من سواه.

٣٩- فاق النبيين في خَلقٍ وفي خُلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

شرح البيت رقم ٣٩:

(فاق) رسولنا محمد ﷺ جميع (النبيين) أي علاهم بالشرف (في خلق وفي خلق ولم يدانوه) أي يقاربوه (في علم ولا كرم) والخَلق والخُلق في الأصل واحد كالشَرب والشُرب والصَرم والصُرم لكن خُص الخَلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر وخُصّ الخُلق بالقوىٰ والسجّايا قاله الراغب في المفردات. والكرم في اللغة: الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وهو المراد هنا.

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم صفوة الناس خلقا وخلقا ولكن نبينا ﷺ فاقهم في الخلق والخلق قال تعالىٰ في بيان خُلق نبينا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فإن قلت: الغالب في وصف الخلق الكرم والنص لم يقل وإنك لعلىٰ خلق كريم بل قال عظيم فلم وصف خلقه بالعظيم؟ قلت: أجاب عن ذلك الحليمي بقوله: وإنما وصف خلقه بالعظيم مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم لأن كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه ﷺ مقصوراً على ذلك بل كان رحيماً بالمؤمنين رفيقًا بهم شديدًا على الكفار غليظًا عليهم مهيبًا في صدور الأعداء منصورًا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظيم أولىٰ ليشمل الإنعام والانتقام ا.هـ. كذا في المواهب للقسطلاني.

Scanned by CamScanner

وفي صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ (أنه ﷺ كان أحسن الناس خُلقًا) فكل خلق حميد كان عند رسول الله في تمامه وكماله وغايته واعتداله فهو اتقى الناس وأورع الناس وأجود الناس وأشجع الناس وأنجد الناس وأشهم الناس وأوسع الناس صدرًا وأصدقهم لهجة وأطيبهم نفسًا وأكثرهم تبسمًا وأكملهم تواضعًا وعفوًا وأعدمهم كبرًا وأبعدهم غضبًا وأكثرهم خشية وأرجحهم عقلاً وأعظمهم رحمة هو الإنسان الكامل لذلك بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق كما قال ﷺ: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه مالك.

وفي رواية (لأتمم صالح الأخلاق) فبه ﷺ حصل التمام وهو عنوان الكمال ولا أحد يدانيه فيما وهبه الله من كريم الصفات وعظيم الخصال ولا يستطيع أحد من الناس حصر جزئيات أخلاقه الحميدة وصفاته الكريمة وشمائله المجيدة وخصائصه الشريفة لذلك قالت الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما حينما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت (كان خلقه القرآن) رواه مسلم. قال القسطلاني في المواهب اللدنية في معناه فكما أن معاني القرآن لا تتناهى فكذلك أوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى إذ في كل حالة من أحواله يتجدد له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه مالا يعلمه إلا الله تعالى انتهى.

وهو ﷺ أكمل الناس خلقة وأجملهم صورة وأحسنهم منظراً عن البراء ﷺ قال(كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنه خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) رواه البخاري. وعن جابر بن سمرة ﷺ قال (رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان ـ بكسر الهمزة والحاء أي ليلة مضيئة القمر ـ وعليه حلة حمراء فجعلت انظر إليه وإلى القمر فلهو عندي أحسن من القمر) رواه الترمذي في شمائله. ومن كلام أم معبد في وصفه ﷺ كما في الاستيعاب لابن عبد البر (وإن تكلم سما وعلاه البهاء

Scanned by CamScanner

أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأجمله من قريب).

وسيأتي بيان كرمه ﷺ عند قول الناظم كالزهر في ترف ويأتي بيان سعة علمه عند قول الناظم ومن علومك علم اللوح والقلم فانظره في محله.

٤٠- وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفًا من الديم

٤١- وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحِكم

شرح البيتين رقم ٤٠/٤١:

وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام آخذون من علم رسول الله ﷺ بقدر القابلية والاستعداد مقدار غرفه من البحر أو مصة من المطر الغزير وكلهم ثابتون عند رسول الله ﷺ في العلم والحكم عند حدهم الذي هو كالنقطة من علمه أو كالشكلة من حكمه عليه الصلاة والسلام.

قال بعض العارفين علم الأولياء من علم الأنبياء كقطرة ماء من سبعة أبحر وعلم الأنبياء من علم نبينا بهذه المنزلة وعلم نبينا ﷺ من علم الله عز وجل بهذه المنزلة أشار إليه في روح البيان عند تفسيره قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والواو في قوله (وكلهم) استئنافية والبيت كالدليل للبيت قبله رقم ٣٩ و(ملتمس) آخذ أفرده مراعاة للفظ كل. و(غرفًا) مفعول ملتمس.

ومعنى الغرف: رفع الشيء وتناوله. و أو في قوله (أو رشفًا من الديم) للتنويع والتقسيم وفيه إشارة إلى اختلاف أحوال الملتمسين فاولو العزم من الرسل أكثر التماسًا من غيرهم. والرشف: المص. والديم: جمع ديمة وهو المطر يدوم أياما.

والألف واللام في البحر والديم بدل من المضاف إليه أي من بحره وديمه ﷺ والمراد ببحره وديمه علمه ﷺ.

Scanned by CamScanner

والواو في قوله (وواقفون) عطف على ملتمس واقفون ثابتون جمعه مراعاة لمعنى كل (عند حدهم) الحد: الغاية والنهاية. (من نقطة العلم أو من شكلة الحكم) بيان لحدهم أي هم واقفون ثابتون عند حدهم الذي هو كنقطة من العلم الموهوب للنبي ﷺ والنقطة: فعلة من نقط الحرف نقطًا ومعناها الحاصل بالنقط وهي علامة شبه كرة صغيرة تجعل فوق الحرف المعجم أو تحته لتميزه عن غيره كالتاء واليا والخاء والجيم. أو عند حدهم الذي هو كشكلة من حكمه الموهوبه له ﷺ والشكلة بالفتح: فعلة من شكلت الكتاب قيدته بالإعراب ولما كان يحصل بالشكل مزيد تفهيم لا يحصل بمجرد النقط أضاف النقطة إلى العلم والشكلة إلى الحكم. والحكم: جمع حكمة والمراد بها دقائق العلوم. فتأمل روعة المعاني ورحم الله البوصيري والله أعلم.

٤٢- فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم

٤٣- منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

شرح البيتين رقم ٤٢/٤٣:

الفاء للتفريع على قوله فاق النبيين والضمير (هو) مبتدأ و(الذي) خبره والضمير هو راجع إلى نبينا ومولانا محمد ﷺ و(تم) من التمام وهو الكمال (معناه) حال باطنه (وصورته) حال ظاهره. و(ثم) للترتيب في الاصطفاء كما قال المحلي نظرا للوجود الخارجي فإن اتخاذه حبيبا ومخاطبته به بعد تمام معناه وصورته (اصطفاه حبيبا) اختاره حبيبا (بارئ النسم) خالق النسم. والنسم: جمع نسمة وهي تطلق على الإنسان وعلى النفس وعلى الروح وعلى كل ذي روح.

وهو ﷺ (منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن) أي ذاته وحقيقته (فيه غير منقسم).

Scanned by CamScanner

والمعنى العام: نبينا ومولانا محمد ﷺ هو الذي كمل باطنه في الكمالات وظاهره في الصفات ثم اختاره واصطفاه خالق الإنسان حبيبا له هذا الحبيب الكريم ليس له في محاسنه شريك من الخلق فحقيقة الحسن الكامل التام الموهوب له غير منقسم بينه وبين غيره وإلا لما كان حسنه تاماً لأنه إذا انقسم لم ينله إلا بعضه فلا يكون تاما قال العلامة الزرقاني رحمه الله في شرح المواهب اللدنية إن الانقسام المنفي أن يعطى ـ أي نبينا ﷺ ـ نوعا من الحسن وغيره آخر منه فيكون منقسمًا بينهما بل أعطى ﷺ أعلى الصفات اللائقة بالبشر وشاركه غيره في الاتصاف ببعضها فيكون ذلك البعض مشتركا وتميز المصطفى بالزيادة التي لم يؤتها غيره كما قال ابن المنير وغيره في حديث (أعطي يوسف شطر الحسن) يتبادر إلى بعض الأفهام أن الناس يشتركون في البعض الآخر وليس كذلك بل المراد أنه أوتي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ﷺ فإنه بلغ الغاية ويوسف شطرها انتهى والله أعلم.

٤٤- دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
٤٥- وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
٤٦- فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

شرح الأبيات رقم ٤٤/٤٥/٤٦:

(دع) أي أترك أيها المادح لرسول الله ﷺ (ما ادعته النصارى في نبيهم) عيسى عليه السلام من قولهم زوراً وبهتانا أنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (واحكم) أي أقض أيها المادح لرسول الله (بما شئت مدحا) حال من الفاعل أي حال كونك مادحا فيكون المصدر على هذا بمعنى اسم الفاعل (فيه) أي في رسول الله ﷺ (واحتكم) أمر من احتكم القوم إلى الحاكم تحاكموا إليه (وأنسب) عطف على دع (إلى ذاته) إلى نفسه الشريفة وحقيقته العظيمة (ما شئت من شرف) أي عز (وانسب

Scanned by CamScanner

إلى قدره) القدر البالغ في الكمال ذروته (ما شئت من عظم) العظم: التعظيم والرفعة (فإن) الفاء للتعليل (فضل رسول الله ليس له حد). غاية ونهاية يقف عندها (فيعرب) الفاء للسببية ويعرب مضارع منصوب بأن المضمرة وجوبا بعد فاء السببية في جواب النفي. والإعراب: البيان والإيضاح.

والمعنى: اترك أيها المادح لرسول الله ﷺ ما قالته النصارى في نبيهم عيسى عليه السلام من دعواهم الباطلة أنه ابن الله وأنه ثالث ثالثة تعالى الله عما يقولون علوا عظيما اترك هذا الباطل فإن نبينا محمد ﷺ نهانا عن ذلك القول الباطل بقوله ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وبعد أن تترك أيها المادح لرسول الله ما نهيت عنه من المدح احكم له ﷺ بما شئت من المدح وتحاكم في إثبات فضائله إلى من شئت من الحكام وانسب إلى ذاته الشريفة ما شئت من عز وانسب إلى مبلغه في الكمال ما شئت من تعظيم ورفعة فقد وجدت للقول سعة لأن فضل رسول الله ﷺ ليس له غاية يوقف عندها فيبينها ناطق بلسان فمه إذ أوصافه لا تحصى وفضائله لا تستقصى.

قال المحقق ابن حجر الهيتمي في شرح الهمزية ما نصه: وبعد فمما يتعين على كل مكلف أن يعتقد أن كمالات نبينا ﷺ لا تحصى وأن أحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط في مخلوق وأن حقه على الكُمَّل فضلا عن غيرهم أعظم الحقوق وأنه لا يقوم ببعض ذلك إلا من بَذل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه وأن المادحين لجنابه العلي الواصفين لكماله الجلي لم يصلوا إلا إلى قُلٍّ من كل لا حد لنهايته وغيض من فيض لا وصول إلى غايته ومن ثم كان أبلغ بيت هنا المطلع الآتي يقصد قول البوصيري في الهمزية:

Scanned by CamScanner

كيف ترقىٰ رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

كما يعلم مما يأتي فيه وفي بردة المديح:

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم يليه:

دع ما ادعته النصارىٰ في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ثم يليه:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

ثم يليه:

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن أداء كل ما يتعين من ذلك وآي الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة من صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول.

وقد قيل:

ماذا عسىٰ الشعراء اليوم تمدحه من بعد ما مدحت حم تنزيل

فعلم أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ولكان الملم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها ولقد صح لمحبيه أن ينشدوا فيه:

وعلىٰ تفنن واصفيه بحسنه يفنىٰ الزمان وفيه ما لم يوصف

Scanned by CamScanner

وإنه لحقيق بقول القائل:

فما بلغت كف امرئ متناولا من المجد إلا والذي نال أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحه ولو حذقوا إلا الذي فيه أفضل

ولابن خطيب الاندلسي:

مدحتك آيات الكتاب فما عسىٰ يثني علىٰ علياك نظم مديحي
وإذا كتاب الله أثنىٰ مفصحا كان القصور قصار كل فصيح

وقد رئي العارف المحقق السراج ابن الفارض السعدي ﷺ في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي ﷺ؟ أي بالتصريح وإلا فنظمه في الحقيقة إما في الحضرة الإلهية أو فيه ﷺ فقال:

أرىٰ كل مدح في النبي مقصرا وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنىٰ بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما تمدح الورىٰ

قال البدر الزركشي: ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه ﷺ وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه فإن المعاني وإن جلت دون مرتبته والأوصاف وإن كملت دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير فيضيق علىٰ البليغ النطاق فلا يبلغ إلا قليلا من كثير ا.هـ والله اعلم.

Scanned by CamScanner

٤٧- لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

شرح البيت رقم ٤٧:

هذا البيت أتى به الناظم تتميماً لما قدم من أن فضله ﷺ ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم ومقصد الناظم أن يخبر أن ما أوتي النبي ﷺ من المعجزات الباهرات العظيمات الكثيرة التي جاوزت الألف عدا هذه المعجزات الجليلة الكثيرة مع عظمتها وجلالها وكثرتها هي دون مقدار كمال رسول الله ﷺ وعظمته إذ لو كانت آياته العظام مناسبة لمقدار كماله لأحيا الله تعالى بعد وفاته ببركة اسمه الشريف العظام البالية والأجساد الفانية لكن ما أحيا الله تعالى بعد وفاته تلك العظام لستر غايات كمالاته بين الأنام.

قال الخربوتي: فإن قلت لما لم يعط ﷺ هذه المعجزة أعني إحياء الموتى بعد وفاته ببركة اسمه حين يدعى الله تعالى كما أعطي سائر المعجزات؟.

قلت: لو أعطيها أيضاً لكان إيمان المؤمنين بعد عصر سعادته عليه الصلاة والسلام إيمانا بالمشاهدة وإيمان بالغيب أولى من الإيمان بالمشاهدة كما لا يخفى ا.هـ.

فائدة:

الإحياء بذكر اسمه الشريف وقع في حال حياته ﷺ ففي المواهب اللدنية عن أنس ﷺ (أن شاباً من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها. فقالت: مات ابني؟ قلنا: نعم. فقالت: اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن يعينني على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة اليوم فما برحنا أن كشف الثوب من وجهه فطعم وطعمنا) رواه ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم ا.هـ وأوردها القاضي عياض في الشفاء ونقل في النسيم أنه عاش إلى وفاة النبي ﷺ وقيل بقي بعده كما ذكره ابن أبي الصيف وفيه معجزة حيث أنه أحيا

Scanned by CamScanner

الميت للدعاء باسم النبي ﷺ فلا يقال أن هذا كرامة لأم الصبي ا.هـ. كلام النسيم.

ومن هذا تعلم أن النبي ﷺ لم يعط معجزة إحياء الموتى ببركة اسمه الشريف بعد وفاته، لا أنه لم يعطها أصلاً فها هي قد وقعت في حال حياته.

وفيه دليل على عظم بركة التوسل به ﷺ وفيه دليل على عظم بركة اسمه الشريف ﷺ فإن قلت هذا كله يصح مع سائر الآيات وكيف يتضح كلام الناظم من قوله لو ناسبت قدره آياته عظما البيت ومن آياته القرآن العظيم والقرآن العظيم صفة من صفات الله عز وجل وهذا إشكال أورده بعض الناس على أبيات البردة فقال القرآن من معجزات محمد ﷺ والبوصيري جعل قدره ﷺ أعظم من المعجزات فيكون قدره أعظم من القرآن وكيف والقرآن كلام الله وصفة قديمة من صفاته قائم بنفسه.

والجواب عنه من أوجه ثلاثة:

الأول: أن معنى قوله لو ناسبت قدره آياته أي آياته التي يقدره الله على اكتسابها وإن كان اختراعها من الله وهو من جنس ما لا يدخل عادة في مقدور البشر والقرآن ليس هو مما اكتسبه وإنما ينزل عليه ويتلى عليه ويدارسه جبريل إلى أن يعلمه إياه وليس كذلك المعجزات التي أجراها الله عز وجل على يدي نبيه ﷺ وله في إبرازها سبب كقوله للضب: (من أنا؟) رواه أبو نعيم والبيهقي والطبراني في الأوسط وكقوله للبعير: (من أنا؟) رواه أبو نعيم والبيهقي والحاكم في المستدرك (ودعائه الأشجار فأتت طائعة) رواه مسلم وابن حبان والحاكم وأبو نعيم (ورميه الحصى في وجوه الكفار وقوله شاهت الوجوه) رواه مسلم وابن حبان والحاكم (وخروج الماء من بين أصابعه الشريفة) رواه البخاري ومسلم (وأمره للقمر بالانشقاق فانشق) رواه البخاري ومسلم وما شابه ذلك وأما

Scanned by CamScanner

القرآن فكان ينزل عليه فيقرأه ويحفظه ﷺ ويحفظه لغيره من الصحابة ﷺ وعلىٰ هذا يكون المراد بآياته الخصوص لا العموم.

الثاني من الأجوبة: أن القرآن يطلق ويراد به كلام الله القائم بذاته الذي هو صفة من صفات ذاته عز وجل ويطلق ويراد به ألفاظ القارئين الحادثة التي وقع بها إعجاز أهل الفصاحة والبلاغة من العرب الذين أنزل بلسانهم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥] وهذا هو المراد في كلام الناظم لأن ألفاظ القرآن مخلوقة وقع الإعجاز ببلاغتها وفصاحتها ورصفها ودلالتها علىٰ المعاني القديمة فليست المعاني القديمة هي آياته ﷺ وإنما آياته المدلول به علىٰ تلك المعاني ولا إشكال أن قدره ﷺ أعظم من تلك الألفاظ الحادثة ويكون كلام الناظم علىٰ العموم ولا إشكال حينئذ في هذا العموم.

الثالث من الأجوبة: أن يكون قوله لو ناسبت قدره آياته عظما أي كثرة والكثير العظيم في كميته لأن العرب توقع التعظيم بالكثرة وتوقعه بمعنىٰ الجلالة ألا ترىٰ أن قولك السلطان أعظم من وزيره أي أجل منه وقولك الفيل أعظم من الذرة أكثر جواهر فيكون معنىٰ كلام الناظم لو ناسبت قدره آياته عظما أي لو جرت آياته في الكثرة مناسبة لقدره لكثرت كثرة توجب أن لو ذكر اسمه الشريف لميت لحيي فافهم هذه الأجوبة ولا تكن من الغافلين.

والمعنىٰ اللائق بقدره العظيم وفخره العميم أن يكون التوسل باسمه مبلغا كل مقصد حتىٰ أن لو ذكر اسمه الشريف علىٰ الرسوم الداثرة العظام النخرة لحييت لولا أن الله سبحانه ادخر له لدار البقاء نفائس الكرمات وجلائل العنايات.

قال ابن مقلاش: فإن قلت وهل لإخفاء كثرة الآيات حكمة؟

قلت: نعم وذلك أن الله عز وجل جعل الدار الدنيا دار تكليف وسر التكليف أن يكون ما يكلف به العبد مغيبا فلو أجرىٰ الله عز وجل

Scanned by CamScanner

الآيات على نسبة القدر العظيم لاستحال وجود الكفر في زمن وجوده لأمرين:

أحدهما: أن الكافر لو استفاضت عنده الآيات استفاضة يعلم منها أن اسم محمد ﷺ لو ذكر لميت لحيي استحال صدور التكذيب منه إذ لو حيي باسمه ميت لأخبر أهل الدنيا بأحوال الآخرة فكان من سمع إخباره لا يسعه إلا الإيمان ويكون إيمانه على وجه الإلجاء.

الأمر الثاني: أن الكافر لو تمرد بكفره وبغى بطغيانه وشدة مكره ونكره لذكر المؤمن اسم محمد عليه فاحترق وقد سبق القدر واقتضت الإرادة القديمة عمارة دارين كل دار لها قوامها فاقتضت حكمة الله سبحانه أن يكون التكليف بالأمور المغيبة قال سبحانه مادحا للذين يؤمنون بالغيب: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

فالإيمان عند الإلجاء وكشف الغطاء لا ينفع ولذلك لا تقبل توبة من غرغر واطلع على أمور الآخرة فظهر من هذا كله أن ما يناسب قدره من الآيات ادخرت له لعنايات وعلو درجات وأول ظهورها في الشفاعة العامة وهي شفاعة الموقف على ما هو مذكور في محله ا.هـ.

٤٨- لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

شرح البيت رقم ٤٨:

هذا نوع جديد من المدح ونمط آخر غير النمط الذي فرغ منه الناظم إذ كان أولا يذكر مفاخر ذاته الشريفة ﷺ ومفاخر صفاته المعنوية الجليلة ﷺ والآن يذكر كيفية دعوته ﷺ للخلق وظهور براهينه لهم من غير أن يحملهم ما لا قدرة لهم عليه من التكليف ولا يخاطبهم بما لا تسع عقولهم بل كان يخاطبهم بلغتهم مع اختلاف ألسنتهم ويقيم لهم من الأدلة ما يدركونه من غير مشقة ولا تعب فلم يخامرهم شك في تحقيق براهينه ولا ريبة لوضوحها ولم يلحقهم تعب ولا نصب لسهولة ما ذلل

Scanned by CamScanner

لهم من سبل هدايته وقد قال ﷺ (بعثت بالحنيفية السمحة) ـ أخرجه ابن سعد مرسلا والديلمي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا والخطيب عن جابر ﷺ وقال المناوي له طرق ثلاث لا ينزل بسببها عن درجة الحسن ـ والله عز وجل يقول ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقد وصف الله نبيه في القرآن الكريم بالرأفة والرحمة فقال عز وجل ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال الناظم رحمه الله: (لم يمتحنا) أي لم يختبرنا ولم يبتلنا (بما تعيا) من عيي بالأمر إذا عجز عنه.

والفرق بين الإعياء والعي أن الإعياء: عجز يلحق البدن من المشي. والعي: عجز يلحق في النطق والكلام والعجز عن فعل الأمر. و(العقول) جمع عقل والعقل: القوة المتهيئة لقبول العلم. (حرصاً) مفعول له على تضمين يمتحنا معنى يكلفنا أي ترك التكليف بما ذكر لحرصه على هدايتنا (فلم) الفاء عاطفة على لم يمتحنا ويصح كونها تفريعيه فمدخولها كالنتيجة لما قبله (لم نرتب) لم نشك (ولم نهم) لم نتحير من هام يهيم إذا تحير.

ومعنى البيت: أنه ﷺ لم يخاطبنا فيما كلفنا بالألفاظ المتناهية في البلاغة خشية عدم فهمنا للمراد منها بل جاء فيه بالألفاظ المتداولة بين الناس ليسهل فهمها علينا فلم نشك ولم نتحير فيما ألقاه إلينا.

قال في المواهب اللدنية: ومن حرصه ﷺ أنه لم يخاطبنا بما يريد إبلاغه إلينا وفهمنا إياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا إلى هذا أشار صاحب البردة بقوله:

لم يمتحنا بما تعي العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

Scanned by CamScanner

أي لم نتحير ولم نشك فيما ألقاه إلينا وقال الله تعالىٰ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم ا.هـ فجزىٰ الله سيدنا محمداً خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

٤٩- أعيا الورى فهم معناه فليس يرى في القرب والبعد فيه غير منفحم

شرح البيت رقم ٤٩:

(أعي الورىٰ) أعجز الخلق (فهم) أي معرفة (معناه) أي حقيقته وصفته علىٰ وجه التمام والكمال (فليس) ليس فعل ماض ناقص واسمه ضمير الشأن مستتر فيه والجملة الفعلية بعده خبره (يرىٰ) مضارع مغير الصيغة و(غير) نائب فاعل (منفحم) المنفحم: العاجز من انفحم الرجل إذا سكت عن الجدال ولم يجب. والقرب والبعد إما زمانيان أو مكانيان.

ومعنىٰ البيت: أعجز الخلق معرفة حقيقته ﷺ علىٰ وجه كمالها وتمامها إذ لا يعرف حقيقة النبي ﷺ علىٰ وجه الكمال والتمام إلا الله الذي خلقه واصطفاه وكمله وجمله واجتباه لذلك نحن البشر نعجز عن إدراك حقيقة ذات نبينا ﷺ وأشار إلىٰ هذا الناظم بقوله (فليس يرىٰ في) حالتي (القرب والبعد) أحد من البشر غير عاجز في إدراك حقيقة نبينا محمد ﷺ وبيانها.

وقال الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية: وقد حكىٰ القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته ﷺ ولقد أحسن البوصيري حيث قال:

أعيا الورىٰ فهم معناه فليس يرىٰ للقرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من أمم

Scanned by CamScanner

وهذا مثل قوله أيضا:

إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

ومعنى بيت الهمزية البوصيرية: أن الصفات التي ذكرها الواصفون لك وحكوها عنك ليست هي حقيقة صفاتك في نفس الأمر لأن حقيقة صفاتك لم يعلمها إلا خالقك كحقيقة ذاتك وهذا كالماء يحكي صورة النجم وتظهر فيه وترى والمرئي فيه ليس حقيقة النجم وإنما هي صورة تحاكي صورته تقريبا.

٥٠- كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من أمم

شرح البيت رقم ٥٠:

لما بين الناظم أن حقيقة ذات نبينا ﷺ يعجز البشر عن إدراك كمالها وضح ذلك بمثال وصورة من التشبيه فقال:

(كالشمس) أي هو ﷺ كالشمس (تظهر) هذا هو وجه التشبيه بالشمس فإنه من حيث الظهور لا مطلقا لأن النبي ﷺ لا يشبه بالشمس من كل الوجوه لعيوب بها هو ﷺ منزه عنها و(صغيرة) حال من الضمير المستتر في تظهر و(تكل) من الإكلال: وهو التعجيز عن الإدراك. و(الطرف) البصر عند رؤيتها من (أمم) الأمم القرب.

ومعنى البيت: نبينا محمد ﷺ كالشمس تظهر في العين من بعد صغيرة قدر المرآة أو الترس ويعجز البصر من قرب لو فرض ذلك لكبرها جدا فتكاد تخطف الطرف وتعميه فلا تدرك العين كمالها وكذلك سيدنا ومولانا المصطفى ﷺ لا يدرك معناه في حالتي القرب والبعد وإن شوهدت صورته واعلم جيدا أن التشبيهات الواردة في حق نبينا ﷺ إنما هي على سبيل التقريب والتمثيل وإلا فذاته الشريفة أعلى ومجده الشريف أغلى ومقامه المنيف أرفع.

Scanned by CamScanner

٥١- وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

شرح البيت رقم ٥١:

الاستفهام للنفي وفي بعض النسخ بالفاء فيكون تفريعا لما تقدم وهو حسن جدا. و(يدرك) من أدرك إذا بلغ أقصىٰ الشيء واحترز بقوله (في الدنيا) عن الآخرة لإدراك حقيقته ﷺ في الآخرة لكشف الحجاب فيها.

وحقيقة الشيء: منتهاه وكماله الخاص به. و(قوم) فاعل يدرك ومعناه في الأصل جماعة الرجال ليس فيهم امرأة سموا بذلك لقيامهم بعظائم الأمور ومهماتها وربما دخل النساء فيه تبعا كما هنا وفي عامة القرآن أريد به الرجال والنساء جميعا و(النيام) جمع نائم صفة قوم و(تسلوا) اكتفوا وقنعوا.

و(الحلم) بضم الحاء واللام ما يراه النائم في نومه.

ومعنىٰ البيت: وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ﷺ قوم غافلون كالنيام قنعوا عن معرفته برؤيته في المنام.

قال العارف الصاوي رحمه الله: إنه ﷺ احتوىٰ علىٰ صفات جمالية ظاهرة وباطنة لا تدخل تحت حصر وصفات جلالية كذلك وقد تبحر في ذلك العارفون قديما وحديثاً كحسان وكعب من الصحابة ﷺ والبوصيري والبرعي رحمة الله عليهما ولم يقفوا له ﷺ علىٰ حد وبالجملة فيكفينا في جماله وجلاله قول الله تعالىٰ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقوله عز وجل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وتفصيل ذلك تعجز القوىٰ عن إدراكه قال البوصيري:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

كذا في جواهر البحار لسيدي النبهاني رحمه الله تعالىٰ.

Scanned by CamScanner

٥٢- فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

شرح البيت رقم ٥٢:

الفاء للعطف وما بعدها كالنتيجة للسابق. والمبلغ: النهاية والمنتهى.

والمعنى: فمنتهى العلم فيه ﷺ أنه بشر وأنه ﷺ أفضل خلق الله كلهم وهذا أمر مجمع عليه فأفضل الخلق على الإطلاق هو سيدنا ومولانا محمد ﷺ إجماعاً.

٥٣- وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم

٥٤- فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

شرح البيتين رقمي ٥٣/٥٤:

لابد لفهم هذين البيتين من توطئة نتكلم فيها على ثلاثة محاور رئيسية ومهمة هي:

المحور الأول: في أولية سيدنا محمد ﷺ وبراهينها.

المحور الثاني: في نورانية سيدنا محمد ﷺ وأدلتها.

المحور الثالث: في إثبات كونه ﷺ أكمل المخلوقات ومنبع الكمالات.

وهاك الكلام على هذه المحاور مرتبة بعبارة سهلة وأسلوب واضح وحجة ظاهرة:

المحور الأول: في أولية سيدنا محمد ﷺ وبراهينها:

الأول: لغة: نقيض الآخر كذا في اللسان.

وقال ابن فارس: الأول: ابتداء الشيء.

واصطلاحا: فرد لا يكون غيره من جنسه سابقاً عليه ولا مقارنا له قاله الشريف في التعريفات.

Scanned by CamScanner

وسيدنا ومولانا محمد ﷺ أول الموجودات خلقاً وآخر الأنبياء مبعثاً والأدلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة من ذلك:

١- قوله تعالى في سورة الزخرف ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١].

قال السُّدي: أي لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له نقله ابن جرير في تفسيره ورجحه بقوله: وإذا كان في توجيهنا (إن) إلى معنى الجحد ما ذكرنا فالذي هو أشبه المعنيين بها الشرط وإذا كان كذلك فبينة صحة ما نقول من أن معنى الكلام قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم ولكنه لا ولد له فأنا أعبده بأنه لا ولد له ولا ينبغي أن يكون له ا.هـ.

وتبسيطه أن الرسول ﷺ أمره الله عز وجل أن يرد على المشركين ويحتج عليهم لإبطال نسبة الولد إلى الله بالاعتماد على علمه السابق الذي استحقه بسبب أولية وجوده وظهوره قائلا في الاحتجاج بذلك على الكفار لو كان الأمر كما تزعمون من نسبة الولد لله عز وجل لكنت أول من عبد الله تعالى بذلك الاعتقاد لأني أول من يعلم ذلك لأولية وجودي وأسبقيتي على المخلوقات ولمَّا لم أعبده كذلك فهذا برهان على استحالة نسبة الولد لله عز وجل.

والذي يؤكد هذا المعنى أنه ﷺ أطلق أولية العبادة بين العابدين تأمل قوله ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١].

تجده يشمل أولهم وآخرهم فعلى فرض اعتراضهم عليه ﷺ بقولهم فلو سلمنا أن لله ولدا وليس الأمر كذلك فأنى لك يا محمد أن توصف بأولية العبادة بين العابدين مطلقا والحال أنك ولدت بعد قوم سبقوك في عبادة الله بهذا الاعتقاد وهذا الاعتراض لا يجاب عنه إلا بقوله إني أول الموجودات فلو كان الأمر كما تدعون وهو مستحيل فيجب ضرورة أن

Scanned by CamScanner

أكون أول عابد بذلك ولو ولدت بعصركم هذا الذي تقدمه من عبد الله بهذا الاعتقاد الفاسد لأني وإن كنت ظهرت في عالم المشاهدة في هذا العصر إلا أن أصلي وحقيقتي الروحانية تقدم وجودها على جميع الحوادث وعليه فلا إشكال أن أكون أول العابدين.

وقد أشار إلى هذا المعنى الجليل الإمام العارف بالله ابن عربي قدس الله سره في تذكرة الخواص في عقيدة أهل الاختصاص بقوله: وإلى عبادته الأولى الإشارة بقوله تعالى (قل) يعني يا محمد ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾.

قاله ردا على من نسب إلى الله ولدا يعني لو كان لله ولد كما يزعمه فأنا كنت أحق وأولى بعلم ذلك من غيري لأني أول مخلوق فأنا أول العابدين ا.هـ.

٢- قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال القرطبي رحمه الله بعد ذكره لدعاء الافتتاح وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين....إلخ ما نصه:

ثم إذا قاله فلا يقل وأنا أول المسلمين إذ ليس أحدهم بأولهم إلا محمداً ﷺ فإن قيل أو ليس إبراهيم والنبيون قبله؟

قلنا: عنه ثلاثة أجوبة:

الأول: أنه أول الخلق أجمع معنىً كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة) أخرجه مسلم وفي حديث حذيفة رضي الله عنه (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق) أخرجه مسلم.

Scanned by CamScanner

الثاني: أنه أولهم لكونه ﷺ مقدماً في الخلق عليهم قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

قال قتادة رحمه الله: إن النبي ﷺ قال (كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث) أخرجه أبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم والديلمي وابن لال عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ فلذلك وقع ذكره ﷺ مقدما قبل نوح وغيره.

الثالث: أول المسلمين من أهل ملته قاله ابن العربي وهو قول قتادة وغيره.

٣- قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١].

روى ابن جرير في تفسيره عن علي بن أبي طالب ﷺ في الآية الشريفة قال: (لم يبعث الله عز وجل نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره بأخذ العهد على قومه).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما (ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه) أخرجه البخاري قاله الحافظ في الفتح ج٦ ص٥٢٨

قال الإمام المحقق الحافظ شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله: في هذه الآية من التنويه بالنبي ﷺ وعظيم قدره ما لا يخفى أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله ﷺ: (بعثت إلى الناس كافة) لا يختص بالناس في زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا.

Scanned by CamScanner

وإنما أخذ الله المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وفي (أَخَذَ) وهي في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾.

لطيفة أخرى: وهي كأنها البيعة التي تأخذ للخلفاء ولعل أيمان الخلفاء أخذت من هذا فانظر إلى هذا التعظيم للنبي ﷺ من ربه فإذا عرفت هذا فالنبي ﷺ نبي الأنبياء ويظهر ذلك في الآخرة عند ما يحشر جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا ظهر ذلك ليلة الإسراء حيث صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ﷺ ونصرته.

وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته ﷺ ورسالته إليهم معنى حاصل له وإنما إمارته عليهم متوقف على اجتماعهم معه فتأخرها راجع إلى سبق وجودهم لا إلى عدم اتصافه بما تقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقف أهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي ﷺ الشريفة وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتي عيسى ﷺ في آخر الزمان على شريعته ﷺ وهو نبي كريم لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحداً من هذه الأمة نعم هو واحد من هذه الأمة لما قلنا من اتباعه للنبي ﷺ إنما يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ فكل ما فيها من أمر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر هذه الأمة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء.

ولذلك لو بعث النبي ﷺ في زمانه أو زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لكانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم والنبي ﷺ نبي الله ورسوله إلى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم ويتفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع إما على سبيل التخصيص

Scanned by CamScanner

وإما على سبيل النسخ أو لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي في تلك الأوقات بالنسبة إلى تلك الأمم مما جاءت به أنبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة الشريفة والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات ا.هـ كلام السبكي رحمه الله وهو نفيس للغاية.

٤- قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

قال قتادة: إن النبي ﷺ قال (كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث) فلذلك وقع ذكره هنا مقدما قبل نوح وغيره ا.هـ هكذا نقله جمع كبير من المفسرين وقال الألوسي هذا إشارة إلى قوله ﷺ (أول ما خلق الله تعالى نوري).

٥- قال تعالى ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤].

قال الزجاج: عنى بالإنسان ها هنا النبي ﷺ علمه البيان أي القرآن الذي فيه بيان كل شيء ا.هـ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن كيسان الإنسان ها هنا يراد به محمد ﷺ والبيان بيان الحلال والحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لأنه يبين عن الأولين والآخرين ويوم الدين ا.هـ. قرطبي والخازن وروح المعاني وزاد المسير.

٦- روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله تعالى قال: (هو نور نبيك يا جابر...) الحديث.

٧- وروى عبد الرزاق عن سفيان بن عيينة عن الإمام مالك أنه كان يقول دائما (اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ﷺ) ومعلوم أن هذا الإسناد صحيح إلى مالك رضي الله عنه.

٨- أخرج أبو طاهر المخلص في الفوائد قال حدثنا أبو عبد الله يحيى بن محمد ابن السكن البزار قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا

Scanned by CamScanner

مبارك بن فضالة قال حدثنا عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لما خلق الله تعالىٰ آدم عليه السلام خبره ببنيه فجعل يرىٰ فضائل بعضهم علىٰ بعض فرآىٰ نوراً ساطعاً في أسفلهم فقال يا رب من هذا قال ابنك أحمد هو أول وهو آخر وهو أول مشفع) هذا حديث حسن لذاته أبو عبيد الله يحيىٰ بن محمد بن السكن ثقة احتج به البخاري ووثقه النسائي. وقال الأزدي: لا بأس به كما في تهذيب الكمال.

وقال الذهبي في الكاشف: ثقة. وقال الحافظ في التقريب: صدوق من الحادية عشر. وحبان بن هلال ثقة ثبت أخرج له الجماعة ومبارك بن فضالة وثقه أبو زرعة وأحمد وابن معين. وقال البزار: لا بأس به. وقال أبو داود: ثبت كان يدلس. ووثقه ابن حبان ورجح بن أبي حاتم توثيقه. وقال الحافظ: صدوق يدلس. أقول: ولا يضره التدليس لتصريحه بالتحديث. وعبد الله بن عمر بن حفص بن عمر بن الخطاب ﷺ ثقة ثبت كما في التقريب وخبيب أخرج له الجماعة ووثقه ابن معين والنسائي وحفص بن عاصم احتج به الجماعة ثقة مدني.

وأخرجه البيهقي في دلائله قال أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن سيما المقرئ قدم علينا حاجا حدثنا أبو سعيد الخليل بن أحمد بن القاضي السجزي أنبأنا أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا أبو عبيد الله يحيىٰ بن محمد بن السكن وساق السند إلىٰ آخره وجاء في المتن (هذا ابنك أحمد هو الأول والآخر) بالألف واللام المفيدة للاستغراق أي أن هذا النور المخلوق حاز قصب السبق من الفضائل في البدايات والنهايات.

٩- أخرج بن أبي حاتم في تفسيره قال حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا عيسىٰ بن عبد الله التميمي يعني أبا جعفر الرازي عن الربيع بن أنس البكري عن أبي العالية مرفوعا عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في هذه الآية ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا

Scanned by CamScanner

مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

فذكر حديثا طويلا إلى أن قال: (فكلمه ربه عند ذلك قال له: سل. قال: إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجبال والجن والإنس وسخرت له الشياطين والرياح وأعطيته ملكا عظيما لا ينبغي لأحد بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذنك وأعذته وأمه من الشيطان فلم يكن له عليهما سبيل. فقال له ربه: قد اتخذتك خليلا ـ قال وهو مكتوب في التوراة خليل الرحمن ـ وأرسلناك إلى الناس كافة بشيرا ونذيراً وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معي ـ يعني بذلك الأذان ـ وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلت أمتك لا تجوز عليهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم مبعثا وأتيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما).

أقول: ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره والحاكم وصححه من طريق أبي العالية والهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه للبزار أيضا ورواه البيهقي وابن عساكر أقول وهو حديث حسن وله شواهد.

وقد دل هذا الحديث القدسي أن النبي ﷺ أول البشر خلقا وأنه آخر الأنبياء مبعثا وهذا معنى قوله في الحديث القدسي (وجعلتك أول البشر خلقا وآخرهم مبعثا) أي وآخر الأنبياء مبعثا ويؤكد هذا المعنى قوله في الحديث القدسي (وجعلتك فاتحا وخاتما) أي افتتحت بك

Scanned by CamScanner

الوجود وختمت بك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

١٠- عن قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) وهو مرسل صحيح أخرجه ابن سعد في الطبقات وابن جرير في التفسير والطبراني في مسند الشاميين وأخرجه موصولاً ابن أبي حاتم في تفسيره وزاد فبدأ بي قبلهم وابن عدي في الكامل وأبو نعيم في الدلائل والبغوي في التفسير وتمام في فوائده وهو حسن بشواهده.

١١- عن سلمان ﷺ قال: (يأتون محمداً ﷺ فيقولون له: يا نبي الله أنت الذي فتح الله بك وختم به وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر جئت في هذا اليوم آمنا وترىٰ ما نحن فيه فقم فاشفع لنا إلىٰ ربك...) وذكر حديث الشفاعة أخرجه بن أبي شيبة في مسنده وفي المصنف. قال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية: صحيح موقوف أقول هو علىٰ شرط الشيخين وله حكم الرفع.

١٢- عن العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسىٰ ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين ترين) أخرجه أحمد وهو صحيح لغيره.

وعند أحمد كذلك عن عرباض بن سارية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (إني عند الله خاتم النبيين فذكر مثله وزاد فيه إن أم رسول الله رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام) وهو صحيح لغيره.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة والبخاري في تاريخه الكبير وابن جرير الطبري في تفسيره وابن حبان والطبراني والبيهقي في الدلائل وللحديث شواهد كثيرة.

Scanned by CamScanner

وفي الحديث دلالة على أنه ﷺ كان نبيا قبل جميع الأنبياء فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله ﷺ (بعثت إلى الناس كافة) لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا ويؤكد هذا المعنى الدليل التالي.

١٣- قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا سريج بن النعمان قال حدثنا حماد ـ هو ابن سلمة ـ عن خالد الحذّاء عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال: قلت يا رسول الله متى جعلت نبياً؟ قال (وآدم بين الروح والجسد) هذا حديث صحيح والرجل هو الصحابي ميسرة الفجر ﷺ.

وأخرجه بن أبي عاصم وابن سعد وابن أبي شيبة وفي الباب عن أبي هريرة ﷺ عند الترمذي وقال: حسن صحيح غريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما عند البزار.

قوله (وآدم بين الروح والجسد) أي قبل أن يخلق آدم. وقيل: قبل إدخال روحه في جسده.

ومن فسره بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يدرك المعنى إدراكاً جيداً لأن علم الله تعالى محيط بجميع الأشياء فأي خصوصية تكون للنبي ﷺ في هذا الحديث إذا فسر بعلم الله؟ لأن جميع الأنبياء كانوا أنبياء في علم الله قبل خلق آدم.

فإن قيل: النبوة وصف ولا بد أن يكون الموصوف به موجوداً فكيف يوصف به قبل وجود ذاته ﷺ وقبل إرساله؟

قلنا: قد صح أن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد وخلق النبي ﷺ قبل جميع المخلوقات والأنبياء فتكون الإشارة بقوله كنت نبياً إلى أصل ذاته النورانية وهي روحه الشريفة فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وتأخر جسده الشريف لينال شرف ختم النبوة فهو الأول في النبوة روحاً والآخر في النبوة جسدا وهو ما تدل عليه الأدلة السابقة.

Scanned by CamScanner

قال العلامة التهانوي الحنفي في شرح حديث الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله متىٰ وجبت لك النبوة؟ قال (وآدم بين الروح والجسد) وظاهر أن بدنه لم يكن حينذاك فصفة النبوة كانت أعطيت لروحه. والنور المحمدي هو عبارة عن هذه الروح المحمدية.

فإن قال أحد: لعل المراد كتبت خاتم النبيين وقدر لي ذلك فلم يثبت به تقدمه علىٰ آدم.

فالجواب: لو كان المراد هذا فما وجه تخصيصه بهذا فإن تقدير جميع الخلائق مقدم علىٰ وجود آدم فهذا التخصيص بنفسه دليل علىٰ أنه لم يرد به التقدير بل ثبوت هذه الصفة وظاهر أن ثبوت صفة فرع ثبوت مثبت له فثبت بهذا تقدم وجوده ولما لم يكن تحقق وجوده بمرتبة البدن فتعين مرتبة النور والروح.

فإن قال أحد: ما معنىٰ ثبوت ختم النبوة بل نفس النبوة حينذاك وقد نبئ في أربعين سنة من عمره ولما كان ﷺ بعث أخيراً فحكم علىٰ نبوته بخاتمية النبوة؟

فهذا الثبوت كما لو عين شخص لمنصب ووظيفة فوظيفته تجري من يوم ما عين لذلك فيه لكن لا تظهر للناس إلا بعد ذهابه إلىٰ محل عمله كذا في نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب.

وقال العلامة محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله في شرح حديث الترمذي المذكور: أي كان النبي ﷺ نبيا وجرت عليه أحكام النبوة من ذلك الحين بخلاف الأنبياء السابقين فإن الأحكام جرت عليهم بعد البعثة كما في العرف الشذي. والله أعلم.

قال الإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في جامع الآثار في السير ومولد المختار بعد رواية حديث الترمذي: قالوا يا رسول الله متىٰ وجبت لك النبوة؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث أبي هريرة ﷺ لا نعرفه إلا من هذا

Scanned by CamScanner

الوجه.

وخرجه الحاكم في مستدركه وصححه وله طرق منها ما رواه خيثمة بن سليمان حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الطبري حدثنا حفص بن عمر البصري حدثنا الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا يا رسول الله متىٰ كنت نبيا؟ قال: (وآدم منجدل في طينته).

ورواه أبو الطيب طاهر بن علي حدثنا إبراهيم بن سلمة حدثنا محمد بن شعيب عن الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل النبي ﷺ متىٰ وجبت لك النبوة؟ قال: (بين خلق آدم ونفخ الروح فيه).

ورواه هشام بن عمار في المبعث فقال حدثنا محمد بن شعيب القرشي حدثنا الأوزاعي عن أبي عبيد الله أنه حدثه: أن رسول الله ﷺ سئل متىٰ وجبت لك النبوة؟ قال: (رحمة ربي ودعوة أبي إبراهيم وآدم منجدل في الطين).

قال ابن ناصر الدين رحمه الله بعد إيراد هذه الروايات: ومعنىٰ الحديث أن الله تعالىٰ أظهر نبوته للملائكة قبل تمام خلق آدم عليه السلام وليس معنىٰ الحديث أنه قدر ذلك الوقت أنه نبي كما قال بعضهم فإن ذلك التقدير والعلم كان أزليا قبل خلق آدم بجميع الكائنات فأي خصوصية تبقىٰ لنبوة محمد ﷺ في ذلك قال ذلك بقية المجتهدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي رحمه الله.

وقد سبقه إلىٰ معناه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني فقال في الدلائل بعد روايته الحديث الذي تقدم قبل: ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله ﷺ لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثه له ﷺ في آخر الزمان.

Scanned by CamScanner

قلت القائل هو ابن ناصر الدين الدمشقي ويعضد هذا ما رواه عبد الرحمن بن حمدان بن عبدالرحمن أبو محمد املاءً قال حدثنا هلال بن العلاء حدثنا ابن نفيل حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم عن الصنابحي قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ يا رسول الله متىٰ خلقت نبيا؟ قال: (وآدم منجدل في الطين).

وقال عبد الرحمن بن حمدان أيضا حدثنا عثمان بن خرزاد حدثنا أبو خيثمة حدثنا أبو معاوية عن إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك ﷺ: سئل رسول الله ﷺ متىٰ كنت نبيا؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد) وساق الطرق والروايات لهذا الحديث إلىٰ أن ذكر حديث بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر ﷺ قال: قلت يا رسول الله متىٰ كتبت نبيا؟ قال: (كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد) وقد ألزم الدارقطني الشيخين إخراج هذا الحديث ـ أي حديث بديل في الصحيح والله أعلم.

فإن قلت: جاء في بعض الأحاديث أن أول ما خلق الله القلم وجاء في بعضها إثبات أولية العرش وفي بعضها إثبات أولية الماء.

قلت: تكلم علىٰ ذلك العلماء للتوفيق بين الروايات ومن نصوصهم في ذلك:

قول ملا علي القاري رحمه الله: فعلم أن أول الأشياء علىٰ الإطلاق النور المحمدي ثم الماء ثم العرش ثم القلم فذكر الأولية في غير نوره ﷺ إضافية.

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي: اختلفت الروايات في أول المخلوقات وحاصلها كما بينتها في شرح الشمائل للترمذي: أن أولها النور الذي خلق منه النبي ﷺ ثم الماء ثم العرش.

وقال العلامة القسطلاني: واختلفوا في أول المخلوقات بعد النور المحمدي فقيل العرش لما صح من قوله ﷺ (قدر الله مقادير الخلق قبل

Scanned by CamScanner

أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) فهذا صريح في التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت مرفوعا (أول ما خلق الله القلم وقال له اكتب قال يارب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شيء) رواه أحمد والترمذي وصححه ولكن صح في حديث مرفوع من حديث ابن رزين العقيلي رواه أحمد والترمذي (أن الماء خلق قبل العرش) وفي قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] إشارة إليه ودلالة عليه فعلم أن أول الأشياء على الإطلاق النور المحمدي ثم الماء ثم العرش ثم القلم فذكر الأولية في غير نوره ﷺ إضافية. والله أعلم.

المحور الثاني: في نورانية سيدنا محمد ﷺ وأدلتها:

١- قال تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥].

قال الإمام المفسر الحافظ ابن جرير الطبري: يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب قد جاءكم يا أهل التوراة والإنجيل من الله نور يعني بالنور محمداً ﷺ الذي أنار الله به الحق وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك فهو نور لمن استنار به ومن إنارته الحق ﷺ تبيينه لليهود كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب. ا.هـ.

٢- قال الله عز وجل ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

Scanned by CamScanner

قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في جامع الآثار ومما حدث أبو الربيع سليمان بن داود العتكي الزهراني عن يعقوب القمي حدثنا جعفر بن أبي المغيرة عن شِمر بن عطية أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لكعب الأحبار: حدثني عن قول الله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

قال: أما قول الله تعالى (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) فالله نور السموات والأرض (مَثَلُ نُورِهِۦ) أي مثل نور محمد ﷺ (كَمِشْكَوٰةٍ) المشكاة الكوة ضربها مثلا لقمة المشكاة و (فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ) الزجاجة صدره الشريف (ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ) شبه صدر النبي بالكوكب الدري ثم رجع إلى المصباح أي قلبه فقال ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لم تصبها شمس الشرق ولا شمس الغرب ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يكاد محمد ﷺ يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت أن يضيء وهو لم تمسسه النار ثم قال ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ تابعه الهيثم بن جميل عن يعقوب القمي.

وهذا جاء من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في الآية فيما حدث به أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني عن بكر بن سهل حدثنا عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول هادي أهل السموات والأرض ثم انقطع الكلام ثم استأنف فقال عز وجل ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ يعني نور محمد ﷺ إذ كان مستودعا في صلب أبيه عبد الله ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ يعني كوة غير نافذة ـ بلسان الحبشة ـ ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ يعني بالمصباح قلب رسول الله ﷺ شبهه بالمصباح في الضياء والنور لما به من الإيمان والنور والنبوة والحكمة ثم

Scanned by CamScanner

ردد المصباح فقال يعني بالزجاجة صدره ﷺ ثم ردد في صدره يعني في الصفاء والحسن والنقاء مثل الزجاجة ثم ردد ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ يعني في الصفاء والحسن ويعني بالدري المضيء وهي الزهرة وليس في السماء نجم أضوء من الزهرة يريد كما تضيء الزهرة لأهل الأرض كذلك جعلت قلبه في صدره ثم قال ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾ يقول استنار نور محمد ﷺ من نور إبراهيم لأنه من ولده وعلى دينه ومنهاجه وذكر بقيته.

وجاء هذا التفسير أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وذلك فيما حدث به أبو الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان عن علي بن إسحاق بن إبراهيم الضبي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا علي بن ثابت حدثنا الوازع بن نافع عن سالم عن أبيه رضي الله عنه: ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ قال: المشكاة: جوف محمد ﷺ. والزجاجة والمصباح: النور الذي في قلبه ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾ قال: الشجرة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وخرجه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط فقال حدثنا أحمد بن منصور المدائني حدثنا سريح بن يونس حدثنا علي بن ثابت فذكره وقال لم يرو هذا الحديث عن سالم إلا الوازع بن نافع تفرد به علي بن ثابت قاله في الأوسط.

أقول: هذا الحديث حسن لغيره فالرواية الأولى نقلها ابن ناصر الدين عن الربيع بن سليمان بن داود العتكي وهو ثقة ويعقوب بن عبد الله أبو الحسن القمي صدوق يهم من الثامنة كما في التقريب وذكره ابن حبان في الثقات وجعفر بن أبي المغيرة صدوق يهم كما في التقريب وذكره ابن حبان في الثقات ونقل عن أحمد بن حنبل توثيقه وشمر بن عطية صدوق من السادسة كما في التقريب وقال النسائي ثقة كما في التهذيب وشمر روى عن شهر بن حوشب تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما ففي

Scanned by CamScanner

الرواية انقطاع على رأي الجمهور وهو مرسل على رأي الحنفية والمرسل عندهم مقبول.

ورواية ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبراني ضعيفة جدا ورواية ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي الشيخ والطبراني ضعيفة جدا لكن عموم الأدلة المطلقة المثبتة لنورانية النبي ﷺ تقوي هذه الروايات وتجعلها في عداد الحسن لغيره والله أعلم.

٣- أخرج بن أبي عمر العدني في مسنده كما في إتحاف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة قال حدثنا عمر بن خالد قال حدثني محمد بن عبد الله عن عبد الله بن الفرات عن عثمان بن الضحاك عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قال: (إن قريشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام يسبح ذلك النور فتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه فقال رسول الله ﷺ فأهبطه الله عز وجل إلى الأرض في صلب آدم فجعل في صلب نوح في السفينة وقذف في النار في صلب إبراهيم ولم يزل ينقلني من أصلاب الكرام إلى الأرحام حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط). ا.هـ.

أقول: وفي الحديث انقطاع الضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما فهو مرسل على قواعد الحنفية ثم للحديث متابعات وشواهد تجعله حسنا لغيره ومن شواهده قوله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

Scanned by CamScanner

وحديث جابر ﷺ عند عبد الرزاق بإسناد صحيح (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر) وأبيات العباس بن عبد المطلب ﷺ التي يقول فيها:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
حتىٰ احتوىٰ بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النُطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور سبل الرشاد نخترق

قوله: إذا مضىٰ عالم بدا طبق معناه: إذا مضىٰ قرن بدا قرن وقيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتي طبق آخر.

والنطق: جمع نطاق وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض أي نواح وأوساط منها شبهت بالنطق التي يشد بها أوساط الناس ضربه العباس ﷺ مثلا للنبي ﷺ في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال. وأراد ببيته: شرفه. والمهيمن: نعته أي حتىٰ احتوىٰ شرفك الشاهد علىٰ فضلك أعلىٰ مكان من نسب خندف: وهو اسم لقبيلة قريش لقبت به ليلىٰ بنت عمران أم عرب الحجاز زوجة إلياس بن مضر جدة النبي ﷺ لأنها أم مدركة وقد سميت القبيلة بهذا الاسم فيقال لها خندف وهو غير منصرف.

Scanned by CamScanner

وأبيات العباس ﷺ رواها البيهقي في الدلائل والحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير وابن الأثير في أسد الغابة والحافظ في الإصابة وابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين.

وأخرجه زكريا بن يحيىٰ في جزئه عن زحر بن حصن عن يحيىٰ الطائي وسمع زحر من جده حميد بن منهب وسمعه حميد من خريم الصحابي فهو إسناد متصل رجاله ثقات.

وفيه دليل علىٰ ارتضاء النبي ﷺ لمادحيه وفيه إثبات لنورانيته وتقلب ذلك النور وتنقله في الأصلاب الطاهرة والأرحام الزاكية وفيه دليل علىٰ نظم السيرة النبوية والمزايا المحمدية وقراءة ذلك وإنشاده وهذا هو المولد وهذا أول نظم في مولد رسول الله ﷺ وقد سمعه النبي ﷺ وارتضاه وأقره.

ومن الشواهد ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أنه قال: (رأيت النبي ﷺ بعيني هاتين وكان نوراً كله بل نوراً من نور الله من رآه بديهة هابه ومن رآه مرارا استحبه أشد استحباب) وإسناده صحيح صحيح صحيح.

وروىٰ عبد الرزاق أيضا أخبرني ابن عيينة عن مالك أنه كان يقول دائما (اللهم صل علىٰ سيدنا محمد السابق للخلق نوره) وإسناده صحيح إلىٰ مالك ﷺ.

وروىٰ عبد الرزاق عن معمر عن يحيىٰ بن أبي كثير عن ضمضم بن جوس اليماني عن أبي هريرة ﷺ قال: (ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في عينيه) ورجاله ثقات.

وروىٰ عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرني نافع أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لم يكن لرسول الله ﷺ ظل ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوءه ضوء السراج) وإسناده صحيح.

Scanned by CamScanner

وروىٰ عبد الرزاق عن معمر عن ابن جريج قال: (كان البراء ﷺ يكثر من قول اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آله بحر أنوارك ومعدن أسرارك) وهو مرسل علىٰ قواعد الحنفية لعدم سماع ابن جريج من البراء والمرسل مقبول.

وروىٰ عبد الرزاق عن يحيىٰ بن أبي زائدة وهو ثقة عن سليمان بن يسار وهو ثقة أحد الفقهاء السبعة مولىٰ ميمونة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قال علمني أبو قلابة وهو تابعي ثقة فاضل توفي سنة ١٠٤هـ (أن أقول بعد كل صلاة سبع مرات اللهم صل علىٰ أفضل من طاب منه النِّجار ـ الأصل والحسب ـ وسما به الفخار واستنارت بنور جبينه الأقمار وتضاءلت عند جود يمينه الغمائم والبحار).

وروىٰ عبد الرزاق عن ابن جريج وهو حافظ ثقة قال: قال لي زياد ـ هو ابن سعد بن عبد الرحمن الخرساني ثقة ثبت كان أثبت أصحاب الزهري روىٰ عنه مالك وسفيان بن عيينة وابن جريج وغيرهم ـ (لا تنسَ أن تقول بالغدوة والآصال اللهم صل علىٰ من منه أنشقت الأنهار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم).

وروىٰ عبد الرزاق عن معمر ـ وهو ثقة ـ عن ابن زائدة ـ وهو ثقة ـ عن ابن عون ـ وهو ثقة ثبت فاضل روىٰ عنه الثوري وشعبة وابن المبارك ووكيع ـ قال ابن عون: (علمني شيخي أن أقول ليل نهار اللهم صل علىٰ من خلقت من نوره كل شيء).

وأخرج أحمد بإسناد صحيح لا غبار عليه ولا مطعن فيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقىٰ عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدىٰ ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم علىٰ علم الله عز وجل).

Scanned by CamScanner

ومما ورد في الباب أيضا حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت قاعدة أغزل والنبي ﷺ يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبُهت فنظر إلي رسول الله ﷺ فقال: مالك يا عائشة بُهتِّ؟ قلت: جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره. قال: وما يقول أبو كبير؟ قالت: قلت يقول:

ومبرأ من كل غُبَّرِ حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قالت: فقام النبي ﷺ وقبل بين عيني وقال جزاك الله يا عائشة عني خيرا ما سُررت مني كسروري منك، أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه والخطيب في تاريخه والبيهقي في سننه وهو حديث حسن مداره على محمد بن إسماعيل البخاري رواه عنه اثنان هما:

١- داود بن سليمان بن خزيمة أبو محمد الكرميني القطان. ٢- ومحمد بن يوسف بن الحكم أبو عبد الله الصابوني ورواه عن داود اثنان:

١- أبو حازم عمر بن عبد العزيز الجرجاني ٢- وأوس بن أحمد بن أوس.

ورواه عن محمد بن يوسف ابنه أبو در محمد بن محمد مترجم في تاريخ بغداد.

وحدث به البخاري عن عمرو بن محمد بن جعفر الزنبقي قال ابن ناصر الدين الدمشقي بصري روى عنه البخاري خارج الصحيح.

أقول: والحديث مداره عليه ولم أجد من جرحه وقد روى عنه البخاري كما رأيت وكفى به متثبتاً ومتحرياً في الرجال.

عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن هشام بن عروة عن عائشة وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال: (كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين إذا

Scanned by CamScanner

تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه) رواه الترمذي في الشمائل والدارمي والبيهقي في الدلائل والطبراني في الأوسط.

وأخرج الطبراني بسنده قال حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا أيوب بن علي حدثنا زياد بن سيار عن عزة بنت عياض قالت: سمعت أبا قرصافة يقول (لما بايعنا رسول الله ﷺ أنا وأمي وخالتي فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن وجها ولا أنقىٰ ثوبا ولا ألين كلاما ورأينا كأن النور يخرج من فيه) أقول وهو حديث حسن.

وأخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال (كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ) قال النووي في شرح مسلم أزهر اللون: هو الأبيض المستنير وهي أحسن الألوان

وأخرج البخاري عن عبد الله بن كعب قال: (كان رسول الله ﷺ إذا سُر استنار وجهه حتىٰ كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه).

والأحاديث والآثار في الباب كثيرة وفيما ذكرنا كفاية وتبصرة لأولي الألباب.

المحور الثالث: في كونه أكمل المخلوقات ومنبع الكمالات:

أقول: الإجماع منعقد علىٰ أن سيدنا ومولانا محمد ﷺ هو أفضل المخلوقات ومنبع الكمالات وسيد السادات وأفضل الأنبياء والمرسلين ومقدم الأصفياء والمتقين وحبيب رب العالمين والأدلة علىٰ ذلك أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

روىٰ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (فضلت الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلىٰ الخلق كافة وختم بي النبيون).

Scanned by CamScanner

وروىٰ أحمد عن علي بن أبي طالب ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: (أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء) فقلت: ما هو يا رسول الله؟ قال ﷺ: (نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد وجعل لي التراب طهورا وجعلت أمتي خير الأمم).

وتواتر تواتراً معنويا عن النبي ﷺ قوله: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) رواه مسلم وهذا معلوم عند الصحابة ﷺ وقد قرروه تقريرا واضحا لا لبس فيه.

فهذا عبد الله بن مسعود ﷺ يقول (إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلا وأن صاحبكم ـ يعني النبي محمد ﷺ ـ خليل الله وأن محمدا ﷺ أكرم الخلائق علىٰ الله يوم القيامة ثم قرأ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]. رواه البيهقي في الدلائل.

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول (ما خلق الله خلقاً أحب إليه من محمد ﷺ وما سمعت الله عز وجل أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢] رواه البيهقي في الدلائل.

وقال بشر بن شفان: كنا جلوساً مع عبد الله بن سلام ﷺ يوم الجمعة فقال (إن أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة وإن أكرم خليقة الله علىٰ الله أبو القاسم ﷺ) **قلت**: رحمك الله فأين الملائكة؟ قال: فنظر إلي وضحك فقال: (يا ابن أخي وهل تدري ما الملائكة؟ إنما الملائكة خلق كخلق الأرض وخلق السماء وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلائق وإن أكرم الخلائق علىٰ الله أبو القاسم ﷺ.... الحديث) رواه البيهقي في الدلائل.

وقال أبو هريرة ﷺ (سيد ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم الصلاة والسلام وخيرهم محمد ﷺ) رواه البيهقي في دلائل النبوة.

Scanned by CamScanner

فهذه الروايات والآثار الصحيحة صريحة في تفضيل سيدنا ومولانا محمد ﷺ وتفرده عن جميع الخلائق وتميزه في شرف أصله وكمال حقيقته وذاته الشريفة المطهرة فهو بشر لا كالبشر رسول لا كالرسل نبي لا كالأنبياء بل هو إمامهم وقدوتهم وهو رسول للعالمين بما في ذلك الأنبياء والمرسلين ومما يدل على أنه رسول للأنبياء والمرسلين قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

ولعلو رتبة النبي محمد ﷺ عند ربه عز وجل رفعه على العالمين وافتتح به الوجود وخلق أصله نوراً وجعله الأول والآخر هذا ما دلت عليه النصوص وصرح به الصحابة ونص عليه السلف وتلقاه الخلف فعلى المسلم أن يعتقد في نبيه ﷺ ما يليق بقدره الشريف ويصدق بما يثبت له من الخصائص وذلك كأوليته ونورانيته ﷺ.

إذا تقرر ذلك فهاك شرح البيتين رقمي ٥٣-٥٤: قوله (وكل آي) الآي: جمع آية بمعنى المعجزة. و(الرسل) بسكون السين لضرورة الوزن.

و(الكرام) جمع كريم: وهو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. وضمير (بها) راجع إلى الآي. و (أنما) للحصر. قوله (فإنه شمس) هذا تعليل للبيت قبله وإنما قيل له ﷺ شمس فضل لأن كل كمال تحلى به غيره من الأنبياء فهو مستمد من نوره كما أن نور الكواكب مستفاد من نور الشمس.

وضمير (أنوارها) للشمس. و(الظلم): جمع ظلمة والمراد بها ظلم الضلالات.

Scanned by CamScanner

ومعنىٰ البيتين: وكل معجزة ظهرت علىٰ يد رسول من الرسل الكرام ـ عليهم الصلاة السلام ـ فإنها ما ظهرت إلا بواسطة نوره ﷺ لأنه شمس سماء العلوم والكمالات كلها والرسل كواكبها ما زالت تظهر الأنوار المقتبسة من تلك الشمس للناس في ظلم الجهالات والضلالات حتىٰ إذا ظهرت الشمس اختفت الكواكب حتىٰ لا يُرىٰ لها أثر.

أقول: قد علمت من الأدلة السابقة أن الله عز وجل افتتح الوجود بنور محمد ﷺ وخلق روحه الشريفة قبل الأرواح وخلع عليها خلعة النبوة ثم خلق أرواح البشر وأمر أرواح الأنبياء أن يؤمنوا به وأخذ عليهم الميثاق باتباعه إن أدركوه فلما أجابوه أشرق عليهم نوره الروحاني الرباني وصارت في أرواحهم قوىٰ مستعدة لإظهار المعجزات كما لأولياء أمته إذا أظهروا الكرامات لما أشرق عليهم نوره حتىٰ قالوا كل كرامة لولي معجزة لنبي فافهم ولا تكن من الغافلين.

٥٥- أكرم بخلق نبي زانه خلق بالحسن مشتمل بالبشر متسم

شرح البيت رقم ٥٥:

(أكرم) صيغة أمر معناه التعجب إنشاء لفظاً وخبر معنىً (بخلق نبي) بصورة نبي موصوف بأنه شمس فضل وتنوين نبي للتعظيم وتنكيره لإرادة التمكن من إجراء الأوصاف عليه (زانه) أي زان ذلك الخلق منه أو زان ذلك النبي خلق بضمتين.

والخلق: ملكة يصدر عنها الفعل بسهولة. والمراد هنا الأوصاف الروحانية والمعاني المستحسنة المسمىٰ بمكارم الأخلاق. وخلق مفرد يراد منه الجنس كما في قوله تعالىٰ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

(بالحسن مشتمل) الحسن المحسوس: تناسب الأعضاء وكونها علىٰ صورتها الأصلية مع صفاء البشرة واعتدال القامة. وشبه الحسن بلباس علىٰ سبيل الاستعارة المكنية وأثبت لازمه وهو الاشتمال لذلك

Scanned by CamScanner

قال (بالحسن مشتمل) أي كأنه صار الحسن له كالثوب فهو مشتمل به. (بالبشر) البشر: بالكسر طلاقة الوجه والبشاشة (متسم) أي متصف.

ومعنىٰ البيت: ما أحسن صورة نبي مزين بالأخلاق الحسنة مشتمل بالحسن متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه كما جاء في رواية الترمذي في شمائله عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال الحسين ﷺ: سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه فقال: (كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ...) الحديث.

وروىٰ الترمذي في الشمائل عن عبيد الله بن الحارث بن جزء أنه قال (ما رأيت أحداً أكثر تبسما من رسول الله ﷺ).

٥٦- كالزهر في ترف والبدر في شرف والبحر في كرم والدهر في همم

شرح البيت رقم ٥٦:

(كالزهر) خبر لمبتدأ محذوف أي هو ﷺ كالزهر. وزهر النبات: نوره الواحدة زهرة مثل تمر وتمره. والترف: اللين والنضارة.

والكرم: وصف جامع لكل خير وشرف وضده اللؤم وفي العرف بمعنىٰ الجود فيقابله البخل وهو المراد هنا. والدهر: اسم للزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا.

والهمم: جمع همة. والهمة: بالكسر أول العزم وقد تطلق علىٰ العزم القوي فيقال لها همة عالية. ونسبة الهمم إلىٰ الدهر علىٰ عادة العرب فإنهم يجعلون للدهر عزمات وإرادات ويشبهون الممدوح به في تلك العزمات والإرادات.

ومعنىٰ البيت: هو ﷺ مثل الزهر في اللين والنضارة ومثل البدر في الشرف علىٰ سائر الخلق ومثل البحر في الجود ومثل الدهر في العزمات ووجه التشبيه بالدهر أن جميع الحادثات لا تقع إلا فيه فنسبت إليه فالجاهل يعتقد تأثيره والموحد يعلم أن لا مؤثر غير الله عز وجل فإذا

Scanned by CamScanner

أسنده إلى الدهر فعلى سبيل المجاز العقلي من الإسناد إلى زمن الفعل وهذا استعمال شائع في العربية.

وفي البخاري عن أنس ﷺ قال: (ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي ﷺ ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ) وفي الشمائل للترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافا عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلق به فقال (كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر....) الحديث.

وورد في جوده وكرمه ﷺ أحاديث كثيرة منها ما في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)، وروى البخاري عن جابر ﷺ قال (ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال لا) ومعناه أنه ﷺ إذا أتاه مستحق يطلب عطاءه الشريف لا يجيبه بلا بل يعطيه إن كان عنده أو يعده بميسور من القول إن ساغ وإلا سكت أو دعا ﷺ.

وفي البخاري أيضا عن أنس ﷺ قال: أتي النبي ﷺ بمال من البحرين فقال: (أنثروه في المسجد) فكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ إذ جاءه العباس ﷺ فقال: يا رسول الله أعطني إني فاديت نفسي وفاديت عقيلا. قال: (خذ) فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع. فقال: مر بعضهم يرفعه علي.

قال: (لا) قال: فارفعه أنت علي. قال: (لا) فنثر ثم احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال ﷺ يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم.

Scanned by CamScanner

وقال ﷺ يوم حنين حين قسم الغنائم وعلقت به الأعراب تسأله حتىٰ اضطروه إلىٰ سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال: (أعطوني ردائي فلو كان عدد هذه العضاة نَعَماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا) والقصة في البخاري.

وفي مسلم عن أنس ﷺ: (أن رجلا سأل النبي ﷺ غنما بين جبلين فأعطاه إياه فأتىٰ قومه فقال: أي قوم أسلموا فوا الله إن محمدا ليعطىٰ عطاء من لا يخشىٰ الفقر).

وفي الشمائل الترمذية عن عمر بن الخطاب ﷺ: أن رجلا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه فقال النبي ﷺ (ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاء شيء قضيته) فقال عمر ﷺ يا رسول الله قد أعطيته فما كلف الله ما لا تقدر عليه فكره النبي ﷺ قول عمر ﷺ فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم رسول الله ﷺ وعرف البشر في وجهه لقول الأنصاري ثم قال (بهذا أمرت).

قال الإمام القسطلاني رحمه الله تعالىٰ كان جوده ﷺ كله لله وفي ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال تارة لفقير أو محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف به علىٰ الإسلام من يقوىٰ الإسلام بإسلامه وكان يؤثر علىٰ نفسه وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرىٰ وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار وربما ربط الحجر علىٰ بطنه الشريفة من الجوع وكان ﷺ قد أتاه سبي فشكت إليه السيدة فاطمة رضي الله عنها ما تلقىٰ من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال (لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوىٰ بطونهم من الجوع) ا.هـ مختصراً والحمد لله رب العالمين.

Scanned by CamScanner

٥٧- كأنه وهو فرد من جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم

شرح البيت رقم ٥٧:

(كأنه) ﷺ حين تلقاه أيها المخاطب حال كونه منفرداً بنفسه ﷺ قائم (في عسكر) الجيش الكثير (وفي حشم) الخدم.

تراه منفردا ﷺ كأنه في عسكر وفي حشم من أجل جلالته وعظمته فكما له هيبة ووقار في حال كونه في عسكر وفي حشم كذلك له هيبة ووقار في حال الانفراد بذاته وذلك لأجل جلالته وهيبته ووقاره ففي البيت بيان كمال هيبته ﷺ حتى أنه ﷺ كان منصورا بالرعب مسيرة شهر كما جاء في الصحيحين قوله ﷺ: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر...) الحديث قال الإمام القسطلاني رحمه الله تعالى في المواهب: وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر.

٥٨- كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف من معدني منطق منه ومبتسم

شرح البيت رقم ٥٨:

(كأنما اللؤلؤ المكنون) المصون (في صدف) أي غشاء (من معدني) بكسر الدال وفتح النون وسكون الياء تثنية معدن مضاف إلى (منطق) ومبتسم و(منه) نعت منطق والضمير له ﷺ. والمنطق والمبتسم إما مصدران فالإضافة بمعنى اللام. والمعدن للمنطق: هو القلب واللسان دليل عليه. ومعدن الابتسام: هو الفم. وإما اسما مكان فالإضافة على هذا بيانية أي من معدنين هما منطق منه ومبتسم أي مبتسم منه حذف الثاني لدلالة الأول عليه.

وفي هذا البيت شبه اللؤلؤ المكنون بكلامه وثغره ﷺ والأصل أن يشبه كلامه وثغره ﷺ باللؤلؤ المكنون بجامع الحسن في كل ولكن المصنف عكس التشبيه إشارة إلى أن الفرع لقوة وجه الشبه فيه صار

Scanned by CamScanner

أصلا والأصل لضعف وجه الشبه فيه صار فرعا ويسمىٰ التشبيه المقلوب وهو أبلغ في المدح كما في حاشية الباجوري رحمه الله تعالىٰ.

ومعنىٰ البيت: كأن اللؤلؤ المكنون في الصدف بارز من معدن كلامه ومعدن ابتسامه أو بارز من معدنين هما محل كلامه ومحل ابتسامه.

فتلخص لك أن ثغره في الفم الشريف يبدو عند ابتسامه ﷺ جاء في الشمائل الترمذية عن ابن أبي هالة ﷺ في وصف رسول الله ﷺ: (جل ضحكه التبسم يفتر عن مثل حب الغمام) أي يتبسم ويكثر حتىٰ تبدو أسنانه من غير قهقهة وهو من فرت الدابة فرا إذا كشفت شفتها لتعرف سنها وافتر يفتر افتعل منه. وحب الغمام: هو البرد. شبه به أسنانه في بياضه ونقائه وصفائه. وقيل حب الغمام: اللؤلؤ لأنه يحصل من ماء المطر.

وصح أيضا أنه ﷺ ضليع الفم والضليع العظيم وقيل الواسع وهذا دليل فصاحته لذلك كانت تجري كلماته عند الخطاب من القلب علىٰ اللسان كالدرر في الأصداف لذلك جاء في وصف أم معبد لرسول الله ﷺ (حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن) نقله ابن عبد البر في الاستيعاب ومعنىٰ خرزات نظم: أي جواهر منظومة في سلك.

وفي الشمائل الترمذية من حديث عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ (ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه ﷺ).

Scanned by CamScanner

٥٩- لا طيبَ يَعدِلُ تُرْبَا ضَمَّ أعظُمَهُ طوبى لمنتشق منه وملتثم

شرح البيت رقم ٥٩:

بعد أن أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى بعض كمالات سيدنا محمد ﷺ في حال الحياة أحب أن يشير إلى بعض محاسنه ﷺ في حال الذهاب إلى الرفيق الأعلى فقال رحمه الله:

لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه طوبى لمنتشق منه وملتثم

الطيب: ما يتطيب به من مسك ونحوه و(يعدل) يساوي والترب على وزن قفل لغة في التراب و(ضم) حوى والأعظم والعظام: جمع عظم. و(طوبى) فُعلى من الطيب أي طيبي فلما ضمت الطاء قلبت الياء واواً لمجانسة الضمة والمعنى: العيش الطيب وقيل طوبى اسم للجنة وقيل اسم لشجرة عظيمة في الجنة يسير الراكب في ظلها خمسمائة عام. ومنتشق: اسم فاعل من الانتشاق بمعنى: الاشتمام. منه الضمير يعود للترب و(ملتثم) الالتثام: التقبيل وقيل المراد به التضمخ والمراد الالتثام منه أي التراب حذفه من الثاني اكتفاء بدلالة الأول عليه.

والمعنى: لا شيء من أنواع الطيب يساوي طيب التراب الذي ضم جسده الشريف ﷺ طوبى لمن شمه وقبله ولا شك أن طيب التراب المذكور حصل له من طيبه ﷺ الذي هو أعلى وأغلى وأحلى أنواع الطيب.

قال العلامة الزرقاني رحمه الله تعالى في شرح المواهب: إنه ﷺ كان طيب الرائحة من حين ولد كما رواه أبو نعيم والخطيب (أن أمه آمنة لما ولدت قالت ثم نظرت إليه فإذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الأذفر) ا.هـ.

وفي المواهب للإمام القسطلاني رحمه الله تعالى أن الرائحة الطيبة كانت صفته ﷺ وإن لم يمس طيبا. روينا عن أنس رضي الله عنه قال (ما شممت ريحاً قط ولا مسكا ولا عنبر أطيب من ريح رسول الله ﷺ) ا.هـ.

Scanned by CamScanner

قلت: الحديث رواه أحمد وفي رواية البخاري (ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي ﷺ) وعند الترمذي (ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ) وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (كان في رسول الله ﷺ خصال: لم يكن في طريقٍ فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر إلا سجد له) رواه الدارمي والبيهقي وأبو نعيم. وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال (دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا ـ من القيلولة ـ فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ ﷺ فقال (يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟) قالت: هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب).

وروى الطبراني في معجمه الصغير عن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي قالت: كنا عند عتبة أربع نسوة فما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب إلا أن يمس دهنا يمسح به لحيته ولهو أطيب ريحا منا وكان إذا خرج إلى الناس قالوا ما شممنا ريحا أطيب من ريح عتبة فقلت له يوما: إنا لنجتهد في الطيب ولأنت أطيب ريحاً منا فمم ذلك؟ قال (أخذني الشرى ـ مرض بثور صغار حمر حكاكة ـ على عهد رسول الله ﷺ فأتيته فشكوت ذلك إليه فأمرني أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه وألقيت ثوبي على فرجي فنفث في يده ثم مسح ظهري وبطني بيده فعبق بي هذا الطيب من يومئذ).

وروى أبو يعلى والطبراني قصة الرجل الذي استعان بالنبي ﷺ على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعاه بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال (مرها فلتطيب به) فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين.

Scanned by CamScanner

وفي الخصائص الكبرىٰ للحافظ السيوطي ما نصه: أخرج البيهقي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت (وضعت يدي علىٰ صدر رسول الله ﷺ يوم مات فمر بي جُمعُ ـ جمع جمعة ـ آكل وأتوضأ ما يذهب ريح المسك من يدي) ا.هـ.

وأخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: غسل علي ﷺ النبي ﷺ فلم ير منه شيئا مما يراه من الميت فقال (بأبي أنت وأمي ما أطيبك حيا وميتا).

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الحارث: أن علياً ﷺ غسل النبي ﷺ فجعل يقول: (بأبي أنت طبت حيا وطبت ميتا. قال: وسطعت ريح طيبه لم يجدوا مثلها قط)

فتحصل من مجموع ما ذكرناه أن تربته ﷺ أفضل أنواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك إما لأنه كذلك في نفس الأمر أدركه من أدركه أم لا وإما باعتبار اعتقاد المؤمن في ذلك فإن المؤمن لا يعدل بشم رائحة تربته عليه الصلاة والسلام شيئاً من الطيب.

فإن قيل لو كان المراد الحقيقة الحسية لأدرك كل أحد قلنا لا يلزم من قيام المعنىٰ بمحل إدراكه لكل أحد إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع وعدم الإدراك لا يدل علىٰ عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل علىٰ انتفاء المدلول فالمزكوم مثلا لا يدرك رائحة المسك مع أن الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف عنه ولما كانت أحوال القبر من الأمور الأخروية لا جرم لا يدركها من الأحياء إلا من كشف له الغطاء من الأولياء الأتقياء الأصفياء المقربين لأن متاع الآخرة باق ومن في الدنيا فان والفاني لا يتمتع بالباقي لوجود التضاد.

ولا شك ولا ريب عندنا أن قبر سيدنا مولانا محمد ﷺ روضة من رياض الجنان وأنه أفضل القبور وإذا كان القبر قد حوىٰ جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام الذي هو أطيب الطيب وأفخر المسك وأجمل

Scanned by CamScanner

العطر فلا شك أنه لا طيب يعدل تراب قبره ﷺ.

ولهذا قرر العلماء أن هذا التراب أشرف تراب الأرض قال المحقق السمهودي الحنفي في وفاء الوفاء: انعقد الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة.

وحكاية الإجماع نقله القاضي عياض وكذا القاضي أبو الوليد الباجي قبله كما قال الخطيب ابن جمله وكذا نقله أبو اليمن ابن عساكر وغيرهم مع التصريح بالتفضيل على الكعبة الشريفة بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي: أن تلك البقعة أفضل من العرش. وقال التاج الفاكهي: قالوا لا خلاف أن البقعة التي ضمت الأعضاء الشريفة أفضل بقاع الأرض على الإطلاق حتى موضع الكعبة ثم قال وأقول أنا: أفضل بقاع السموات أيضا ولم أر من تعرض لذلك والذي اعتقده أن ذلك لو عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه ا.هـ.

ومن لطائف هذا البيت إشارة الناظم إلى النوعيين المستعملين في الطيب وهي الشم وأشار إليه بقوله لمنتشق والتضمخ وأشار إليه بملتثم وقيل المراد باللثم التقبيل.

ويتساءل كثير من الناس عن حكم لمس القبر وتقبيله وقد بسط الكلام عليه الإمام السمهودي الحنفي رحمه الله في وفاء الوفاء ص١٤٠٢ بقوله في آداب الزيارة: ومنها أن يجتنب لمس الجدار وتقبيله والطواف به والصلاة إليه قال النووي رحمه الله: لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر قاله الحليمي وغيره قال: ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته هذا هو الصواب وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء انتهى.

Scanned by CamScanner

وفي الإحياء: مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارىٰ واليهود. وقال الأقشهري: قال الزعفراني في كتابه: وضع اليد علىٰ القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تنكر شرعاً.

وروي أن أنس بن مالك ﷺ رأىٰ رجلاً وضع يده علىٰ قبر النبي ﷺ فنهاه وقال ما كنا نعرف هذا علىٰ عهد رسول الله ﷺ.

وقد أنكره مالك والشافعي وأحمد أشد الإنكار. وقال بعض العلماء: إنه إن قصد بوضع اليد مصافحة الميت يرجىٰ أن لا يكون به حرج ومتابعة الجمهور أحق. انتهىٰ.

وفي تحفة ابن عساكر: ليس من السنة أن يمس جدار القبر المقدس ولا أن يقبله ولا يطوف به كما يفعله الجهال بل يكره ذلك ولا يجوز والوقوف من بُعد أقرب إلىٰ الاحترام ثم روىٰ من طريق أبي نعيم قال أنبأنا عبد الله بن جعفر بن فارس حدثنا أبو جعفر محمد بن عاصم حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما: كان يكره أن يكثر مس قبر النبي ﷺ.

قال البرهان ابن فرحون بعد ذكره: وهذا تقييد لما تقدم وهو عن ابن عمر رضي عنهما في القبر نفسه فالجدار الظاهرة أخف إذا لم يكثر منه قال: وهو دال علىٰ قرب موقف الزائر ويفسر معنىٰ الدنو الذي عبر به مالك انتهىٰ.

وقال أبو بكر الأثرم قلت لأبي عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ قبر النبي ﷺ يلمس ويتمسح به؟ قال: لا أعرف هذا. قلت فالمنبر؟ قال: أما المنبر فنعم قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مسح المنبر ويرونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة أي رمانة المنبر قبل احتراقه.

ويروىٰ عن يحيىٰ بن سعيد شيخ مالك: أنه حيث أراد الخروج إلىٰ العراق جاء إلىٰ المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسن ذلك. قلت لأبي عبد

Scanned by CamScanner

الله: إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر وقلت له: ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحيته ويسلمون. فقال أبو عبد الله: نعم وهكذا كان ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما يفعل ذلك نقله ابن عبد الهادي عن تأليف ابن تيمية.

وقال العز بن جماعة بعد ذكر ما سبق عن النووي: وقال السروجي الحنفي: لا يلصق بطنه بالجدار ولا يمسه بيده، وقال عياض في الشفاء: ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر: لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلاً.

وقال ابن قدامة من الحنابلة في المغني: ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ﷺ ولا يقبله قال أحمد: ما أعرف هذا. قال الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي ﷺ بل يقومون من ناحيته فيسلمون قال أبو عبد الله وكان ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما يفعل ذلك انتهىٰ.

قال العز في كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية أبي علي بن الصوف عنه قال عبد الله: سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله ﷺ ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالىٰ. قال: لا بأس به. قال العز بن جماعة: وهذا يبطل ما نقل عن النووي من الإجماع.

قلت: النووي لم يصرح بنقل الإجماع لكن قوة كلامه تفهمه.

وقال السبكي في الرد علىٰ ابن تيمية في مسألة الزيارة: إن عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه فقد روىٰ أبو الحسين يحيىٰ بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله الحسيني في أخبار المدينة قال حدثني عمر بن خالد حدثنا أبو نباته عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبدالله بن حنطب قال: أقبل مروان بن الحكم فإذا رجل ملتزم القبر فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فقال (نعم لم آتِ الحجر

Scanned by CamScanner

ولم آتِ اللبن إنما جئت رسول الله ﷺ لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله) قال المطلب وذلك الرجل أبو أيوب الانصاري ﷺ قال السبكي: وأبو نباته يونس بن يحيى و من فوقه ثقات وعمر بن خالد لم أعرفه فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر وإنما أردنا بذكره القدح في القطع بكراهة ذلك. انتهى.

قلت: سبق في الفصل قبله أن أحمد رواه بأتم من ذلك عن عبد الملك بن عمرو وهو ثقة عن كثير بن زيد وقد حكم السبكي بتوثيقه فإنه الذي فوق أبي نباته في إسناد يحيى وقد وثقه جماعة لكن ضعفه النسائي كما سبق وتقدم أيضا أن بلالا ﷺ لما قدم من الشام لزيارة النبي ﷺ أتى القبر فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه وإسناده جيد كما سبق.

وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قال حدثني أبي عن جدي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي ﷺ قال: لما رُمِس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضى الله عنها فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

ذكر الخطيب ابن حجلة: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف وأن بلالا ﷺ وضع خديه عليه أيضا ثم قال: ورأيت في كتاب السؤالات لعبد الله بن الإمام أحمد وذكر ما تقدم عن ابن جماعة نقله ثم قال: ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الأذن في ذلك والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته فأناس حين يرونه لا يملكون

Scanned by CamScanner

أنفسهم بل يبادرون إليه وأناس فيهم أناة يتأخرون والكل محل خير. انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره فأما تقبيل يد الآدمي فسبق في الأدب وأما غيره فنقل عن أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وقبره فلم ير به بأسا واستبعد بعض اتباعه صحته عنه.

ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين.

ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري: أنه يجوز تقبيل القبر ومسه قال وعليه عمل العلماء الصالحين وأنشد:

لو رأينا لسليمى أثرا لسجدنا ألف ألف للأثر

وقال آخر:

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ونقل بعضهم عن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب بن عبد الله حدثنا إسماعيل بن يعقوب التيمي قال كان ابن المنكدر رحمه الله يجلس مع أصحابه قال وكان يصيبه الصمات فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبي ﷺ ثم يرجع فعوتب على ذلك فقال: إنه يصيبني خطرة فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي ﷺ وكان يأتي موضعا من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع فقيل له في ذلك فقال: رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع أراه قال في النوم انتهى كلام السمهودي الحنفي في وفاء الوفاء.

Scanned by CamScanner

أقول تلخص من كلام السمهودي رحمه الله: أن مس قبر النبي ﷺ وتقبيله محل خلاف بين العلماء فمنهم من ذهب إلى منعه من باب الأدب ولذلك صرحوا بالكراهة ومنهم من رأى جواز ذلك قال العلامة محمد بن سليمان الكردي المدني مفتي الشافعية: وأما التمسح بالقبور وبترابها فاختلف أئمتنا في ذلك فمنهم من أباح ذلك بل استحبه ومنهم من منع منه والمانع منه قائل بكراهته لا بحرمته فضلا عن القول بكفره ا.هـ.

وقال الإمام ابن حجر في حاشية الإيضاح للنووي بعد نقل الخلاف: وعلم مما تقرر كراهة مس مشاهد الأولياء وتقبيلها نعم إن غلبه أدب أو حال فلا كراهة إلى آخر ما أطال به ابن حجر الهيتمي في حاشيته. وقال الإمام الجمال الرملي في إيضاح المناسك الكبير بعد نقل الخلاف: اعلم أن عبارة المصنف تفيد أن علة الكراهة نفي الأدب فيعلم منه أنه لو قصد به التبرك فلا بأس به فقد نص الشافعي رحمه الله: على أن أي جزء قبّله من البيت فحسن، ويكره الانحناء للقبر الشريف وتقبيل الأعتاب ما لم يقصد به التبرك والتعظيم انتهى كلام الجمال الرملي بحروفه.

وفي الجنائز من حواشي الحلبي على شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا ما نصه: أفتى والد شيخنا بعدم كراهة تقبيل نحو قبور الصالحين بقصد التبرك كأعتاب محلهم ا.هـ.

وفي شرح البخاري للحافظ العيني الحنفي نقلاً عن شيخه الحافظ زين الدين العراقي ما نصه: وأما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك وأيدي الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية وقد سأل أبو هريرة رضي الله عنه الحسن رضي الله عنه أن يكشف له المكان الذي قبله رسول الله ﷺ وهو سرته فقبلها تبركا بآثاره وذريته ﷺ وقد كان ثابت البناني لا يدع يد أنس رضي الله عنه حتى يقبلها ويقول يد مست يد رسول الله ﷺ.

Scanned by CamScanner

وقال أيضاً: أخبرني الحافظ أبو سعيد العلائي قال: رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ: أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره فقال: لا بأس بذلك. فأريناه للشيخ تقي الدين ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول عجبت أحمد عندي جليل يقوله. هذا كلامه أو معنىٰ كلامه وقال وأي عجب في ذلك.

وقد روينا عن الإمام أحمد رحمه الله أنه غسل قميصاً للشافعي رحمه الله وشرب الماء الذي غسله به وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة، وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولقد أحسن مجنون ليلىٰ حيث يقول:

أمر علىٰ الديار ديار ليلىٰ أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وقال المحب الطبري: ويمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالىٰ فإنه إن لم يرد فيه خبر بالندب لم يرد بالكراهة قال وقد رأيت في بعض تعاليق جدي محمد بن أبي بكر عن الإمام عبد الله محمد بن أبي الصيف أن بعضهم كان إذا رأىٰ المصاحف قبلها وإذا رأىٰ أجزاء الحديث قبلها وإذا رأىٰ قبور الصالحين قبلها قال ولا يبعد هذا والله أعلم في كل ما فيه تعظيم لله تعالىٰ ا.هـ.

ما في عمدة القاري للبدر العيني رحمه الله.

وفي أسنىٰ المطالب: قال محب الدين الطبري: يجوز تقبيل القبر ومسه وعليه عمل العلماء والصالحين.

وقال الشهاب الخفاجي الحنفي عند قول عياض في الشفا يكره مسه وتقبيله وإلصاق الصدر عليه: وهذا أمر غير مجمع عليه ولذا قال أحمد والطبري: لا بأس بتقبيله والتزامه.

Scanned by CamScanner

وقال الزرقاني في شرح المواهب: تقبيل القبر الشريف مكروه إلا لقصد التبرك فلا كراهة ا.هـ.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في معجم شيوخه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ **قلت**: كره ذلك لأنه راءه إساءة أدب وقد سئل أحمد بن حنبل عن مس القبر النبوي وتقبيله فلم ير بذلك بأساً ورواه عنه ولده عبد الله بن أحمد.

فإن قيل فهلاّ فعل ذلك الصحابة قيل لأنهم عاينوه حياً وتملوا به وقبلوا يده وكادوا يقتتلون على وضوئه واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر وكان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجهه ونحن لمّا لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل ألا ترى كيف فعل ثابت البناني رحمه الله كان يقبل يد أنس بن مالك ﷺ ويضعها على وجهه ويقول: يد مست يد رسول الله ﷺ.

إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسوله أشد من حبه لنفسه وولده والناس أجمعين ومن أمواله ومن الجنة وحورها ألا ترى الصحابة من فرط حبهم للنبي ﷺ قالوا ألا نسجد لك فقال: (لا). فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلال وتوقير لا سجود عبادة كما قد سجد إخوة يوسف عليه السلام ليوسف عليه السلام وكذلك القول في سجود المسلم لقبر النبي ﷺ على سبيل التعظيم والتبجيل لا يكفر به أصلاً بل يكون عاصياً فليعرف أن هذا منهي عنه وكذلك الصلاة إلى القبر انتهى كلام الذهبي.

وقول الذهبي فإن قيل هلاّ فعل ذلك الصحابة.....؟ هو من باب التجوز وإلا فقد ورد عنهم ذلك كما في حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ المتقدم أخرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبي وأخذ السيدة فاطمة رضي الله عنها لقبضة من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها

Scanned by CamScanner

وبكت وأنشدت:

ماذا علىٰ من شم تربة أحمد أن لا يشم مدىٰ الزمان غواليا
صبت علىٰ مصائب لو أنها صبت علىٰ الأيام عدن لياليا

نقلها ابن عساكر وابن قدامة في المغني والسمهودي في وفاء الوفاء والقسطلاني في شرح البخاري وملا القاري في المرقاة والرحيباني الحنبلي في مطالب أولىٰ النهىٰ.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر عن أبي الدرداء ﷺ قال: لما دخل عمر ﷺ الشام سأله بلال ﷺ أن يقره به ففعل ثم إن بلالا رأىٰ النبي ﷺ في منامه وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني؟ فانتبه حزينا وركب راحلته وقصد المدينة فأتىٰ قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا له يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك ففعل وعلا السطح ووقف فلما أن قال: الله أكبر الله أكبر ارتجت المدينة فلما أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله ازداد رَجَّتُهَا فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدرهن وقالوا: بعث رسول الله فما رئي يوم أكثر باكيا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم ا.هـ قال السبكي في شفاء السقام روينا ذلك بإسناد جيد وقال الشوكاني في نيل الأوطار وقد رويت زيارته عن جماعة من الصحابة منهم بلال عند ابن عساكر بسند جيد.

روىٰ البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح إلىٰ عمر ﷺ: أنه خرج إلىٰ المسجد يوما فوجد معاذ بن جبل ﷺ عند قبر رسول الله ﷺ يبكي فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكيني حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول (اليسير من الرياء شرك ومن عادىٰ أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدىٰ يخرجون من كل غبراء مظلمة هكذا).

Scanned by CamScanner

وفي مصنف ابن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني أبو مودود قال حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: رأيت نفراً من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر القرعاء فمسوها ودعوا قال ورأيت يزيد يفعل ذلك.

وفي الشفاء للقاضي عياض: رئي ابن عمر رضي الله عنهما واضعا يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه.

وفي سير أعلام النبلاء للذهبي قال الإمام مالك: رأيت عطاء بن أبي رباح دخل المسجد وأخذ برمانة المنبر ثم استقبل القبلة.

والتبرك بآثار النبي ﷺ صحيح ثابت عن سلف الأمة لا شك في جوازه ففي صحيح البخاري باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ عن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها ويحدّث أن أباه كان يصلي فيها وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة.

وحدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي في تلك الأمكنة وسألت سالما فلا أعلمه إلا وافق نافعا في الأمكنة كلها إلا أنهما اختلفا في مسجد بسرف الروحاء وأطال البخاري رحمه الله بذكر حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما في تتبع آثار النبي ﷺ على طرق المدينة.

وفي صحيح البخاري باب الشرب من قدح النبي وآنيته وقال أبو بردة قال لي عبد الله بن سلام: ألا أسقيك في قدح شرب النبي ﷺ فيه. عن سهل بن سعد قال: أقبل النبي ﷺ يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه ثم قال اسقنا يا سهل فخرجت لهم بهذا القدح فأسقيتهم فيه فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه قال ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له...ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وقال الحافظ في الفتح: عن عاصم قال: رأيت القدح وشربت منه.

وأخرجه أبو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن أبي حمزة قال علي بن الحسن: وأنا رأيت القدح وشربت منه.

وذكر القرطبي في مختصر البخاري أنه رأى في بعض النسخ القديمة من صحيح البخاري قال أبو عبد الله البخاري رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت منه وكان اشتُرِيَ من ميراث النضر بن أنس بثمان مئة ألف ا.هـ.

وفي صحيح البخاري عن ابن سيرين قال قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء ٤ص٤٠ معلقاً على تمني عبيدة شعرة من رسول الله ما نصه: هذا القول من عبيدة هو معيار الحب وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس ومثل هذا ما يقوله هذا الإمام بعد النبي ﷺ بخمسين سنة فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعرة بإسناد ثابت أو شسع نعل كان له أو قلامة ظفر أو شقفة من إناء شرب فيه؟ فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك أكنت تعده مبذراً أو سفيها؟ كلا.... فابذل مالك في زورة مسجده الذي بنى فيه بيده والسلام عليه عند حجرته في بلده وتملأ بالحلول في روضته ومقعده فلن تكون مؤمنا حتى يكون هذا السيد أحب إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كلهم.

وقبَّل حجرا مكرّما نزل من الجنة وضع فمك لاثماً مكاناً قبَّله سيد البشر بيقين فهنَّاك الله بما أعطاك فما فوق ذلك مفخر ولو ظفرنا بالمِحجن الذي أشار به الرسول ﷺ إلى الحجر ثم قبّل محجنه لحق لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله ﷺ. وقد كان ثابت البناني رحمه الله إذا رأى أنس بن مالك رضي الله عنه أخذ بيده فقبلها ويقول يد مستها يد

Scanned by CamScanner

رسول الله ﷺ. فنقول نحن إذا فاتنا ذلك حجر معظم بمنزلة يمين الله في الأرض مسته شفتا نبينا ﷺ لاثما له فإذا فاتك الحج وتلقيت الوفد فالتزم الحاج وقبّل فمه وقل فم مس بالتقبيل حجرا قبّله خليلي. ا.هـ.

أقول: تقبيل ثابت ليد أنس ﷺ رواه أبو يعلىٰ في مسنده بإسناد جيد ولفظه عن ثابت قال (كنت إذا أتيت أنسا يخبر بمكاني فأدخل عليه فآخذ بيديه وأقول بأبي هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله ﷺ وأقبل عينيه وأقول بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ).

ويؤيد هذا المعنىٰ ما رواه أحمد وصححه الحاكم وأقره الذهبي عن عمر بن إسحاق قال: كنت مع الحسن بن علي رضي الله عنهما ولقينا أبو هريرة ﷺ فقال: أرني أقبل منك حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبل قال: فقال بقميصه. قال: فقبل سرته.

وفي حلية الأولياء عن عبد الله بن أحمد قال: رأيت أبي آخذاً شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها علىٰ فيه يقبلها وأحسب أني رأيته يضعها علىٰ عينيه ويغمسها في الماء ثم يشربه ثم يستشفي بها ورأيته قد أخذ قصعة للنبي ﷺ فغسلها في جب الماء ثم شرب فيها ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسح به يديه ووجهه.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء بعد روايته لقصة أحمد المذكورة ما نصه: أين المتنطع المنكر علىٰ أحمد وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي ﷺ ويمس الحجرة النبوية فقال: لا أرىٰ بذلك بأساً أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع ا.هـ. كلام الذهبي بحروفه.

وفي هذا القدر كفاية لمن كان له قلب أو القي السمع وهو شهيد والخلاصة:

١ - أن تقبيل القبر النبوي الشريف مسألة فقهية لا عقدية.

٢ - أن هذه المسألة خلافية والعلماء فيها علىٰ رأيين:

Scanned by CamScanner

أ – الكراهة لما في ذلك من إساءة الأدب.
ب – الجواز والاستحباب بقصد التبرك أو غلبة المحبة.
فافهم ولا تكن من الغافلين اللهم نوّر بصائرنا بنور المعرفة آمين.

٦٠- أبان مولده عن طيب عنصره يا طيب مبتدأ منه ومختتم

شرح البيت رقم ٦٠:

لما بين الناظم رحمه الله تعالى طيب انتهائه ﷺ في البيت السابق ذكر طيب ابتدائه في هذا البيت فقال (أبان مولده) الإبانة: الكشف والإظهار يقال أبان عن شيء أظهره. والمولد: بكسر اللام ظرف زمان وظرف مكان ومصدر ميمي بمعنى الولادة والمراد ها هنا الأول.

(عن طيب عنصره) العنصر: الأصل. وطيب عنصره: طهارته وخلوصه عما لا ينبغي وجوده. والمقصود بالنداء في (يا طيب) محذوف أي يا أيها العقلاء انظروا إلى طيب ابتدائه وانتهائه أي تولده ووفاته فالمبتدأ والمختتم مصدران ميميان ويجوز أن يكونا اسمي زمان و(منه) صفة لمبتدأ والضمير للنبي ﷺ وقوله (مختتم) أي مختتم منه وقيل الضمير للعنصر والمراد بالمبتدأ سيدنا أدم عليه السلام وبالمختتم سيدنا عبدالله عليه السلام.

ومعنى البيت: أظهر الله تعالى عند ولادته ﷺ طهارة أصله بالخوارق الآتي ذكر بعض منها فيا أولي الألباب انظروا بنظر التعجب إلى طيب ابتدائه وانتهائه وتفكروا فيه.

واعلم أيها المحب الكريم لهذا النبي العظيم أنه ﷺ لم يزل متطهراً من الأدناس البشرية قبل الظهور كما هي كذلك بعده فطهر الله تعالى لأجله نسبه الشريف من دنس الشرك وغيره وشاهد ذلك حديث البخاري (بعثت من خير قرون بني أدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه) وحديث أبي نعيم في الدلائل (لم يلتق أبواي قط على

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

سفاح ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفىً مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما).

وفي صحيح مسلم وجامع الترمذي من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفاني من بني هاشم) وخرجه ابن حبان وزاد (فأنا سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع ومشفع).

وروى أحمد والترمذي وحسنه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن العباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه ثم حين فرقهم جعلني من خير الفريقين ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلة ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفساً).

وروى البزار في مسنده وابن شاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما (دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية منا رسول الله ﷺ فقالوا تنبت النخلة أو الشجرة في الأرض الكُباثه فذكرت ذلك صفية لرسول الله ﷺ فغضب وأمر بلالا فنادى في الناس فقام على المنبر فقال (يا أيها الناس من أنا؟) فقالوا: أنت رسول الله ﷺ فقال (انسبوني) قالوا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. قال (فما بال أقوام ينزلون أصلي فوالله إني لأفضلهم أصلا وخيرهم موضعا).

وروى البيهقي عن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن رسول الله ﷺ قال: (أيها الناس إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني في خير الفريقين ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلا ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتا فأنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتا).

وروىٰ الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم فاختارني في بني هاشم فأنا من خيار إلىٰ خيار).

وروىٰ ابن سعد والبيهقي عن الباقر ﷺ مرسلا (إن الله اختار العرب فاختار منهم كنانة ثم اختار منهم قريشا ثم اختار منهم بني هاشم ثم اختارني من بني هاشم).

وفي رواية لابن سعد عنه بنحوه وزاد (ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم ثم اختارني من بني عبد المطلب).

وروىٰ ابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ولدتني بغي قط مذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتىٰ خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة).

وروىٰ الحكيم الترمذي عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ مرسلا أن رسول الله ﷺ قال (أتاني جبريل فقال: يا محمد إن الله عز وجل بعثني فطفت في شرق الأرض وغربها وسهلها وجبالها فلم أر حيا خيرا من العرب ثم أمرني فطفت في العرب فلم أجد حيا خيرا من مضر ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حيا خيرا من كنانة ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حيا خيرا من قريش ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حيا خيرا من بني هاشم ثم أمرني أن أختار من أنفسهم فلم أجد فيهم نفسا خيرا من نفسك).

وروىٰ البيهقي وابن عساكر عن أنس ﷺ قال خطب النبي ﷺ فقال: (أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وما

Scanned by CamScanner

افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عُهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتىٰ انتهيت إلىٰ أبي وأمي فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا).

وروىٰ ابن مردويه عن أنس ﷺ قال (قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني بفتح الفاء فقال علي بن أبي طالب ﷺ يا رسول الله ما معنىٰ أنفسكم؟ فقال ﷺ (أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فيّ ولا في أبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح).

وقال تعالىٰ ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال ابن عباس رضي الله عنهما (لم يزل ينقل من أصلاب طيبة إلىٰ أرحام طاهرة).

وقال جمع من المفسرين: إن معناه أن نوره ﷺ يتقلب من ساجد إلىٰ ساجد أي من مصل إلىٰ مصل وفي هذا المعنىٰ يقول أبو طالب:

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخر فعبد مناف سِرُّها وصميمها
وإن حُصِّلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافُها وقديمُها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً هو المصطفىٰ من سرها وكريمها

وقال حسان ﷺ:

لله فيما قد برأ صفوة وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم محمد النور أبو القاسم

دلت هذه الأحاديث والآيات والآثار علىٰ طهارة أصله ﷺ وشريف نسبه وهذا أمر مجمع عليه ومن طهارة أصله ﷺ القول بإيمان أبائه وأمهاته ونجاتهم وهذا ما عليه جمهور أهل السنة والجماعة وهو ما نعتقده وندين الله عز وجل به.

Scanned by CamScanner

واعلم أيها المحب الصادق للنبي ﷺ أن الاحتفال بمولده ﷺ دأب الصالحين وطريق العلماء المهدين وعليه عمل المسلمين قال في المواهب اللدنية: لازال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته فضل عميم ومما جرب من خواصه أنه أمان لذلك العام وبشرىٰ عاجله بنيل البغية والمرام فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشد علىٰ من في قلبه مرض ا.هـ كلام الحافظ القسطلاني في المواهب اللدنية.

وقد نص علماء الإسلام علىٰ مشروعية الاحتفال بذكرىٰ مولده ﷺ علىٰ الوجه الموافق للشريعة الخالي عن المنكرات وقد سئل شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله عن عمل المولد فأجاب بما نصه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحدٍ من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت علىٰ محاسن وضدها فمن تحرىٰ في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا قال وقد ظهر لي تخريجها علىٰ أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجّىٰ موسىٰ فنحن نصومه شكراً لله تعالىٰ.

فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالىٰ علىٰ ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة.

والشكر لله تعالىٰ يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي ﷺ نبي الرحمة في ذلك اليوم.

Scanned by CamScanner

وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه السلام في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه فهذا ما يتعلق بأصل عمله.

وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة.

وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به وما كان حراماً أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى ا.هـ نقل ذلك الحافظ السيوطي رحمه الله في حسن المقصد ثم قال: وظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة.

مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله تعالى إياه رحمة للعالمين وتشريعاً لأمته كما كان يصلي على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات ا.هـ.

قال الحافظ السيوطي رحمه الله: ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين ابن الجزري قال في كتابه المسمىّ عَرْفَ التعريف بالمولد الشريف ما نصه: وقد رُئي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وأمصُّ من بين أصبعيّ ماءً بقدر هذا ـ وأشار لرأس أصبعه ـ وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له.

Scanned by CamScanner

فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزيّ في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به فما حال المسلم الموّحد من أمة النبي ﷺ يسرُّ بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ لعمري إنما يكون جزاؤه من المولى الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم ا.هـ.

وقال الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في مورد الصادي في مولد الهادي ما نصه:

قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين لإعتاقه ثويبة سرورا بميلاد النبي ﷺ ثم أنشد:

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه بتبت يداه في الجحيم مخلّدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي طول عمره بأحمد مسروراً ومات موحدّا

وقال الحافظ السيوطي رحمه الله في وظائف اليوم والليلة: وعمل المولد كل سنة في ربيع الأول استبشاراً وسروراً بمولد النبي ﷺ حسن محمود.

وقال الإمام المحدث أبو شامة رحمه الله وهو شيخ النووي رحمه الله قال في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث: ومن أحسن ما ابتدع في زماننا هذا ما كان يفعل في مدينة إربل في كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإنه مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة المصطفى ﷺ وجلالته في قلب فاعله وشكرا لله على ما منَّ به من إيجاد نبيه ﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين ا.هـ.

وقال العلامة السيد أحمد بن عمر بن عبد الغني بن عابدين الحنفي في شرحه على مولد ابن حجر الهيتمي فقيه الشافعية: اعلم أن من البدع المحمودة عمل المولد الشريف في الشهر الذي ولد فيه ﷺ وأول من

Scanned by CamScanner

أحدثه الملك المظفر صاحب إربل قال ابن كثير في تاريخه كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل فيه احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عادلا وطالت مدته في الملك إلى أن مات وهو مُحَاصِرُ الفرنج بمدينة عكّا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة. ا.هـ.

وقال العلامة إبراهيم الحلبي الحنفي ـ صاحب الملتقى ـ في روح السير: وقد سئل الإمام المحقق أبو زرعة العراقي عن عمل المولد هل هو مستحب أو مكروه؟ وهل ورد فيه شيء؟ وهل نقل فعله عمن يقتدى به؟

فأجاب رحمه الله تعالى بأن اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كل وقت فكيف إذا انضم إلى ذلك الفرح والسرور بظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف ولا نعلم غير ذلك عن السلف ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروه فكم من بدعة مستحبة بل واجبة. ا. هـ.

وقال العلامة إبراهيم الحلبي الحنفي بعدما نقل استحسان فعل المولد عن جملة من الأعيان ما حاصله: أن ذلك مقيد بالسلامة من المنكرات الشرعية أما إذا حصل بسبب ذلك شيء من المنكرات المحرمة فهو حرام أقول وهذا ظاهر للعيان.

ونقل البرهان الحلبي الحنفي رحمه الله في روح السير عن الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله قوله إن قاصدي الخير وإظهار الفرح والسرور بمولد النبي ﷺ والمحبة له يكفيهم أن يجمعوا أهل الخير والصلاح والفقراء والمساكين فيطعموهم ويتصدقوا عليهم محبة له ﷺ فإن أرادوا فوق ذلك أمروا من ينشدُ المدائح النبوية والأشعار المتعلقة بالحث على الأخلاق الكريمة مما يحرك القلوب إلى فعل الخيرات والكف عن البدع والمنكرات أي لأن من أقوى الأسباب الباعثة على محبته ﷺ سماع الأصوات الحسنة المطربة بإنشاد المدائح النبوية إذا صادفت محلا قابلا فإنها تحدث للسامع شكرا ومحبة ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وقال السيد أحمد بن عابدين بعد نقل كلام البرهان الحلبي ما نصه: فالاجتماع لسماع قصة مولد صاحب المعجزات عليه أفضل الصلاة وأكمل التحيات من أعظم القربات لما يشتمل عليه من المبرّات والصِّلات وكثرة الصلاة عليه والتحيات بسبب حبه الموصل إلى قربه وقد صرح الأعلام بأن عمل المولد أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة لنيل البغية والمرام كما صرح به ابن الجزري ونقله عنه الحلبي في سيرته وكذا المؤلف ـ يعني ابن حجر الهيتمي ـ والقسطلاني في المواهب وممن نص على حسن المولد ملا على القاري الحنفي وكتب فيه المورد الرويّ في المولد النبوي ونقل القاري حسنه عن الإمام الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى.

وفي المهند للعلامة المحدث خليل أحمد السهارنفوري سؤال واحد وعشرين أتقولون إن ذكر ولادته ﷺ مستقبح شرعاً من البدعات السيئة المحرمة أم غير ذلك؟.

الجواب: حاشا أن يقول أحد من المسلمين فضلاً أن نقول نحن إن ذكر ولادته الشريفة عليه الصلاة والسلام بل وذكر غبار نعاله وبول حماره ﷺ مستقبح من البدعات السيئة المحرمة فالأحوال التي لها أدنى تعلق برسول الله ﷺ ذكرها من أحب المندوبات وأعلى المستحبات عندنا سواء كان ذكر ولادته الشريفة أو ذكر بوله وبرازه وقيامه وقعوده ونومه ونبهته كما هو مصرح في رسالتنا المسمّاة بالبراهين القاطعة في مواضع شتى منها في فتاوى مشايخنا رحمهم الله تعالى كما في فتوى مولانا أحمد علي المحدث السهارنفوري تلميذ الشاه محمد إسحاق الدهلوي ثم المهاجر المكي ننقله مترجماً لتكون نموذجا عن الجميع.

Scanned by CamScanner

سئل هو رحمه الله عن مجلس الميلاد بأي طريق يجوز وبأي طريق لا يجوز؟

فأجاب: بأن ذكر الولادة الشريفة لسيدنا رسول الله ﷺ بروايات صحيحة في أوقات خالية عن وظائف العبادات الواجبات وبكيفيات لم تكن مخالفة عن طريق الصحابة وأهل القرون الثلاثة المشهود لها بالخير بالاعتقادات التي لم تكن موهمة بالشرك والبدعة وبالآداب التي لم تكن مخالفة عن سيرة الصحابة التي هي مصداق قوله عليه الصلاة والسلام (ما أنا عليه وأصحابي) وفي مجالس خالية عن المنكرات الشرعية موجب للخير والبركة بشرط أن يكون مقروناً بصدق النية والإخلاص واعتقاد كونه داخلا في جملة الأذكار الحسنة المندوبة غير مقيد بوقت من الأوقات فإذا كان كذلك لا نعلم أحداً من المسلمين يحكم عليه بكونه غير مشروع وبدعة..... إلىٰ آخر الفتوىٰ.

فعلم من هذا أنا لا ننكر ذكر ولادته الشريفة بل ننكر علىٰ الأمور المنكرة التي انضمت معها كما شفتموها في المجالس المولودية التي في الهند من ذكر الروايات الواهيات والموضوعة واختلاط الرجال والنساء والإسراف في إيقاد الشموع والتزيينات واعتقاد كونه واجبا بالطعن والتكفير علىٰ من لم يحضر معهم مجلسهم وغيرها من المنكرات الشرعية التي لا يكاد يوجد خاليا منها فلو خلا من المنكرات حاشا أن نقول إن ذكر الولادة الشريفة منكر وبدعة وكيف يظن بمسلم هذا القول الشنيع فهذا القول علينا أيضاً من افتراءات الملاحدة الدجالين الكذابين خذلهم الله تعالىٰ وبغضهم برا وبحرا سهلا وجبلا وقد وقع علىٰ هذه الفتوىٰ سبعة عشر إماما من كبار علماء الحنفية في الهند وأيدها كبار علماء مكة والمدينة وعلماء الأزهر وعلماء الشام كما هو موضح بالاسم والصفة في المهند علىٰ المفند للإمام خليل أحمد السهارنفوري رحمه الله تعالىٰ.

Scanned by CamScanner

وقال الإمام ابن عبَّاد رحمه الله: وأما المولد فالذي يظهر لي أنه من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وإمتاع البصر والسمع والتزين بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب أمر مباح لا ينكر على أحد قياسا على غيره من أوقات الفرح. ا.هـ.

وقال العلامة فتح الله البناني في كتابه فتح الله في مولد خير خلق الله ﷺ: إن أحسن ما ابتدع في زماننا هذا كما قال الإمام أبو شامة وغيره ما يفعل كل عام في اليوم الذي يوافق مولده ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة النبي ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

وقال الحافظ السخاوي رحمه الله: لو لم يكن في ذلك ـ أي الاحتفال بمولده ﷺ ـ إلا إرغام الشيطان وسرور أهل الإيمان من المسلمين لكفى.

وقال السيد إسماعيل بن مهدي الغرباني في نفس الرحمن ما نصه: وفي الحقيقة أن يوم ولادته ﷺ أكبر أعيادنا وأعظم مسّراتنا وأجلّ مفاخرنا وأشرف أيامنا قال السخاوي: ولم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة وإنما حدث بعد ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم وقال ابن الجزري من خواصه ـ يعني القراءة الاحتفال بالمولد ـ أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام انتهى.

وقال ابن الرصاع في تذكرة المحبين ما نصه: من آداب المحب لهذا النبي ﷺ أن يكون معظماً لليلة ميلاده ولليوم الذي أظهره الله فيه فينبغي لكل محب أن يظهر السرور والبشارة في تلك الليلة وصبيحتها ويمتع أهله وأولاده بما أمكن ويدخل السرور عليهم ويذكر لهم صفة رسول الله ﷺ وجماله وحسنه وكماله وفضائله وشمائله وكلامه وفصاحته وكرمه

Scanned by CamScanner

وجوده وخلقه وعفوه وصفحه ومعجزاته وآياته وهذا عندي وعند كل محب من أحسن الرأي والنظر لأن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر ويذكر العامة بمحامد صفاته ومعجزاته ويسرد له ما أكرمه به مولاه وخصّه من آياته ا.هـ. ملخصاً.

وقال العلامة محمد البكري رحمه الله في مورد الصفا في مولد المصطفىٰ: والاعتناء بوقت مولده ﷺ وإظهار السرور فيه وعمل المولد وقراءة القرآن وإنشاد المدائح النبوية والزهدية والعرفانية وإطعام الطعام والصدقات السنية أمر حسن يثاب فاعله الثواب الحسن الجزيل بالقصد الجميل وكان عمل المولد لم ينقل عن أحد من السلف الصالح والقرون الثلاثة الفاضلة وإنما حدث بعدها فهو بدعة حسنة عند من حقق العلم وأتقنه ا.هـ.

قال شيخنا الإمام العلامة المحقق السيد محمد بن علوي المالكي المكي رحمه الله رحمة الأبرار وألحقنا به صالحين إن أول المحتفلين بالمولد هو صاحب المولد وهو النبي ﷺ كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم لما سئل عن صيام يوم الاثنين قال ﷺ (ذاك يوم ولدت فيه) فهذا أصح وأصرح نص في مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. ا.هـ.

فهؤلاء علماء الإسلام الذين ينتهي إليهم معرفة الحلال والحرام والذين أوجب الله علينا سؤالهم عن أحكام الإسلام يقررون بالعبارات الواضحة مشروعية الفرح والسرور والاحتفال بمولد الحبيب ﷺ علىٰ الوجه الأكمل الموافق للشريعة ويحذرون مما لا يحل وكفىٰ بهم قدوة لمن نور الله بصيرته.

ومن أقوىٰ الأدلة علىٰ مشروعية الفرح برسول الله ﷺ قوله تعالىٰ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:٥٨].

Scanned by CamScanner

فالله عز وجل أمرنا أن نفرح بالرحمة والنبي ﷺ أعظم رحمة بنص القرآن قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وهذا ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يفسر الآية الشريفة بذلك فيقول: فضل الله: العلم. ورحمته: محمد ﷺ.

ويقرأ قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] كما في الدر المنثور للحافظ السيوطي رحمه الله.

فالفرح به ﷺ مطلوب في كل وقت وفي كل نعمة وعند كل فضل ولكنه يتأكد في كل يوم اثنين وفي كل شهر ربيع لقوة المناسبة وملاحظة الوقت ومعلوم أنه لا يغفل عن المناسبة ويعرض عنها في وقتها إلا مغفل أحمق يجهل فقه المناسبات ويحرص على فقه المخاصمات والمشاغبات.

وقصة أبي لهب في فرحه بولادة النبي وعتقه لثويبة تقدم نقلها عن ابن الجزري فقد جاء أنه يخفف عن أبي لهب كل يوم اثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى ﷺ وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح مرسلا ورواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه والحافظ البيهقي في دلائل النبوة والحافظ ابن كثير في البداية والحافظ البغوي في شرح السنة وذكره إمام أهل السير ابن هشام وذكره السهيلي في الروض والعامري في بهجة المحافل. وقد تلقى العلماء هذه القصة بالقبول وتناقلها الأكابر والفحول.

وفي الحلية لأبي نعيم عن وهب بن منبه قال كان رجل عصى الله مائة سنة ـ أي في بني إسرائيل ـ ثم مات فأخذوه وألقوه في مزبلة فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن أخرجه فصلِّ عليه. قال: يا رب إن بني إسرائيل شهدوا أنه عصاك مائة سنة. فأوحى الله إليه: هو كذلك إلا أنه كلما نشر التوراة ونظر إلى اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

فكيف بمن يحب النبي ﷺ ويتفانىٰ في محبته من أمة محمد ﷺ ويعظمه وينفق من أجله في مثل يوم ولادته أمولاً للفقراء والمساكين ويعمل علىٰ إحياء تلك الليالي بذكر سيرته وإنشاد مدائحه وسرد فضائله وشرح خصائصه وما صح في قصة ولادته.

وقد حكىٰ لنا الله قصة مولد عيسىٰ وموسىٰ ويحيىٰ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في القرآن وما جرىٰ عند ولادتهم من الآيات وذكر لنا قصة ولادة الصديقة مريم ـ عليها السلام ـ تعريفا بفضلها ذكر ذلك في آل عمران والشعراء والقصص ومريم وسيدنا محمد له الفضل الأسمىٰ فمن لم تكفه إشارة قوله تعالىٰ في يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥].

وقوله علىٰ لسان عيسىٰ عليه السلام ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

فما الذي يكفيه ـ نعوذ بالله من الخذلان ـ علىٰ أن ليلة الميلاد في القمة من أيام الله التي قال الله فيها ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥].

وفي هذا القدر كفاية ومن أراد الزيادة فعليه برسالة شيخنا السيد محمد علوي المالكي رحمه الله أدلة جواز الاحتفال بمولده ﷺ. والله أعلم.

Scanned by CamScanner

٦١- يوم تفرّس فيه الفرس أنهم قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
٦٢- وبات إيوان كسرى وهو منصدع كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
٦٣- والنار خامدة الأنفاس من أسف عليه والنهر ساهي العين من سدم
٦٤- وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ورد واردها بالغيظ حين ظمي
٦٥- كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

شرح الأبيات رقم ٦١ - ٦٥:

(يوم) ولادته ﷺ يوم (تفرس) تفطن (فيه الفرس) اسم جمع لأهل فارس. والفراسة: قوة يدرك بها الإنسان بالمخايل الظاهرة والمعاني الباطنة. (أنهم) أي أهل فارس (قد أنذروا) فعل ماضٍ مبني للمجهول من الإنذار: وهو إخبار فيه تخويف مع زمن يمكن الاحتراز فيه. انذروا خوفوا (بحلول) أي نزول (البؤس) بالضم وسكون الهمزة: الضر. (والنقم) جمع نقمة بمعنىٰ العقوبة.

(وبات) أي صار (إيوان كسرىٰ) والإيوان: الصفة العظيمة. وكسرىٰ: لقب ملوك الفرس. وكسرىٰ هذا هو أنوشروان. (وهو منصدع) خبر بات والواو لتأكيد لصوق الخبر بالاسم كما يكون لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف أي منصدع انصداعا (كشمل أصحاب كسرىٰ) والشمل من الأضداد يقال جمع الله شملهم أي ما فرق من أمرهم وفرق شملهم أي ما اجتمع من أمرهم والمراد هنا الأول والمراد بكسرىٰ هنا يزدجرد. و(غير) بالنصب حال من شمل. والملتئم: المجتمع.

والمعنىٰ: صار في يوم ولادته ﷺ إيوان كسرىٰ أنوشروان منشقا انشقاقا مثل تفرق أمر أصحاب كسرىٰ يزدجرد الذي لم يجتمع بعد أي كما أن أصحاب يزدجرد تفرقوا وما تجمعوا كالأول كذلك إيوان كسرىٰ أنوشروان تفرق وانشق بسقوط شرفاته الأربع عشر وما بني بعده فدل

Scanned by CamScanner

ذلك على زوال ملك كسرى وأنه لا عز يبقى لأحد مع ملكه وعزه ﷺ.

وخمدت في يوم ولادته ﷺ نار فارس التي كانوا يعبدونها ولم تخمد قبل ذلك ألف عام بل كانت توقد وتضرم أشد الإيقاد والإضرام ليلا ونهارا فلم يقدر أحد منهم على إيقاد شيء من تلك النار في ذلك اليوم العظيم المشهود هذا معنى قول الناظم (والنار خامدة) من خمدت النار إذا سكن لهبها من غير أن يطفئ جمرها فأن طفئ قيل همدت.

و(الأنفاس) جمع نفس بفتح الفاء والمراد به: هنا لهب النار. وكان خمود النار (من أسف) على انشقاق الإيوان أو ضعف الكفر لتولد نبي اضمحل به كل باطل. والأسف: الحزن. و(النهر) المراد به هنا الفرات. والمعنى وسكن نهر الفرات الذي به قوامهم عن الجري في مجراه السابق لأجل الندامة على ما سبق منه من نفع الكفار وطفح ووقع في وادي سماوة ففاضت ولم يكن بها قبل ما يطفئ به ظمأن عطشه.

والساهي: الغافل. والمراد بكونه (ساهي العين) أنه ساكن العين التي هي مادته عن الجري على سبيل الاستعارة. والسدم: الهم مع ندم أو الغيظ مع الحزن.

(وساء ساوة) أي ساء أهلها (أن غاضت بحيرتها) أي غار ماؤها في الأرض حتى لم يبقَ منها قطرة في بحيرتها (ورد) أي رجع (واردها) طالب شرب الماء منها (بالغيظ) بالغضب (حين ظمي) حين عطش ولم يجد بها ما يشربه.

والمعنى: في يوم ولادته ﷺ أحزن أهل ساوة غيض ماء البحيرة ورجوع واردها بالغضب حين عطش إذ لم يجد بها قطرة ماء وقد كان حواليها بيع وكنائس معمورة وغيضها كان سبب لخرابها ولم تعمر بعد ذلك.

Scanned by CamScanner

ثم قرب الناظم الصورة للقارئ بالتشبيه قائلا: (كأن بالنار) التي طبعها الحرارة والإحراق (ما بالماء من البلل) الباعث على التبريد والإغراق (حزنا) لأجل الحزن (وكأن بالماء ما بالنار من ضرم) أي نار المجوس التي خمدت يوم الميلاد الشريف المبارك صارت كأنه حصل بها ما بالماء من البلل الباعث على التبريد فصارت النار مبتلة لحزنها على تولد سيد الأبرار الذي كان ميلاده ووجوده الشريف سبباً مفضيا إلى ترك عبادتها وتشتت أمر عُبَّادِها والماء الذي غار في الأرض صار كأنه حصل به ما بالنار من الالتهاب الباعث على الإحراق واليبس فصار مضطرما لحزنه أيضاً.

ودليل هذه الأبيات ما ذكره الحافظ النيسابوري في شرف المصطفى: أخبرنا أبو أحمد الحسين بن أحمد بن علي التميمي رحمه الله أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا أبو أيوب يعلى ابن عمران من ولد جرير بن عبد الله قال حدثني مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه وأتت له مائة وخمسون سنة قال: (لما كان الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ أرتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربعة عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك وتصبّر عليه تشجعاً ثم رأى أن لا يدخر ذلك عن وزرائه ومرازبته حين عيل صبره فجمعهم ولبس تاجه وقعد على سريره ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيم بعثت إليكم قالوا لا ألا يخبرنا الملك؟ فبينما هم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود النار فازداد غماً إلى غمه ثم أخبرهم بما هاله. فقال الموبذان: أنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة ثم قص عليه رؤياه في الإبل فقال أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ وكان أعلمهم في أنفسهم قال: حدث يكون من ناحية العرب.

Scanned by CamScanner

فكتب كسرىٰ عند ذلك من كسرىٰ ملك الملوك إلىٰ النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إليّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه قال فأرسل إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة الغساني فلما قدم عليه قال ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليسألني أو يخبرني الملك عما أحب فإن كان عندي منه علم أخبرته وإلا دللته علىٰ من يعلمه. قال: فأخبره بما رأىٰ. فقال: علم ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارق الشام يقال له سطيح. قال: فاذهب فاسأله وأتني بتأويل ما عنده فنهض عبد المسيح حتىٰ قدم علىٰ سطيح وقد أشفىٰ علىٰ الضريح فسلم عليه وحيّاه فلم يحر جواباً فأنشد عبد المسيح يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن أم فاد فأزلمّ به شأو العَنن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن وكاشف الكربة عن وجه غضن
أتاك شيخ الحي من آل سنن وأمه من آل ذئب بن حجن
أزرق بهم الناب صرار الأذن أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسري للوسن لا يرهب الرعب ولا ريب الزمن
يجوب في الأرض علندات شجن ترفعني وجنات وتهوي بي وجن
حتىٰ أتىٰ عالي الجآجي والعطن تلفه الريح وبوغاء الدمن
كأنما حثحث من حضني ثكن

قال: ففتح سطيح عينيه ثم قال: عبد المسيح علىٰ جمل مشيح أتىٰ إلىٰ سطيح وقد أوفىٰ علىٰ الضريح بعثك ملك بني ساسان لإرتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأىٰ إبلا صعاباً تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها.

Scanned by CamScanner

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت.

ثم قضى سطيح مكانه فنهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

شمر فإنك ماضِ الهم شمير لا يفزعنك تفريق وتغيير
إن يُمس ملك بني ساسان أفرطهم فإن الدهر أطوار دهاريرُ
فربما أصبحوا يوماً بمنزلة تهاب صولهم الأسد المهاضير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته والهرمزان وشابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا أن قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنوا الإم إما إن رأو نشباً فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن والخير متبع والشر محذور

قال: فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بقول سطيح فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور.

فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أقول: أخرجه من طريق النيسابوري الحافظ البيهقي في الدلائل وابن ناصر الدين الدمشقي في جامع الآثار وأخرجه الخرائطي في هواتف الجان من طرق وأبو نعيم في الدلائل والطبري في تاريخه والأصبهاني في الدلائل وابن السكن في الصحابة وذكر طرفاً منه الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة هانئ المخزومي.

Scanned by CamScanner

وابن عساكر في تاريخه في ترجمة سطيح وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه تفرد به أبو أيوب البجلي وذكره الحافظ السيوطي في الخصائص وأبو سعيد النقاش في الفنون وابن هشام في السيرة وابن كثير في البداية والزرقاني في شرح المواهب وأخرجه ابن أبي الدنيا في دلائل النبوة وأورده الذهبي في تاريخ الإسلام وقال حديث منكر غريب.

أقول: وغاية ما في السند جهالة مخزوم بن هانئ وجهالة أبي أيوب يعلىٰ بن عمران. والله اعلم.

وقد بالغ بعض المحدثين فعدّه في الموضوعات وليس كذلك بل غاية ما فيه الضعف. والله أعلم.

٦٦- والجن تهتف والأنوار ساطعة والحق يظهر من معنىً ومن كلم

شرح البيت رقم ٦٦:

(والجن تهتف) صاحت يوم مولده المبارك (والأنوار ساطعة) ارتفعت في الآفاق وظهرت نبوته ﷺ (من معنىً) كسطوع الأنوار وتساقط شرفات إيوان كسرىٰ وخمود نارهم وغور مياه بحيرة ساوه. وظهرت نبوته ﷺ (من كلم) كهتف الجن وكلام الأحبار والرهبان.

وفي البيت إشارة إلىٰ بشارة الهواتف بميلاده ﷺ وخروج الأنوار معه عند ولادته ﷺ.

أما البشارة فقد جاء أنه حين ولد هتف هاتف علىٰ الحجون وقال:

فأقسم ما أنثىٰ من الناس أنجبت ولا ولدت أنثىٰ من الناس واحدة
كما ولدت زهرية ذات مفخر مجنبة لؤم القبائل ماجدة

وهتف آخر علىٰ جبل أبي قبيس بأربعة أبيات فيها معنىٰ ذلك وزيادة قاله ابن حجر في شرح الهمزية.

Scanned by CamScanner

وأما ظهور الأنوار عند ولادته ﷺ فقد أخرج البيهقي واللفظ له والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر عن عثمان بن أبي العاص قال حدثتني أمي ـ هي فاطمة بنت عبد الله ـ أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ولدته قالت فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نوَّر وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول ليقعن علي.

وأخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طينته وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام).

أقول: وحديث العرباض رضي الله عنه صححه الحاكم وأقره الذهبي وصححه ابن حبان فهو حديث صحيح.

وعن عتبة بن عبد الله السلمي وهو صحابي رضي الله عنه: أن رسول الله حدثهم عن أول شأنه فساق الحديث إلى أن قال (وقالت - أي آمنة عليها السلام - إني رأيت حين خرج مني - تعني نوراً - أضاءت منه قصور الشام) وهو حديث صحيح لغيره أخرجه الدارمي في مسنده.

وفي مسند أبي يعلى من حديث حليمة رضي الله عنها أن أمه ـ يعني آمنة عليها السلام ـ قالت: (كلا والله إن لابني هذا لشأنا ألا أخبركما عنه؟ إني حملت به فلم أحمل حملا قط كان أخف ولا أعظم بركة منه ثم رأيت نوراً كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصرى...) الحديث.

وأخرج ابن سعد في الطبقات من حديث موسى بن عبيدة عن أخيه ومحمد بن كعب القرظي ومن حديث أم بكر بنت المسور عن أبيها ومن حديث زياد بن حشرج عن أبي وجزة وابن أبي نجيح عن مجاهد ومن حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما دخل حديث بعضهم

Scanned by CamScanner

في بعض: أن آمنة بنت وهب عليها السلام قالت (لقد علقت به ـ تعني رسول الله ﷺ ـ فما وجدت له مشقة حتىٰ وضعته فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلىٰ المغرب ثم وقع علىٰ الأرض معتمداً علىٰ يديه ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلىٰ السماء وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتىٰ رأيت أعناق الإبل ببصري). ا.هـ.

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن أمه الشفاء بنت عمرو بن عوف رضي الله عنهما قالت: (لما ولدت آمنة رسول الله ﷺ وقع علىٰ يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول: رحمك الله أو رحمك ربك) قالت الشفاء رضي الله عنها: (فأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتىٰ نظرت إلىٰ بعض قصور الشام) قالت: (ثم ألبسته وأضجعته فلم أنشب أن غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة عن يميني فسمعت قائلا يقول: أين ذهبت به؟ قال: إلىٰ المغرب.

وأسفر ذلك عني ثم عاودني الرعب والظلمة والقشعريرة عن يساري فسمعت قائلا يقول: أين ذهبت به؟ قال: إلىٰ المشرق) قالت: (فلم يزل الحديث مني علىٰ بال حتىٰ بعثه الله فكنت أول الناس إسلاماً) كذا في الخصائص الكبرىٰ.

قال القسطلاني في المواهب: قال في اللطائف: وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلىٰ ما يجيء به من النور الذي اهتدىٰ به أهل الله وزال به ظلمة الشرك كما قال الله عز وجل ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وأما إضاءة قصور بصرىٰ بالنور الذي خرج معه فهو إشارة إلىٰ ما خص الشام من نور نبوته فإنها دار ملكه. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

٦٧- عموا وصموا فإعلان البشائر لم تسمع وبارقة الإنذار لم تشم
٦٨- من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم بأن دينهم المعوج لم يقم

شرح البيتين رقمي ٦٨/٦٧:

هذا جواب سؤال مقدر فكأن شخصاً قال له إذا كان الحق يظهر من معنىً ومن كلم فما بال الكفار جحدوا نبوته ﷺ؟ فأجابه الناظم: بأنهم (عموا وصموا) والعمىٰ: عدم البصر. والصمم: عدم السمع. (فإعلان البشائر) أي إظهارها (لم تسمع) بسبب الصمم والجملة خبر الإعلان وتسمع مبني للمفعول واكتسب التأنيث من المضاف إليه علىٰ حد قول الشاعر وما حب الديار شغفن قلبي (وبارقة الإنذار لم تشم) بسبب العمىٰ والبارقة: من برق إذا لمع والتاء للمبالغة.

والإنذار: الإعلام بما فيه موعظة و تخويف، وتشم: بالبناء للمفعول من شممت البرق أي رقبته تنظر أين يصوب فقوله لم تشم أي لم تنظر وقوله (من بعد) متعلق بعموا وصموا. والكاهن: هو الذي يتعاطىٰ الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدّعي معرفة الأسرار وقد كان في العرب كهنة كشِق وسَطيح وغيرهما فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن ورئياً يلقي إليه الأخبار ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها علىٰ مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العرّاف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما كما في النهاية لابن الأثير.

والدين المعوج: الذي غير عن استقامته.

وحاصل معنىٰ البيتين: أن الكفار عموا فلم ينظروا نظر اعتبار إلىٰ لامعة الإنذار كالأنوار الساطعة وصموا فلم يسمعوا بشائر الهواتف سماع قبول من بعد إخبار الكاهن كسطيح وغيره لهم بأن دينهم المعوج المائل عن الحق لا يقوم مع وجوده ﷺ.

Scanned by CamScanner

أخرج البيهقي وأبو نعيم عن حسان بن ثابت ﷺ قال (إني لغلام ابن سبع سنين أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت إذا يهودي يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود فاجتمعوا إليه وأنا أسمع قالوا: ويلك مالك؟ قال: طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة).

وروى يعقوب بن سفيان بإسناد حسن كما في فتح الباري عن عائشة رضي الله عنها قالت (كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلم. قال: انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودي معهم إلى أمه فأخرجته لهم فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشياً عليه وقال ذهبت النبوة من بني إسرائيل يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق إلى المغرب).

وخلاصة الأمر أن البشارات بالنبي ﷺ جاءت من كل طريق وعلى لسان كل فريق من كاهن أو منجم محق أو مبطل أنسي أو جني كما هو مشهور في كتب السيرة النبوية وظهرت العجائب الدالة على صدقه ﷺ كسطوع الأنوار وارتجاس الإيوان وخمود النيران ولكنها لم تنفع الكفار لما في قلوبهم من الأكنة والوقر ولما على أبصارهم من الغشاوة ولما في أذانهم من الصمم فلم يروا الآيات ولم يسمعوا الحجج البينات.

Scanned by CamScanner

٦٩-وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب منقضة وفق ما في الأرض من صنم
٧٠- حتى غدا عن طريق الوحي منهزم من الشياطين يقفو إثر منهزم

شرح البيتين رقمي ٦٩/٧٠:

يجوز في (بعد) النصب بالعطف على محل بعد المجرورة في البيت السابق ويجوز فيها الجر بالعطف على لفظها.

وما: موصولة. والمعاينة: المشاهدة. والأفق: بضمتين وبسكون الفاء كما ها هنا لغة فيه وهو الناحية من الأرض أو من السماء. والشهب: جمع شهاب وهو الشعلة الساطعة من النار الموقدة والمراد به الذي ينقض في الليل شبه الكواكب. والمنقضة: الساقطة. حتى غدا: أي صار. والمراد بطريق الوحي: السماء. والمنهزم: الهارب.

ومن الشياطين: بيان لمنهزم مشوب بتبعيض. يقفوا: يتبع. إثر: عقب.

وحاصل معنى البيتين: أن هؤلاء الكفار عموا وصموا أيضاً من بعد ما عاينوا وشاهدوا الشهب المنقضة الساقطة من السماء على الشياطين المسترقين للسمع وهذه آية دالة على عظم ولادة محمد ﷺ على وفق الآيات الدالة على عظم ولادة محمد ﷺ الظاهرة في الأرض مثل تنكيس الأصنام حتى لكثرة الشهب النازلة من السماء صار طريق الوحي وهو السماء لا تستطيع الشياطين استراق السمع منه حتى أنك لتجد الهارب من الشياطين عن السماء يتبع إثر شيطان هارب مثله وفي البيتين إشارة إلى زيادة حراسة السماء بالشهب وتنكس الأصنام في يوم ولادته ﷺ.

قال العلامة الشهاب في شرح الشفا: اعلم أن رمي الشياطين بالشهب لم يحدث في زمنه ﷺ فإنه كان قبل ذلك أيضاً ولكنه لما ولد رسول الله ﷺ في زمان كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض

Scanned by CamScanner

المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من ذلك بالكلية حتىٰ لا يلتبس الوحي بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحي فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع علىٰ المغيبات.

ولذا لما رأت قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا قربت الساعة وخراب الدنيا. فقال لهم عتبة بن ربيعة: انظروا إلىٰ العيوق إن كان رمي به فقد آن قيام الساعة وإلا فلا وإلىٰ هذا يشير قوله تعالىٰ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨].

الآية وقد روي أن إبليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسىٰ عليه السلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد ﷺ حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها ا.هـ.

أقول: أخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال: (كان إبليس يخرق السموات السبع فلما ولد عيسىٰ عليه السلام حجب عن ثلاث سموات فكان يصل إلىٰ أربع فلما ولد رسول الله ﷺ حجب عن السبع) قال (وولد يوم الاثنين حين طلع الفجر) ذكره الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرىٰ.

وفي الخصائص أيضاً أخرج الخرائطي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت كان زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل يذكران: أنهما أتيا النجاشي بعد رجوع أبرهة من مكة قالا: فلما دخلنا عليه. قال: أصدقاني أيها القريشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقداح فسلم ونحرت عنه جمال كثيرة؟ قلنا: نعم.

قال: فهل لكما علم به ما فعل؟ قلنا: تزوج امرأة يقال لها آمنة ـ عليها السلام ـ تركها حاملاً وخرج. قال: فهل تعلمان ولدت أم لا؟ قال ورقة: أخبرك أيها الملك إني ليلة قد بت عند وثن لنا إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول:

Scanned by CamScanner

ثم انتكس الصنم علىٰ رأسه. فقال زيد: عندي كخبره أيها الملك إني في مثل هذه الليلة خرجت حتىٰ أتيت جبل أبي قبيس إذ رأيت رجلا ينزل من السماء له جناحان أخضران فوقف علىٰ أبي قبيس ثم أشرف علىٰ مكة فقال: ذل الشيطان وبطلت الأوثان وولد الأمين ثم نشر ثوباً معه وأهوىٰ به نحو المشرق والمغرب فرأيته قد جلل ما تحت السماء وسطع نور كاد يخطف بصري وهالني ما رأيت وخفق الهاتف بجناحيه حتىٰ سقط علىٰ الكعبة فسطع له نورٌ أشرقت له تهامة.

وقال: زكت الأرض وأدت ريعها وأومىٰ إلىٰ الأصنام التي كانت علىٰ الكعبة فسقطت كلها.

قال النجاشي: ويحكما أخبركما عما أصابني إني لنائم في الليلة التي ذكرتما في قبتي وقت خلوتي إذ خرج عليّ من الأرض عنق ورأس وهو يقول حل الويل بأصحاب الفيل رمتهم طير الأبابيل بحجارة من سجيل هلك الأشرم المعتدي المجرم ولد النبي الأمي الحرمي المكي من أجابه سعد ومن أباه عَنِد ثم دخل الأرض فغاب فذهبت أصيح فلم أطق الكلام ورمت القيام فلم أطق القيام فأتاني أهلي فقلت احجبوا عني الحبشة فحجبوهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

٧١- كأنهم هرباً أبطال أبرهة أو عسكر بالحصى من راحتيه رُمي
٧٢- نبذاً به بعد تسبيح ببطنهما نبذ المسبح من أحشاء ملتقم

شرح البيتين رقمي ٧٢/٧١:

(كأنهم) كأن حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر والضمير اسمها وهو للشياطين. و(هربا) حال أي كأن الشياطين حال كونهم هاربين من الشهب يشبهون (أبطال أبرهة) في فرارهم من حجارة السجيل والأبطال: جمع بطل بمعنىٰ الشجاع القوي جدا. وأبرهة: اسم رئيس أصحاب الفيل يقال له أبرهة الأشرم تولىٰ ملك اليمن من قبل النجاشي. (أو) كأن الشياطين المسترقين للسمع في هربهم من الشهب كـ(عسكر) الكفار يوم بدر علىٰ ما رواه البخاري أو يوم حنين علىٰ ما رواه مسلم ولا مانع من تعدد الرمي في الغزوتين رماه رسول الله ﷺ من كفيه الشريفين بعد ما سبح الحصىٰ ببطن راحته علىٰ ما يقتضيه ظاهر النظم ولعل الناظم وقف علىٰ ذلك وحمله بعض الشراح علىٰ أن التسبيح وقع سراً أو أن الناظم قصد التسبيح الثابت في غير هذين الموضعين.

قوله:(نبذاً) بالحصىٰ المسبح في بطن راحتيه مثل (نبذ) يونس عليه السلام (المسبح) في بطن الحوت (الملتقم) له.

والقصد تشبيه نبذه ﷺ بالحصىٰ المسبح العسكر فهرب منكسرا بنبذ الله عز وجل يونس عليه السلام المسبح في بطن الحوت حيا في أن كلا منهما خارق للعادة. وهو تشبيه لطيف فإن بين انطباق الضلوع علىٰ ما يحصل فيها من الشخص المسبح وبين انضمام الأصابع علىٰ ما يحصل في الراحة من الحصىٰ المسبح مقابلة لطيفة.

ونبذاً: منصوب برمي فهو مفعول مطلق علىٰ حد قعدت جلوسا لأن الرمي هو النبذ. وضمير به للحصىٰ. والمراد بالملتقم: الحوت. وبالمسبح: يونس عليه السلام والأحشاء: ما انضمت عليه الأضلاع.

Scanned by CamScanner

وفي البيتين إشارة إلى أربع قصص:

القصة الأولى: قصة الفيل:

وهي قصة مشهورة أرخ بها العرب لدلالتها على مزيد عناية الله عز وجل ببيته المعظم ذلك أن أبرهة الحبشي لما غلب على بلاد اليمن ورأى الناس يقصدون زرافات ووحداناً ورجالاً وركباناً الكعبة المشرفة البيت الحرام قال: إلامَ يقصدون؟ قالوا له: إلى الكعبة بمكة يحجون. قال: وما هو؟ قالوا له: بيت من الحجارة. قال: وما كسوته؟ قالوا: ثياب مخططة يمنية. قال: لأبنينَّ خيراً منها فبنى لهم كنيسة بصنعاء تفنن في بنائها وتزيينها وسماها القليس قاصدا صرف العرب عن الكعبة ولكن أعرابياً عمد إليها فتغوط فيها فلما علم أبرهة استشاط غضبا وعزم على هدم الكعبة وسار في جيش كبير لا قبل لأهل مكة والعرب به وقد تعرض له في الطريق بعض قبائل العرب ولكنه تغلب عليهم وعند مشارف مكة وجدوا إبلاً لعبد المطلب بن هاشم فاستاقوها فذهب عبد المطلب إليه وكان وسيماً جميلاً تعلوه المهابة والوقار فاستعظمه أبرهة وأكرمه فلما كلمه في الإبل عجب وقال له: أتكلمني في الإبل ولا تكلمني في بيت فيه عزك وشرفك وشرف آبائك؟ قال عبد المطلب: أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه ـ وسارت هذه الكلمة مسير الأمثال. ثم رجع عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال:

لاهُمّ إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ومِحالهم أبداً مِحالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

Scanned by CamScanner

ثم أرسل حلقة البيت وانطلق هو ومن معه من قريش إلى الجبال ينظرون ما أبرهة فاعل بالبيت وكان في جيش أبرهة فيل عظيم فصار كلما وجهوه إلى الطريق المؤدي إلى مكة أبى وبرك وإذا وجهوه إلى غير طريق مكة سار وجرى ومع هذه الآية أصر أبرهة وجيشه على هدم الكعبة فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل أي جماعات في مناقيرها وأرجلها حجارة صغار تمزق جسم من أصابته وقد ذكر الله هذه القصة في سورة تسمى سورة الفيل قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١-٥].

وقال رسول الله ﷺ: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين) رواه الشيخان.

فلما أراد بها أبرهة وجنده سوء أهلكهم الله ولما أراد رسول الله ﷺ وأصحابه بفتحها خيرا أعينوا ونصروا وقد كانت هذه الآية إرهاصا بين يدي ميلاد نبينا محمد ﷺ ودلالة على يمنه وخيره وبركته.

قال الإمام الماوردي رحمه الله في أعلام النبوة معلقاً على قصة الفيل فكانت آيته ﷺ في ذلك من وجهين:

أحدهما: أنهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله ﷺ أن يجري عليه السبي حملا وليدا.

والثاني: أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم وما هم أهل كتاب لأنهم كانوا من بين عابد صنم أو متدين وثن أو قائل بالزندقة أو مانع من الرجعة ولكن كان ذلك لما أراد الله من ظهور الإسلام تأسيساً للنبوة وتعظيماً للكعبة ليجعلها قبلة للصلاة ومنسكاً للحج ولما انتشر في العرب ما صنع الله بجيش الفيل تهيبوا الحرم وأعظموه وزادت حرمته في النفوس ودانوا لقريش بالطاعة وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم فزادوهم تشريفاً وتعظيماً فكان شأن

Scanned by CamScanner

الفيل رادعاً لكل باغ ودافعا لكل طاغ وقد عاصر رسول الله ﷺ في زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل وطير أبابيل منهم حكيم بن حزام وحويط بن عبد العزىٰ ونوفل بن معاوية انتهىٰ.

وقال ابن القيم في الهدي النبوي: وكان أمر الفيل مقدمة قدمها الله لنبيه وبيته.

ونص علىٰ مثل ذلك القسطلاني في المواهب والحافظ ابن رجب الحنبلي في لطائف المعارف.

القصة الثانية: قصة رمي الحصاة:

وهي أنه لما التقىٰ الجمعان يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصباء ورمىٰ بها قريشا وقال: (شاهت الوجوه) وقال لأصحابه: (شدوا عليهم) فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من المشركين وأسر من أسر منهم وإلىٰ هذا الإشارة بقوله تعالىٰ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

وهذه القصة مخرجة في صحيح البخاري.

ولما التقي الجمعان يوم حنين لقي المسلمون من هوزان ما لم يروا مثله في السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة ولم يبق معه ﷺ إلا أناس قليلون من أهل بيته العباس وعلي وأبو سفيان بن الحارث ﷺ. ومن أصحابه: أبو بكر وعمر وآخرون ﷺ. فحينئذ نزل ﷺ عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض كما في صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ثم استقبل به وجوههم فقال: (شاهت الوجوه) فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك.

Scanned by CamScanner

القصة الثالثة: قصة تسبيح الحصى في كفه الشريف:

قال الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرىٰ: أخرج البزار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم والبيهقي عن أبي ذر ﷺ قال: كان النبي ﷺ جالساً وحده فجئت حتىٰ جلست إليه فجاء أبو بكر ﷺ فسلم ثم جلس ثم جاء عمر ﷺ ثم عثمان ﷺ وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات فأخذهن فوضعهن في كفه فسبحن حتىٰ سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتىٰ سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتىٰ سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتىٰ سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله ﷺ هذه خلافة نبوة.

وأخرج أبو نعيم من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم ملوك حضرموت علىٰ رسول الله ﷺ فيهم الأشعث بن قيس فقالوا إنا قد خبأنا لك خبأ فما هو؟ فقال ﷺ (سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن وإن الكاهن والكهانة في النار) فقالوا: كيف نعلم أنك رسول الله؟ فأخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصىً فقال (هذا يشهد أني رسول الله) فسبح الحصىٰ في يده. قالوا: نشهد أنك لرسول الله. انتهىٰ.

وظاهر كلام الناظم أن الرمي والتسبيح في موطن واحد وهذا فيه نظر إلا أن يحمل علىٰ أن التسبيح وقع سراً في غزوة بدر وحنين.

Scanned by CamScanner

القصة الرابعة: قصة نبي الله يونس عليه السلام:

وقد قصها الله في القرآن الكريم في آيات كثيرة بل سمىٰ سورة كاملة باسمه عليه السلام ومن الآيات الدالة علىٰ القصة قوله تعالىٰ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۞ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۞ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۞ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۞ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۞ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤١-١٤٨].

وقد عرفت التشبيه ووجه الشبه فلا تكن من الغافلين. والله أعلم.

٧٣- جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي إليه على ساق بلا قدم

٧٤- كأنما سطرت سطراً لما كتبت فروعها من بديع الخط في اللقم

شرح البيتين رقمي ٧٣/٧٤:

(جاءت) بمعنىٰ أقبلت (لدعوته) لطلبه ﷺ (الأشجار) جمع شجرة والشجر: ما له ساق صلب يقوم به كالنخل وغيره. و(ساجدة) خاضعة حال من الأشجار وكذا (تمشي إليه) وقوله (بلا قدم) صفة ساق للتأكيد. و(كأن) حرف تشبيه. و(ما) كافة. و(سطرت) كتبت. و(سطرا) مفعول به (لما) بكسر اللام متعلق بسطرت وما موصولة والعائد محذوف (كتبت فروعها) عروقها (من بديع الخط) بيان لما والإضافة من قبيل إضافة الصفة للموصوف أي الخط المبتدع لأنه لم يعهد مثله للأشجار. و (اللقم) بفتحتين معظم الطريق أو وسطه أو واضح من لقم الطعام أكله سريعاً لأن الذاهب يغيب غيبة الطعام الملتقم فكأنه يأكل السالك فيه. فشبه الناظم رحمه الله آثار مشي الشجرة لما جاءت إليه ﷺ ملبية لدعوته الشريفة شبهها بكتابة كاتب أوقعها علىٰ نسبة معلومة في أسطر منظومة ووجه التشبيه أن الخط دال علىٰ اللفظ المفيد للمعاني وآثار مشي فروع الشجرة في الأرض مفيدة للمعتبر فوجه الشبه الفائدة.

Scanned by CamScanner

وحاصل معنى البيتين: أقبلت الأشجار إليه ﷺ عند دعوته لها خاضعة تمشي على ساقها مشي استقامة بلا عوج ولا ميل كأنها سطرت في مجيئها سطراً مستقيماً لما كتبته عروقها من الخط البديع في وسط الطريق.

ودليل ذلك من السنة حديث جابر ﷺ قال (جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة. فقال له: ما لك؟ فقال رسول الله ﷺ: فعل بي هؤلاء وفعلوا. فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ فقال: نعم فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع تلك الشجرة. فدعاها قال: فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه. فقال: مرها فلترجع إلى مكانها فأمرها فرجعت إلى مكانها. فقال ﷺ حسبي حسبي) أخرجه أحمد ورواه الدارمي من حديث أنس وهو صحيح وصححه ابن كثير وقال إنه على شرط مسلم.

وروى الحاكم في المستدرك بإسناد جيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: أين تريد؟ قال: إلى أهلي. قال: هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله ﷺ هذه الشجرة فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخدّ الأرض خدّاً فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت إلى منبتها) الحديث ورواه الدارمي أيضاً بنحوه.

وروى البزار عن بريدة سأل أعرابي النبي ﷺ آية فقال له: (قل لتلك الشجرة: رسول الله ﷺ يدعوك. قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغيرة حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله. فقال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها في

Scanned by CamScanner

ذلك الموضع فاستقرت. فقال الأعرابي: ائذن لي أن أسجد لك. قال ﷺ: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. قال فأذن لي: أقبل يديك ورجليك فأذن له).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ قال (سرنا مع النبي ﷺ حتىٰ نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فأتبعته بإداوة من ماء فنظر فلم ير شيئاً يستتر به وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق إلىٰ إحداها فأخذ بغصن من أغصانها وقال انقادي عليّ بإذن الله فانقادت كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتىٰ أتىٰ الشجرة الأخرىٰ فأخذ بغصن من أغصانها وقال انقادي عليّ بإذن الله فانقادت كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتىٰ إذا كان بالمنتصف فيما بينهما لأَمَ بينهما، وقال التئما عليّ بإذن الله فالتأمتا قال جابر فخرجت أحذر مخافة أن يحس بقربي فيبعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منها علىٰ ساق فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة وقال برأسه يميناً وشمالاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال (جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: ما هذا الذي يقول أصحابك؟ قال وحول رسول الله ﷺ أعذاق وشجر قال: فقال رسول الله ﷺ: هل لك أن أريك آية؟ قال: نعم. فدعا عذقا منها فأقبل يخد الأرض حتىٰ وقف بين يديه يخد الأرض ويسجد ويرفع رأسه حتىٰ وقف بين يديه ثم أمره فرجع. فقال العامري: يا آل عامر بن صعصعة والله لا أكذبه بشيء يقوله أبدا) رواه البيهقي وهو حديث صحيح.

وفي الباب روايات أخرىٰ وفي هذا القدر كفاية لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

Scanned by CamScanner

٧٥- مثل الغمامة أنى سار سائرة تقيه حر وطيس للهجير حمِيْ

شرح البيت رقم ٧٥:

يجوز في (مثل) الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي مجيء الأشجار مثل سير الغمامة ويجوز النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي جاءت الأشجار بأمره مجيئا مثل مجيء الغمام. و(الغمامة) واحدة الغمام: وهي السحاب.

و(أنى) بمعنى كيف أي كيف (سار) راكباً أو ما شياً سريعا أو بطيئاً ففي كل تلك الأحوال تضلله الغمامة. و(سائرة) بالنصب حال من الغمامة. و(تقيه) من وقاه السوء وقاية بالكسر حفظه وجملة تقيه حال ثانية من الغمام. والوطيس: في الأصل التنور والمراد به الشمس. والهجير: وسط النهار. وحمي: صفة وطيس وهو فعل ماض وسكون آخره عارض في الوقف.

وحاصل معنى البيت: جاءت الأشجار له ﷺ بأمره مثل الغمامة كانت تسير معه أنى سار تحفظه من حر الشمس إذا اشتد حرها في وسط النهار.

ودليله حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: (خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ وأشياخ قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وقد كان قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت. قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ. فقال: هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. قال له أشياخ قريش: ما علمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجد إلا لنبي وإني لأعرفه بخاتم النبوة بأسفل من غضروف كتفيه مثل التفاحة ثم صنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هو في رعيه الإبل. قال: أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا نظروا إليه

Scanned by CamScanner

وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى الشجرة. فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال: فبينما هو قائم عليهم يناشدهم أن ألا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم لو رأوه وعرفوه بالصفة لقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم.

فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: إن هذا النبي الذي بلغنا أنه خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه ناس وإنا أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقكم. فقال لهم: هل خلفتم خلفكم أحداً هو خير منكم؟ قالوا: لا إنما أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا. قال: أفرأيتم أمرا أراد الله عز وجل أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا فبايعوه فأقاموا معه فأتاهم.

فقال: أنشدتكم بالله أيكم وليه؟ قال أبو طالب: أنا فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وزوده الراهب من الكعك والزيت) هذا حديث صحيح أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وأبو نعيم في الدلائل ورجاله ثقات.

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيداً فغفلت عنه فخرج مع أخته الشيماء في الظهيرة إلى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت: أفي هذا الحر؟ فقالت أخته: يا أماه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع. قالت: أحقا يا بنية؟ قالت: أي والله).

Scanned by CamScanner

قال المحقق ابن حجر الهيتمي رحمه الله في شرح الهمزية: أشار غير واحد إلى أن تضليل الغمامة له ﷺ إنما كان قبل النبوة إرهاصاً وتأسيساً لنبوته ﷺ كما يأتي ومما يدل على انقطاع ذلك أن الصديق رضي الله عنه أظله ﷺ حين قدما المدينة في الهجرة لما أصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح أنه ﷺ ظلل عليه بثوب وهو يرمي جمرة العقبة وظلل عليه مرة أخرى وهو بالجعرانة وأنهم كانوا في أسفارهم إذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له ﷺ. ا.هـ.

٧٦- أقسمت بالقمر المنشق إن له من قلبه نسبة مبرورة القسم

شرح البيت رقم ٧٦:

(أقسمت) حلفت (بالقمر) على تقدير مضاف أي برب القمر لمنع الفقهاء الحلف بغير الله عز وجل وإن جرت عليه عادة الأدباء وهذا في حق المخلوقين أما في حق الله عز وجل فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لأنها من آثاره نحو قوله تعالى ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٢].

والشواهد كثيرة. (المنشق) المنفلق إلى فرقتين (إن له... إلخ) هذه الجملة جواب أقسمت والضمير في قلبه راجع إلى رسول الله ﷺ والنسبة المشابهة. ومبرورة القسم صفة لنسبة أي القسم عليها مبرور لا حنث فيه لصدقه.

وحاصل معنى البيت: حلفت برب القمر أن للقمر المنشق معجزة له ﷺ مشابهة بمعجزة أخرى وقعت له ﷺ تلك المعجزة هي انشقاق قلبه أي صدره وهذه مشابهة صادقة حتى لو حلف أحد على وجود تلك المشابهة لكان باراً صادقاً في يمينه لا حنث عليه.

وفي البيت إشارة إلى معجزتين:

أحدهما: انشقاق القمر.

Scanned by CamScanner

وثانيهما: انشقاق الصدر الشريف.

ونتكلم عليهما في محورين بإيجاز:

المحو الأول: انشقاق القمر:

هذه معجزة كبيرة من أمهات معجزاته ولم تقع لأحد من الأنبياء غيره ﷺ وهي ثابتة بنص القرآن قال تعالىٰ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ وقوع الانشقاق لأجله ﷺ.

وفي الصحيحين من حديث أنس ﷺ: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتىٰ رأوا حراء بينهما.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ (اشهدوا).

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ.

وعند مسلم والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

قال: كان ذلك في عهد رسول الله ﷺ انشق فرقتين فرقة من دون الجبل وفرقة خلفه فقال النبي ﷺ: (اللهم فاشهد).

وعند أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن جبير بن مطعم ﷺ في قوله تعالىٰ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

قال: انشق القمر ونحن بمكة علىٰ عهد رسول الله ﷺ حتىٰ صار فرقتين فرقة علىٰ هذا الجبل وفرقة علىٰ هذا الجبل فقال: الناس سحرنا محمد. فقال رجل: إن كان سحركم فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم.

Scanned by CamScanner

والأحاديث والروايات في الباب كثيرة قال العلامة تاج الدين السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق شتىٰ بحيث لا يمترىٰ في تواتره ا.هـ. باختصار.

المحور الثاني: شق صدره الشريف ﷺ:

وهي معجزة ثابتة له ﷺ بالأحاديث الصحيحة قال الإمام النبهاني رحمه الله في جواهر البحار نقلاً عن الحافظ الشامي في سيرته: وقد تكرر شق صدره الشريف ﷺ أربع مرات:

الأولىٰ: وهو صغير في بني سعد روىٰ البيهقي عن إبراهيم بن طهمان قال: سألت سعداً عن قوله تعالىٰ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] فحدثني به عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: شق بطنه من عند صدره إلىٰ أسفل بطنه واستخرج منه قلبه... إلخ.

وروىٰ الإمام أحمد ومسلم عن أنس رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك قال شيخنا الإمام السيد محمد علوي رحمه الله تعالىٰ هذا حظ الشيطان من الرحمة في قلب رسول الله ﷺ لأنه رحمة للعالمين بنص القرآن ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والشيطان من العالمين فالمستخرج حظ الشيطان من الرحمة ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه وأعاده مكانه وجعل الغلمان ينعون إلىٰ أمه - يعني مرضعته- فقالوا إن محمداً قد قتل فجاءت وهو ممتقع اللون فقال أنس: فلقد كنت أرىٰ أثر المخيط بصدره ﷺ).

المرة الثانية: وهو ﷺ ابن عشر سنين روىٰ عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند بسند رجاله ثقات وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن

Scanned by CamScanner

عساكر والضياء في المختارة عن أبي بن كعب ﷺ أن أبا هريرة ﷺ قال: يا رسول الله ما أول ما ابتدأت به من أمر النبوة قال: (إني لفي صحراء ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو. فأخذاني فاستقبلاني بوجوه لم أرها بخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسّا فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر) وفي لفظ (فلصقاني لحلاوة القفا ـ وسط القفا ـ ثم شقا بطني) وفي لفظ (فقال أحدهما لصاحبه: أفلق صدره فجرى أحدهما إلى صدري فقلعه فيما أرى بلا دم ولا وجع وكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي).

المرة الثالثة: عند البعثة روى أبو داود الطيالسي والحارث بن أبي أسامة في مسنديهما والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فسمع السلام عليك قال: فظننتها فجأة من الجن فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة. فقالت: ما شأنك؟ فأخبرتها. فقالت: أبشر السلام خير ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فهلت ـ أي خفت ـ منه فجئت مسرعاً فإذا هو بيني وبين الباب فكلمني حتى أنست منه ثم وعدني وعدا فجئت له فأبطأ عليّ فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سدا الأفق فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفا ثم شق من قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم أكفأني ـ أي قلبني ـ كما يكفأ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الختام..). فذكر الحديث.

Scanned by CamScanner

المرة الرابعة: ليلة الإسراء روىٰ الإمام أحمد والشيخان عن مالك بن صعصعة ﷺ أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرىٰ به قال (بينا أنا في الحطيم) وربما قال (في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الأوسط من الثلاثة فأتاني فشق ما بين هذه إلىٰ هذه ـ يعني من ثغرة نحره إلىٰ شعرته فاستخرج قلبي فأتيت بطست من ذهب مملؤة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حُشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار) الحديث.

قال القرطبي في المفهم والتوربشتي في شرح المصابيح والطيبي في شرح المشكاة والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطي وغيرهم: أن جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك ويؤيده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المخيط في صدره ﷺ. ا.هـ. ملخصاً مختصراً.

٧٧- وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمي

شرح البيت رقم ٧٧:

(وما) يجوز فيه النصب بتقدير اذكر والجر بالعطف علىٰ القمر و(حوىٰ) جمع (من خير ومن كرم) بيان لما ويجوز في هذه العبارة أن تكون علىٰ حذف مضاف أي ذي خير وذي كرم ويجوز أن تكون من باب المبالغة كرجل عدل والمراد بهما الجامعان لهما من النبي ﷺ والصديق علىٰ طريق اللف والنشر المرتب. والواو للحال. والطرف: البصر. و(من الكفار) صفة طرف. و (عمي) فعل ماض، وسكون الياء للوقف وفاعله مستتر فيه يعود علىٰ الطرف، والجملة خبر المبتدأ ويجوز أن يكون اسماً وإثبات الياء لغة.

Scanned by CamScanner

وحاصل معنىٰ البيت: واذكر من جمعه الغار من المصطفىٰ ﷺ والصديق ﷺ والحال أن كل طرف من الكفار عنه عمي وذلك ببركة النبي ﷺ.

وفي المواهب للقسطلاني: أنه ﷺ قال (اللهم أعم أبصارهم) فعميت من دخوله وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار.

٧٨- فالصدق في الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من أرم

شرح البيت رقم ٧٨:

الفاء: للتفصيل. و(الصدق): النبي ﷺ مبالغة أو ذو الصدق. و(لم يرما) بكسر الراء لم يبرحا من الغار. (وهم) الواو للحال أي والحال أنهم (يقولون ما بالغار من أرم) أي من أحد.

وحاصل معنىٰ البيت: فالنبي ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ لم يبرحا من الغار والكفار محجوبون لا ينظرون إليهما ويقولون ليس أحد في الغار لما يأتي في البيت اللاحق من آيات أعمت أبصار الكفار عن النظر إليهما في الغار.

٧٩- ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

شرح البيت رقم ٧٩:

(ظنوا) حسبوا (الحمام) قال الجوهري: هو عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقماري وساق حُرّ والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع علىٰ الذكور والأنثىٰ لأن الهاء إنما دخلته علىٰ أنه واحد من جنس لا للتأنيث وعند العامة أنها الدواجن فقط الواحدة حمامة كذا في حياة الحيوان للدميري، والبرية: الخلق.

Scanned by CamScanner

(وخير البرية) هو سيدنا محمد ﷺ (لم تنسج ولم تحم) أي ظنوا الحمام لم تحم على خير البرية وظنوا العنكبوت لم تنسج على خير البرية وهذا البيت كالتعليل لما قبله.

وحاصل معنى البيت: الكفار لما رأوا حوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على فمه ظنوا أن خير البرية ليس في الغار وسبب ظنهم ذلك أن هذين الحيوانين متوحشين لا يألفان معمورا فمهما أحسا بالإنسان فرّا منه ولم يعلموا أن الله تعالى له جنود السموات والأرض يحفظ من يشاء من عباده بما شاء من خلقه.

جدت قريش في طلب الرسول ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وأخذوا معهم القافة حتى انتهوا إلى باب الغار فوقفوا عليه. قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا. فقال ﷺ: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن فإن الله معنا) رواه البخاري في صحيحه في مناقب المهاجرين وتفسير سورة براءة ومسلم في صحيحه في فضائل أبي بكر رضي الله عنه.

وفي الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي: أخرج ابن سعد وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم عن أبي مصعب المكي قال: أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم فسمعتهم يتحدثون: (أن ليلة الغار أمر الله بشجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي ﷺ فسترته وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وهراويهم وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبي بقدر أربعين ذراعا جعل رجل منهم ينظر في الغار فقال: رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أنه ليس فيه أحد. فسمع النبي ﷺ ما قال فعرف أن الله قد درأ بهما عنه فدعاهن النبي ﷺ فسمت ـ بارك ـ عليهن وفرض جزاءهن وانحدرن في الحرم فأفرخ ذلك الزوج كل شيء في الحرم).

Scanned by CamScanner

وفي المشكاة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم: بل اقتلوه.

وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علي ﷺ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي فلما أصبحوا ثاروا عليه فلما رأوه علياً رد الله مكرهم. فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال) رواه أحمد.

وقال الدميري في حياة الحيوان: روى البزار في مسنده (أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار وإن ذلك مما صدّ المشركين عنه وإن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين).

أقول: وروى القصة أيضاً قاسم بن ثابت في الدلائل كما في شرح المواهب ورواها الحافظ ابن عساكر والحافظ ابن كثير وروى رزين العبدري صاحب تجريد الصحاح قصة الصديق ﷺ في سده للجحر في الغار بعقبه وكانت به حية فلدغته فمنعه مكان رسول الله ﷺ منه أن يتململ ولكن الألم لما أشتد به تحدرت دموعه فسقطت على وجه رسول الله ﷺ فاستيقظ فقال: مالك يا أبا بكر؟ فأخبره بما حدث فتفل عليها رسول الله ﷺ فبرئت بإذن الله.

Scanned by CamScanner

٨٠- وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

شرح البيت رقم ٨٠:

الوقاية: الحفظ وهو مضاف إلى فاعله والمفعول محذوف والتقدير (وقاية الله) إياه. و(أغنت) كفت والضمير راجع إلى الوقاية. والدروع المضاعفة: هي المنسوجة حلقتين حلقتين تلبس للحفظ من العدو. والأطم: الحصون.

وحاصل معنى البيت: حفظ الله عز وجل لعبده ورسوله ﷺ بهذين الضعيفين جداً ـ الحمام ونسج العنكبوت ـ أغناه عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالي من الحصون.

٨١- ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به إلا ونلت جواراً منه لم يُضم

شرح البيت رقم ٨١:

(ما) حرف نفي (سامني) كلفني وأولاني. والضيم: الظلم. والمعنى: ما أرادني وقصدني (الدهر) بظلم والمراد أهل الدهر لأن الدهر لا يظلم ولا يريد الظلم وإن جرت عادة العرب بنسبة الظلم إليه لوقوعه فيه. (واستجرت به) أي طلبت منه ﷺ أن يجيرني من ذلك (إلا ونلت جوارا منه) أي إلا وأعطيت جوارا بكسر الجيم وضمها أي حمىً وحفظاً وأمانا من الرسول ﷺ (لم يضم) بالبناء للمجهول أي لم يحتقر بل يحترم.

وحاصل معنى البيت: ما نالني ضيم في زمان من الأزمنة واستجرت بالنبي ﷺ من ذلك الضيم إلا وجدت من النبي ﷺ آمانا وحفظاً ووقاية محترمة تكفيني من ذلك الضيم فالرسول ﷺ جار منيع لمن استجار به واستشفع به ﷺ.

Scanned by CamScanner

٨٢- ولا التمست غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم

شرح البيت رقم ٨٢:

(ولا التمست) عطف على قوله ما سامني الدهر والالتماس: الطلب. و(من يده) أي من نعمته وإحسانه ويصح أن يكون المراد من اليد ذاته الشريفة ﷺ من باب ذكر الجزء وإرادة الكل. و(استلمت الندى) أخذت العطاء (من خير مستلم) بفتح اللام أي من خير مستلم منه والمستلم منه هو المأخوذ منه وإنما كان النبي خير مستلم منه لأنه لا يرد سائله وبيده خير الدنيا والآخرة ولا عطاء كعطائه ﷺ.

وحاصل معنى البيت: ولا طلبت يوماً من فضله ﷺ أو من ذاته ﷺ غنى الدنيا بالكفاية وغنى العقبى بالسلامة من العذاب إلا كنت آخذ العطاء من خير مطلوب منه فإنه عليه الصلاة والسلام أكرم المخلوقين فلا يشبه كرمه كرم أحد ولا عطاء يده عطاء أحد.

فائدة:

قال البيجوري رحمه الله: فائدة هذين البيتين أن من كان مسجوناً أو خائفاً من سلطان وداوم على قراءتها سبع عشرة مرة بعد كل صلاة فإن الله يفرج عنه همه ويجعل له من أمره مخرجاً.

٨٣- لا تنكر الوحي من رؤياه إن له قلباً إذا نامت العينان لم ينم

شرح البيت رقم ٨٣:

(لا) ناهية (تنكر) الإنكار: الجحود (الوحي) ما يلقى إليه من الأحكام و (رؤياه) ما يراه في نومه (إن له قلباً... إلخ) استئناف لبيان العلة لما قبله.

ومعنى البيت: لا تنكر أيها المعاند الوحي الحاصل له ﷺ في المنام فإنه إذا نامت عيناه لا ينام قلبه كما ورد في حديث الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: (إن عيني تنامان ولا ينام قلبي) ومن خصائص الأنبياء عليهم

Scanned by CamScanner

الصلاة والسلام عدم نقض الوضوء بالنوم ومعلوم أن بدء الوحي كان بالرؤيا الصالحة في النوم وكان ﷺ لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح كما في البخاري.

٨٤- وذاك حين بلوغ من نبوته فليس ينكر فيه حال محتلم

شرح البيت رقم ٨٤:

(وذاك... إلخ) لما كان البيت المتقدم يوهم أن الوحي من رؤياه في النوم دائم دفع ذلك بقوله فذاك... إلخ واسم الإشارة راجع إلى الوحي في المنام.

قال ملا زاده: وتنوين بلوغ للتعظيم وعوض عن المضاف إليه أي بلوغه بمعنى كماله أو وصوله ومن للابتداء أي من وقت نبوته أو أمر نبوته ويجوز أن يكون المراد حين قرب نبوته يقال بلغ البلد أي قرب وأشرف عليه.

وثبت وصح أن النبي ﷺ كان يوحى إليه في المنام ستة أشهر إلى أن استعلن له جبريل عليه السلام ومدة الوحي كما هو معلوم ثلاثة وعشرين سنة فيكون زمن الوحي في المنام وهو ستة أشهر جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة وهذا معنى الحديث الصحيح (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة) والفاء للنتيجة. وضمير فيه لحين البلوغ، والمراد من المحتلم: العاقل البالغ.

وحاصل معنى البيت: والوحي في المنام وقع له ﷺ حين وصوله إلى النبوة وذلك على رأس أربعين سنة من مولده وليس ينكر ذلك الزمان حال من بلغ مبلغ الرجال من دعوى الوحي في المنام وحكمة ذلك كما قال البيجوري رحمه الله: الاستئناس بملاقاة الملك في النوم ليطيق ذلك في اليقظة بعد إذ لو جاءه في اليقظة ابتداء لأمكن أن لا يطيق ملاقاته فلما استأنس بذلك أتاه في اليقظة.

Scanned by CamScanner

٨٥- تبارك الله ما وحي بمكتسب ولا نبي على غيب بمتهم

شرح البيت رقم ٨٥:

هذا البيت استدلال على ما قبله ومعنى (تبارك الله) تقدس وتنزه صفة خاصة بالله تعالى كما في القاموس. والاكتساب: طلب الشيء بمباشرة أسبابه التي جرت العادة الغالبة بحصوله عقبها. وقوله (ما وحي بمكتسب) أي ليس وحي مكتسبا لنبي من الأنبياء بل بفضل الله يؤتيه من يشاء. والغيب: مصدر بمعنى اسم الفاعل أي الغائب وهو ما لم يشاهد لكن بالنسبة إلينا وأما بالنسبة إليه تعالى فالكل من عالم الشهادة.

وحاصل معنى البيت: تقدس الله تعالى وتنزه في ذاته وصفاته فسبحانه عز وجل لم يكن وحيه أصلا حاصلا بالاكتساب بل موهبة وعطية منه جل وعلا فلا ينكر وقوعه في الرؤيا كما لا ينكر وقوعه في اليقظة ولا يجوز لأحد أن ينكر أحدا من الأنبياء فيما يخبر به عن غيب لأنهم معصومون من الكذب كسائر المعاصي.

فائدة:

قال السيد الشريف الجرجاني في شرح المواقف ما نصه: ولا يشترط فيه أي في الإرسال شرط من الأعراض والأحوال المكتسبة بالرياضات والمجاهدات في الخلوات والانقطاعات ولا استعداد ذاتي من صفاء الجوهر وذكاء الفطرة كما يزعمه الحكماء بل الله سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء من عباده فالنبوة رحمة وموهبة متعلقة بمشيئته فقط ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

في دلالة هذه الآية على المطلوب نوع خفاء كما لا يخفى وهذا الذي ذهب إليه أهل الحق بناء على القول بالقادر المختار الذي يفعل ما يشاء ويختار. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

فائدة:

يدل على ما في البيت أيضاً قوله تعالى ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] على القراءة بالظاء وهي قراءة ابن مسعود كما في النشر على أنه فعيل بمعنى المفعول أي بمتهم أي هو ثقة في جميع ما يخبر به لا يتوهم فيه أنه ينطق عن الهوى من الظنة وهي التهمة واتهمت فلانا بكذا توهمت فيه ذلك واختار أبو عبيدة هذه القراءة لأن الكفار لم يبخلوه وإنما اتهموه فنفي التهمة أولى من نفي البخل ولأن البخل يتعدى بالباء لا بعلى وانظر الكشاف للزمخشري. وهي قراءة ابن كثير.

٨٦- كم أبرأت وصبا باللمس راحته وأطلقت أرباً من ربقة اللمم

شرح البيت رقم ٨٦:

(كم) خبرية أي كثيراً من المرات. و(أبرأت) شفت (وصبا) بكسر الصاد مريضاً ويجوز فتحها على حذف مضاف أي ذا المرض. واللمس: المس باليد. والراحة: بطن الكف. (وأطلقت) حلّت وخلصت (أرباً) بكسر الراء شديد الاحتياج وبفتحها فرط الحاجة المقتضي للاحتيال في دفعه فكل أرب حاجة وليس كل حاجة أربا ثم يستعمل تارة في الحاجة المفردة وتارة في الاحتيال وإن لم يكن حاجة كذا في مفردات الراغب. (من ربقة) الربقة: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها لتمسكها. و(اللمم) محركة نوع من الجنون يلم بالإنسان أي يقرب منه ويعتريه.

وحاصل معنى البيت: كثيراً ما أبرأت باللمس راحته المباركة المرضى من أمراضهم وخلصت ذوي حاجة شديدة من عقدة الجنون وقد جاءت الأخبار الشهيرة والآثار الكثيرة الدالة على أن من آياته ومعجزاته ﷺ إبراء المرضى وذوي العاهات وأتبرك بذكر طرف منها هنا

Scanned by CamScanner

عن البراء ﷺ قال (بعث النبي ﷺ رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله فقال عبد الله بن عتيك: فوضعت السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلي فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة فانطلقت إلى أصحابي فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط) رواه البخاري في صحيحه.

وفي الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي رحمه الله: أخرج البيهقي: (أن رسول الله ﷺ أتي برجل برجله قرحة قد أعيت الأطباء فوضع إصبعه على ريقه ثم رفع طرف الخنصر فوضع إصبعه على التراب ثم رفعها فوضعها على القرحة ثم قال باسمك اللهم ريق بعضنا بتربة أرضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا) أقول هذا حديث مرسل.

وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني وابن السكن وابن منده والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال: (أتيت رسول الله ﷺ وبكفي سلعة ـ هي غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت ـ فقلت: يا رسول الله هذا سلعة قد آذتني تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه وعنان الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطخها بكفه حتى رفعها عنها وما أرى أثرها).

وأخرج البيهقي عن الواقدي أن أبا سبرة ﷺ قال: يا رسول الله إن بكفي سلعة قد منعتني من خطام راحلتي فدعا رسول الله ﷺ بقدح فجعل يضرب به على السلعة ويمسحها فذهبت.

وأخرج ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم عن أبيض بن حمال (أنه كان بوجهه جدرة يعني القوباء وقد التمعت وجهه وقد التقمت أنفه فدعاه رسول الله ﷺ فمسح وجهه فلم يمس من ذلك اليوم ومنها أثر).

Scanned by CamScanner

وأخرج البيهقي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما (أنها أصابها ورم في رأسها ووجهها فوضع رسول ﷺ يده على رأسها ووجهها من فوق الثياب فقال: بسم الله أذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك فعل ذلك ثلاث مرات فذهب الورم).

وأخرج أحمد والدارمي والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن امرأة جاءت بابن لها فقالت: يا رسول الله إن بابني هذا جنونا وإنه يأخذه عند غذائنا وعشائنا فيفسد علينا فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فثغ ثغة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي).

وأخرج البيهقي عن يزيد بن نوح بن ذكوان أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قال (يا رسول الله إني أشتكي ضرسي آذاني وأشتد عليّ فوضع رسول الله ﷺ يده على الخد الذي فيه الوجع وقال: اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك سبع مرات فشفاه الله تعالى قبل أن يبرح).

وأخرج البيهقي وأبو نعيم في الصحابة عن رفاعة قال: (أخذت شحمة فازدردتها فاشتكيت منها سنة ثم إني ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فمسح بطني فألقيتها خضراء فو الذي بعثه بالحق ما اشتكيت بطني حتى الساعة)، وأخرج أبو نعيم عن الوازع (أنه انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة النبي ﷺ أعقل منه).

وأخرج أبو يعلى وأبو نعيم من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده: (أنه أصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا النبي ﷺ فقال: لا فدعا به فغمز عينه براحته فكان لا يدري أي عينيه أصيبت) ا.هـ من الخصائص للحافظ السيوطي رحمه الله.

Scanned by CamScanner

٨٧- وأحيت السنة الشهباء دعوته حتى حكت غرة في الأعصر الدهم
٨٨- بعارض جاد أو خلت البطاح بها سيباً من اليم أو سيلاً من العرم

شرح البيتين رقمي ٨٨/٨٧:

(وأحيت) عطف على أبرأت. و(السنة) العام وأكثر ما تستعمل في الحول الذي فيه الجدب يقال أسنت القوم أصابتهم السنة قاله الراغب في المفردات ويرى بعضهم أن السنة من أي يوم عددته إلى مثله والعام لا يكون إلا شتاء وصيفا وعلى هذا فالعام أخص من السنة فكل عام سنة وليس كل سنة عام وإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف الشتاء والعام لا يكون إلا صيفاً وشتاء متواليين ذكره في المصباح.

و(الشهباء) نعت للسنة والسنة الشهباء: هي التي لا خضرة فيها ولا مطر. و(دعوته) دعاءه ﷺ فاعل أحيت وإسناد الإحياء إلى الدعاء مجاز عقلي كقولهم أنبت الربيع البقل إذ المحيي في الحقيقة هو الله عز وجل والمراد بإحيائها إنبات النبات وإحداث نضارتها.

(حتى حكت) أي شابهت (غرة) بالنصب مفعول حكت وغرة كل شيء أحسنه. و(الأعصر) جمع عصر: وهو الزمان. و(الدهم) جمع أدهم وهو الأسود لسواد الأرض فيه بالزرع شديد الخضرة يقال حديقة دهماء أي خضراء تضرب إلى السواد نعمةً وريًّا.

قوله (بعارض) متعلق بأحيت والعارض: السحاب. و(جاد) كثر مطره (أو خلت) حسبت (البطاح) جمع أبطح: وهو واد متسع ذو حصباء (بها) الباء للسببية والضمير راجع إلى العارض وأنثه لكون السحاب مؤنثا سماعياً (سيباً) السيب على وزن غيب بمعنى الجري من ساب الماء. و(اليم) البحر (أو سيلا) الماء الجاري بغتة من كثرة المطر (من العرم) جمع عرمة: وهي السكر بكسر السين ما يسد به الماء ويحبسه. وقال

Scanned by CamScanner

ابن الأعرابي: العرم: السيل الذي لا يطاق دفعه. وقال قتادة ومقاتل: العرم: اسم وادي سبا وفي هذا إشارة إلى قوم سبا وقصتهم المذكورة في القرآن في سورة سبأ وفيها قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ [سبأ:١٦].

وحاصل معنى البيتين: وكم أحيت دعوته ﷺ السنة المجدبة حتى شابهت تلك السنة غرة في الأزمنة السود لشدة خضرة الزرع فيها حتى يرى من شدة خضرته أنه أسود بسبب سحاب عارض جاء بالمطر الكثير إلى أن حسبت أيها المخاطب أن الأودية المتسعة مياهها جارية من البحر أو سائلة من العرم.

وفي هذا إشارة إلى إجابة دعائه ﷺ في الاستسقاء أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: (أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ يخطب أتاه أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع رسول الله ﷺ يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى ثار سحاب كأمثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأيت الماء يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي فقال: يا رسول الله تهدم البناء فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت حتى صارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي وادي قناة ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود) قال السيوطي في الخصائص: له طرق عن أنس رضي الله عنه ثم ذكر السيوطي رحمه الله أحاديث كثيرة في الباب وفيما ذكرته كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

Scanned by CamScanner

٨٩- دعني ووصفي آيات له ظهرت ظهور نار القرى ليلاً على علم
٩٠- فالدر يزداد حسناً وهو منتظم وليس ينقص قدراً غير منتظم

شرح البيتين رقمي ٨٩/٩٠:

(دعني) اتركني (ووصفي) مفعول معه وهو مصدر مضاف إلى فاعله. و(آيات) مفعول له والآيات: جمع آية والمراد العلامات والمعجزات (له) الضمير راجع إلى النبي ﷺ (ظهور) مفعول مطلق مبين للنوع. و(القرى) الضيافة. و(ليلاً) ظرف لظهور. و(العلم) الجبل. وقد جرت عادة العرب الكرام بإيقاد النار ليلاً على رؤوس الجبال ليراها أبناء السبيل فيهتدوا بها. (فالدر) الفاء للتعليل. والمنتظم: المجتمع في سلك.

وحاصل معنى البيتين: اتركني وذكرى آيات ظهرت له ﷺ كظهور نار الضيافة في الليل على جبل عال لأنها مع كونها ظاهرة ظهوراً تاماً يزداد حسنها بنظمها ولا ينقص قدرها إذا لم تنظم كالدر فإنه إذا نظم في السلك يزداد حسنا وإذا لم ينظم لا ينقص قدره لأنه حسن في ذاته.

٩١- فما تطاول أمالي المديح إلى ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

شرح البيت رقم ٩١:

الفاء لتعليل ما سبق ويجوز أن تكون للعطف (تطاول) التطاول في الأصل مد العنق يقال تطاول إليه إذا أراد الوصول إليه ومد عنقه ينظر إلى الشيء البعيد. والآمال: جمع أمل وهو الرجاء. والمديح: ما يمدح به (إلى ما فيه) أي إلى استقصاء ما فيه ﷺ (من كرم الأخلاق والشيم).

وحاصل معنى البيت: دعني أذكر معجزاته ﷺ لأن المادحين لم يبلغوا إلى استقصاء ما فيه ﷺ من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ومن يستطيع حصر ذلك.

Scanned by CamScanner

فائدة:

في قوله فما تطاول أمالي المديح أوجه إعرابية:

الأول: أن ما: نافية. وتطاول: فعل ماض. أمالي: فاعل. والمديح: منصوب بنزع الخافض.

والمعنى على هذا: فلم تتطاول آمالي بالمديح الصادر مني إلى استقصاء ما فيه ﷺ من كرم الأخلاق والشيم لعلمي باليأس من ذلك والعجز عما هنالك.

الثاني: ما: للاستفهام الإنكاري وهي مبتدأ. وتطاول: مصدر مرفوع خبر ما الاستفهامية وهو مضاف. وآمالي: مضاف إليه. وآمال: مضاف والياء: مضاف إليه.

والمديح: منصوب بنزع الخافض.

والمعنى على هذا: فما فائدة تطاول آمالي بالمديح إلى تمام ما فيه ﷺ من كرم الأخلاق والشيم مع أنها لا تتناهى.

وما ذكر من نصب المديح بنزع الخافض على النسخ التي فيها آمالي بالإضافة إلى ياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين أما على نسخه آمال بلا ياء التي شرح عليها القسطلاني فقد أعرب المديح بالجر على الإضافة لكن على تقدير مضاف أي آمال صاحب المديح. ا.هـ ملخصاً من البيجوري.

Scanned by CamScanner

٩٢- آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم

شرح البيت رقم ٩٢:

أي من معجزاته ﷺ (آيات حق) التي هي القرآن الكريم (من الرحمن) أي من عند الرحمن لا من عند محمد كما زعمه كفار قريش (محدثة) أي أحدثها الله تعالى وهذا باعتبار ألفاظها كما جاء في التنزيل ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥]. وقال تعالى ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

(قديمة) باعتبار المعاني فآيات القرآن محدثة قديمة باعتبارين لا باعتبار واحد حتى يؤدي إلى اجتماع النقيضين لأنا نقول الحادث هو ألفاظ القرآن والقديم معناه فإن الكلام اثنان لفظي ونفسي فالحادث كلام لفظي والقديم كلام نفسي قائم بذات الله عز وجل وهي بالمعني الثاني قديمة (صفة الموصوف بالقدم) وهو الله عز وجل إذ الكلام صفة من صفات الله عز وجل وصفاته قديمة كما أنه جل وعلا قديم فالقرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق ولفظنا بالقرآن مخلوق والكتابة والورق والمداد مخلوق فافهم.

وفي بعض النسخ بدل محدثة محكمة وبها جاء التنزيل أيضاً قال عز وجل ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١].

Scanned by CamScanner

٩٣- لم تقترن بزمان وهي تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن إرم

شرح البيت رقم ٩٣:

المعنى آيات حق من حيث المعاني قديمة (لم تقترن بزمان) لأنها صفة له تعالى وصفاته تعالى قديمة لا يجري عليها الزمان هذه الآيات القديمة التي لم تقترن بزمان مشتملة على الإخبار عن المعاد قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧]، وتخبرنا عن الأمم الماضية كعاد قال تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠] وتخبرنا عن إرم قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٦-٧] وإرم جَدُّ عاد.

٩٤- دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين إذ جاءت ولم تدم

شرح البيت رقم ٩٤:

دامت: بقيت. وفاقت: غلبت. والمعجزة: هي كل أمر خارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها كذا في المواهب. وإذ: للتعليل. وفاعل جاءت مستتر فيه يعود إلى كل معجزة.

وحاصل معنى البيت: آيات حق ـ التي هي معجزة القرآن ـ دامت لدينا أي باقية عندنا بعد وفاته ﷺ فهذه المعجزة فاقت جميع معجزات الأنبياء عليهم السلام لأن معجزاتهم التي جاؤوا بها لم تبق بعد وفاتهم لذلك فاقت معجزته ﷺ جميع معجزاتهم.

وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

Scanned by CamScanner

الآية في جواب قول الكفار ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [يونس: ٢٠] أي كما أنزل على الأنبياء من قبل مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى ـ عليهم السلام ـ ومعنى الآية أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان كذا في تفسير النسفي رحمه الله.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ (ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة).

قال الحافظ السيوطي رحمه الله في الخصائص الكبرى بعد إيراد هذا الحديث: قال العلماء: أن معناه معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون يدل على صحة دعواه وقيل المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا قال الحافظ ابن حجر ويمكن نظم القولين في كلام واحد فإن محصلهما لا ينافي بعضه بعضاً.

Scanned by CamScanner

٩٥- محكمات فما تبقين من شبه لذي شقاق وما تبغين من حكم

شرح البيت رقم ٩٥:

تلك الآيات القرآنية (محكمات) أي محكمة لا يناقض بعضها بعضاً فما تترك (من شبه) جمع شبهة (لذي شقاق) أي مخالفة للحق ولا تطلب حاكما يحكم على المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها.

٩٦- ما حوربت قط إلا عاد من حرب أعدى الأعادي إليها مُلقي السلم

شرح البيت رقم ٩٦:

(ما حوربت) ما عورضت (قط) ظرف زمان لاستغراق الماضي ولا يستعمل إلا في الماضي (إلا عاد) إلا رجع إما بالدخول في الإسلام أو بترك المعارضة (من حرب) من تعليلية وحرب بفتحتين بمعنى الشدة يقال حَرِبَ يَحْرَبُ حَرَباً اشتد غضبه وقيل هو لغة في الحرب بمعنى المحاربة والمعارضة وعليه تكون من ابتدائية.

و(أعدى الأعادي) أشد الأعادي عداوة والأعادي جمع أعداء وهو جمع عدو فالأعادي جمع الجمع. و (ملقي) حال من فاعل عاد. و(السلم) الاستسلام والانقياد.

وحاصل معنى البيت: ما عورضت تلك الآيات قط بشيء من كلام الفصحاء والبلغاء إلا رجع إليها من أجل شدة بلاغتها وكمالها أعدى الأعداء مستسلماً ومنقاداً لها لعجزه عن المعارضة.

وقد ورد في إقرار الأعداء من الفصحاء والبلغاء بإعجاز القرآن أخبار كثيرة منها:

١- قول عتبة بن ربيعة بعد سماعه من رسول الله ﷺ سورة فصلت: إني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. وقصته في سيرة ابن إسحاق وهي عند ابن

Scanned by CamScanner

هشام ورواه كذلك ابن أبي شيبة في مسنده والبيهقي في الدلائل.

٢- قول الوليد بن المغيرة لقومه عندما عرضوا عليه أن يقولوا في النبي ﷺ وما جاء به من القرآن أنه قول كاهن قال: لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول مجنون. قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالبه ولا وسوسته. قالو: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس. قال: والله إن لقوله لحلاوة وإنَّ أصله لعذقٌ وإن فرعه لجناةٌ ثم قال الوليد: أقرب القول فيه أن تقولوا هو ساحر. والقصة عند ابن إسحاق وابن هشام وفي الوليد أنزل الله قوله عز وجل ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١١-١٦].

وفي صحيح مسلم قول أنيس لأبي ذر بعد رجوعه من مكة ولقاءه قال أبو ذر لأنيس: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحر. وكان أنيس أحد الشعراء قال أنيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون و... الحديث. وفيه قصة إسلام أبي ذر بعد قدومه مكة للتحقق من أمر رسول الله ﷺ.

٣- قصة الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ وفيها قول الطفيل ﷺ لرسول الله ﷺ: إن قومك قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى شددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولاً حسناً فاعرض عليّ أمرك قال فعرض عليَّ

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

الإسلام وتلا عليّ القرآن فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن ولا أمراً أعدل منه قال الطفيل فأسلمت وشهدت شهادة الحق... الحديث. رواه أبو نعيم في الدلائل وهو عند ابن إسحاق في سيرته وابن هشام في سيرته.

٤- أخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق حدثني إسحاق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال: لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه: أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين إلى الصراط المستقيم فقال ما أحسن هذا وأجمله أو كل كلامه مثل هذا قال: يا أبتاه وأحسن من هذا.

٥- في طبقات ابن سعد أن رجلاً من بني سُليم يقال له قيس بن نُسيبة قدم على رسول الله ﷺ فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابه ووعى ذلك كله ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم ورجع إلى قومه بني سليم فقال قد سمعت ترجمة الروم وهينمة فارس وأشعار العرب وكهانة الكاهن وكلام مَقاوِل حمير فما يشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم فأطيعوني وخذوا بنصيبكم عنه فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم إلى رسول الله ﷺ فلقوه بقديد وهم سبع مائة ويقال كانوا ألفاً فيهم العباس بن مرداس وأنس بن عباس بن رعل وراشد بن عبد ربه فأسلموا.

وفي الشفاء حكى أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] فسجد وقال سجدت لفصاحته.

وسمع آخر رجلاً يقرأ ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] فقال أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام.

وقال القسطلاني في المواهب: وما أحسن ما قال بعض العلماء إن هذا القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الأرض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة أنه منزل من عند الله وأن البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك فكيف إذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم

وأتقاهم وقال إنه كلام الله وتحدىٰ الخلق كلهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقىٰ مع هذا شك ا.هـ.

٩٧- ردت بلاغتها دعوى معارضها رد الغيور يد الجاني عن الحرم

شرح البيت رقم ٩٧:

ردت: أبطلت. والبلاغة في الكلام: مطابقته لمقتضىٰ الحال مع فصاحته. وفي المتكلم: ملكة يقتدر بها علىٰ تأليف كلام بليغ. دعوىٰ: مفعول ردت وهو مضاف. ومعارضها: مضاف إليه.

رد: صفة مصدر محذوف تقديره رداً مثل رد الغيور. والغيور: شديد الغيرة. والجاني: المذنب والمراد به من يأتي الجناية لحرم الغير. والحرم: بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وهي ما لا يحل انتهاكه.

وحاصل معنىٰ البيت: أبطلت بلاغة هذه الآيات دعوىٰ من يعارضها بالإتيان بمثلها في ظنه كرد الرجل الغيور علىٰ النساء يد الجاني عن حرمه.

قال القاضي عياض رحمه الله في الشفا: قد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أن اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] الآية فمحا ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام بشر وكان أفصح أهل وقته.ا.هـ.

وقال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في الوفا عن الإمام ابن عقيل أنه قال: حكىٰ لي أبو محمد بن مسلم النحوي قال: كنا نتذاكر إعجاز القرآن وكان ثمة شيخ كثير الفضل فقال: ما فيه ما يعجز الفضلاء ثم ارتقىٰ إلىٰ غرفة ومعه صحيفة ومحبرة ووعد أنه سيباديهم بعد ثلاثة أيام بما يعمله مما يضاهي القرآن فلما انقضت الأيام الثلاثة صعد واحد فوجده مستنداً

Scanned by CamScanner

يابساً وقد جفت يده على القلم. ا.هـ.

وفي المواهب للقسطلاني رحمه الله: وقد رام قوم من أهل الزيغ والإلحاد أوتوا طرفا من البلاغة وحظاً من البيان أن يضعوا شيئاً يلبسون به فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول مالوا إلى السور القصار كسورة الكوثر والنصر وأشباههما لوقع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه لأن العجز إنما يقع في التأليف والاتصال وممن رام ذلك من العرب في التشبث بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال:

يا ضفدع نقي كم تنقين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين.

فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذا قال: إنه لكلام لم يخرج من إل. قال ابن الأثير: أي من ربوبية والإل بالكسر هو الله تعالى وقيل الإل الأصل الجيد أي لم يجئ من الأصل الذي جاء منه القرآن. ا.هـ.

٩٨- لها معان كموج البحر في مدد وفوق جوهره في الحسن والقيم

٩٩- فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الإكثار بالسأم

شرح البيتين رقمي ٩٨/٩٩:

(لها) أي الآيات القرآنية (معان) أي مدلولات ومقاصد وما تتضمنه الآيات من الحقائق والفوائد (كموج) صفة معان. والمدد: الزيادة. (وفوق جوهره) عطف على كموج البحر. (والقيم) جمع قيمة (ولا تحصى) الإحصاء: الحصر والإحاطة. (ولا تسام) أي لا توصف (على الإكثار) أي مع الإكثار والإكثار: الإتيان بالكثير. والسأم: الملالة.

وحاصل معنى البيتين: تلك الآيات القرآنية معانيها كموج البحر في الازدياد وعدم النفاد وفوق جواهر البحر من اللؤلؤ والمرجان في الحسن والقيمة وتلك الآيات القرآنية لكثرة معانيها لا تعد عجائبها ولا تحصى غرائبها من العلوم الغريبة والأسرار العجيبة والدقائق اللطيفة

Scanned by CamScanner

التي أودعها الله في كتابه الكريم وما زال أهل العلم يستنبطونها في كل زمان ولأجل نفاسة معانيها لا توصف بالملالة من كثرة التلاوة والقراءة للقرآن مع أن الطباع جبلت على السآمة من المكرر.

وعند الترمذي في جامعه في فضل القرآن الكريم من حديث علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (ألا إنها ستكون فتنة) فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله قال (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١-٢] من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم).

ومن شعر سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما في سعة علوم القرآن:

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال

وفي الشفا للقاضي عياض رحمه الله: وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأئمة في إعجازه ـ أي القرآن ـ وجوها كثيرة منها:

أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الأكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضاً طريا وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه يُمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا مستلذ به في الخلوات ويؤنس في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابنا لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله ﷺ القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

١٠٠- قرت بها عين قاريها فقلت لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

شرح البيت رقم ١٠٠:

(قرت) بردت سروراً والضمير في (بها) راجع للآيات أي بسبب قراءة تلك الآيات (قاريها) أي قارئها سكنت الهمزة لضرورة الشعر ثم أبدلت ياء. والفاء في قوله (فقلت) هي الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن المحذوف وأفادت بيان السببية أي إذا كان قاريها مسروراً بسبب قراءتها فقلت (له لقد ظفرت) تقول العرب ظفر بالشيء أي وجده. والحبل: معروف واستعير للوصل ولكل ما يتوصل به إلى شيء فحبل الله هو القرآن الذي إذا اعتصمت به فزت برضا الله عز وجل وكريم جواره سبحانه وتعالى.

وحاصل معنى البيت: تلك الآيات الكريمة بردت سروراً عين قاريها بسبب قراءتها فقلت له والله لقد وجدت ما يوصلك إلى الله فاستمسك به وأعمل بموجبه.

١٠١- إن تتلها خيفة من حر نار لظى أطفأت حر لظى من وردها الشبم

شرح البيت رقم ١٠١:

(إن تتلها) أي تقرأ الآيات الكريمة (خيفة) أي خوفاً (من حر نار لظى) أي جهنم (أطفأت نار لظى من) للتعليل (وردها) الورد: بكسر الواو الماء المرشح للورود والضمير راجع للآيات. والشبم: البارد شبه الآيات بالماء لأنها سبب حياة الأرواح كما أن الماء سبب حياة الأشباح.

وحاصل معنى البيت: إن تقرأ الآيات القرآنية خوفاً من حر نار جهنم أطفأت نارها من ماءها البارد لأنه من صار بها حيا لم تضره نار لظى.

Scanned by CamScanner

١٠٢- كأنها الحوض تبيض الوجوه به من العصاة وقد جاءوه كالحمم

شرح البيت رقم ١٠٢:

كأن: حرف تشبيه والضمير راجع للآيات وهو اسم كأن. والحوض خبرها والمراد به هنا نهر الحياة. تبيض الوجوه: أي ذواتهم. من العصاة وقد جاؤه: حال من العصاة. كالحمم: جمع حممه على وزن رطبة وهي الفحمة المسودة.

وإنما شبهت الآيات بالحوض لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) رواه مسلم.

فالآيات تشفع في قارئها وقد جاء مسود الوجه من المعاصي فيبيض وجهه بشفاعتها كما أن الحوض نهر الحياة يدخله العصاة فيخرجون وقد ابيضت وجوههم يدل على هذا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين: (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم) وفي رواية (يقول الله تعالى من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ألم تروا أنها تخرج صفراء ملتوية) كذا في المشكاة.

وحاصل معنى البيت: كأن الآيات الكريمة في تبيض وجوه القارئين كالحوض في تبيض وجوه العصاة به إذ جاؤوه كالفحم الأسود.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

١٠٣- وكالصراط وكالميزان معدلة فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

شرح البيت رقم ١٠٣:

وكالصراط: عطف على كأنها في البيت السابق والصراط: هو جسر أدق من الشعرة وأحد من السيف يضرب على جهنم كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الصحيحين. والميزان: ما يوزن به أعمال المكلفين قال تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ومعدلة: بمعنى عدل تمييز. والقسط: العدل. وضمير غيرها راجع للآيات الكريمة. والمراد من الناس أمة نبينا ﷺ.

وحاصل معنى البيت: وهذه الآيات الكريمة كالصراط في الاستقامة أو تمييز الحق من الباطل وكالميزان في العدل فالعدل من غيرها من الكتب لم يدم في الناس بل نسخ.

١٠٤- لا تعجبن لحسود راح ينكرها تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم

شرح البيت رقم ١٠٤:

لا تعجبن: جواب سؤال مقدر تقديره إذا كانت الآيات متصفة بهذه الصفات فكيف أنكرها كثير من الكفار أجاب الناظم على هذا السؤال بقوله: لا تعجبن بسكون النون الخفيفة نهي. والحسود: صيغة مبالغة من الحسد: وهو تمني زوال نعمة من مستحق لها وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها. وراح: أي ذهب نعت حسود. ينكرها: حال. وتجاهلاً: مفعول لأجله. وهو عين الحاذق: جملة حالية. والعين: بمعنى الذات مقحم يفيد التأكيد. والحاذق: الماهر. والفهم: كثير الفهم.

وحاصل معنىٰ البيت: لا تعجب أيها المؤمن بهذه الآيات الكريمة من حسود للنبي ﷺ حمله حسده علىٰ إنكار الآيات تجاهلاً والحال أنه ماهر في صناعة البلاغة وكثير الفهم لخواص التراكيب.

١٠٥- قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

شرح البيت رقم ١٠٥:

قد تنكر... إلخ لما ادعىٰ الناظم أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة أثبت ذلك بأمرين محسوسين:

الأول: إنكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بالعين.

والثاني: إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به.

فكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمنكر فهاتان الجملتان مسوقتان للتعليل وكلامه علىٰ حذف مضاف فيهما والتقدير قد ينكر ذو العين إلخ وقد ينكر ذو الفم إلخ لأن المنكر في الحقيقة هو صاحب تلك العين المنكرة لضوء الشمس لرمدها وهو صاحب ذلك الفم المنكر لطعم الماء لسقمه.

وحاصل معنىٰ البيت: لا تعجب من إنكار الحسود للآيات لأن العين الباصرة إذا رمدت تنكر ضوء الشمس والفم إذا حصل له مرض ينكر طعم الماء العذب.

١٠٦- يا خير من يمم العافون ساحته سعياً وفوق متون الأينق الرسم

شرح البيت رقم ١٠٦:

لما مدحه ﷺ بما مدحه به مخبراً عنه علىٰ وجه الغيبة أقبل عليه بالخطاب فقال الناظم رحمه الله: (يا خير من يمم) أي قصد (العافون) جمع عاف: وهو طالب المعروف (ساحته) الساحة: الناحية أو الموضع المتسع أمام الدار والمراد هنا حريم الدار (سعياً) حال من العافون أي

Scanned by CamScanner

ساعين على أرجلهم (وفوق) ظرف متعلق بحال محذوفة أي كائنين فوق (متون) جمع متن والمتن: الظهر (الأينق) جمع ناقة (الرسم) جمع رسوم بفتح الراء يقال ناقة رسوم أي تؤثر أخفافها في الأرض من شدة الوطئ.

وحاصل معنى البيت: يا خير من قصد أرباب الحاجات حريم داره ساعين على أرجلهم وراكبين فوق الإبل السريعة.

والبيت يدل على أنه ﷺ مقصود بالزيارة وزائره ﷺ يرجع مقضي الحاجة قد فاز بمطلوبه وظفر بمرغوبه.

أما زيارة قبره الشريف فأمر مجمع على مشروعيته قال العلامة المحقق القاضي رحمه الله في الشفا: زيارة قبره ﷺ سنه من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها. ا.هـ

وصرح بالإجماع التقي السبكي وممن حكى إجماع المسلمين على الاستحباب الإمام النووي رحمه الله.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: واحتج أيضاً من قال بالمشروعية بأنه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحج في جميع الأزمان على تباين الديار واختلاف المذاهب الوصول إلى المدينة المشرفة لقصد زيارته ويعدون ذلك من أفضل الأعمال فكان إجماعاً.

وقال العلامة المحقق المحدث عبد الحي اللكنوي رحمه الله في إبراز الغي الواقع في شفاء العي: وأما نفس زيارة قبر النبي ﷺ فلم يذهب أحد من الأئمة وعلماء الملة إلى عصر ابن تيمية إلى عدم شرعيتها بل اتفقوا على أنها من أفضل العبادات وأرفع الطاعات واختلفوا في ندبها ووجوبها فقال كثير منهم بأنها مندوبة وقال بعض المالكية والظاهرية أنها واجبة وقال أكثر الحنفية أنها قريب من الواجب وقريب الواجب عندهم في حكم الواجب وأول من خرق الإجماع فيه وأتى بشيء لم يسبق إليه عالم قبله هو ابن تيمية. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

أقول: قد رد العلماء كثيراً على ابن تيمية في هذه المسألة منهم الحافظ الفقيه أبو زرعة العراقي حيث قال في الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية: وما أبشع مسألتي ابن تيمية في الطلاق والزيارة وقد رد عليه فيهما معا الشيخ تقي الدين السبكي وأفرد ذلك بالتصنيف فأجاد وأحسن. ا.هـ.

وذكر العلامة الحافظ الصلاح العلائي المسائل التي انفرد بها ابن تيمية فقال منها: أن إنشاء السفر لزيارة نبينا ﷺ معصية لا تقصر فيها الصلاة وبالغ في ذلك ولم يقل به أحد من المسلمين قبله. نقله المحقق الكوثري رحمه الله في تكملة الرد على النونية.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية. ا.هـ.

وقد دل على مشروعية الزيارة النبوية الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] دلت الآية على طلب المجيء إليه ﷺ وهذا يكون بقصد زيارته حياً في الدنيا وحياً في البرزخ وعلى استغفار الزائر عنده ﷺ. وعلى استغفار الرسول ﷺ لزائره الذي طلب منه الاستغفار.

واستغفار النبي للمؤمنين حاصل في حال حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى قال تعالى ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدتُ الله عليه وما رأيت من شر استغفرت لكم) رواه البزار وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد. وصححه الحافظ السيوطي رحمه الله.

Scanned by CamScanner

وقد فهم المفسرون وغيرهم من هذه الآية العموم واستحبوا لمن جاء إلى القبر الشريف أن يقرأ هذه الآية وهذه كتب التفاسير بين أيدينا وكتب المناسك التي صنفها العلماء على المذاهب الأربعة متفقة على ما قلناه وقررناه.

أما السنة فمنها ما دل على طلب الزيارة بالعموم فكل الأحاديث الدالة على سنية زيارة القبور تدل على زيارة قبره الشريف الذي هو سيد القبور وهذه الأحاديث ثابتة بألفاظ متعددة بلغت حد التواتر كما في نظم المتناثر ومن أشهر ألفاظها: (كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فإنها تذكر الآخرة) ومن ألفاظه عند النسائي (فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هُجْراً) والفعل في سياق الشرط يفيد العموم بل هو أعلى صيغ العموم.

ومنها ما دل على طلب زيارة قبره الشريف ﷺ بخصوصه منها حديث (من زار قبري وجبت له شفاعتي) أخرجه الدار قطني والدولابي في الكنى والبيهقي في الشعب وابن عدي في كامله وغيرهم وهذا حديث حسن جيد الإسناد.

جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي وهو من شيوخ الإمام أحمد خلاصة ما قيل فيه أنه صالح الحديث كما في الميزان للذهبي. وهو رواه عن عبيد الله بن عمر وهو ثقة حافظ. وعن عبد الله بن عمر وهو حسن الحديث قال الحافظ الذهبي في المغني صدوق حسن الحديث وهما عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه به مرفوعاً.

ومنها قوله ﷺ (من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً أبلغته) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في الثواب كما في القول البديع قال الحافظ ابن حجر إسناده جيد كما في القول البديع وأقره تلميذه الحافظ السخاوي.

Scanned by CamScanner

ومنها قوله ﷺ (من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتىٰ ينتهي إلىٰ قبري كنت له شهيداً يوم القيامة) رواه العقيلي وفي إسناده لين وهو حسن بما قبله.

وأما الدعاء عند القبور وعلىٰ رأسها القبر النبوي الشريف والتوجه إليه عند الحاجات والاستشفاء به فنتكلم عليه في محورين:

الأول: في ثبوت الدعاء عند القبور وعلىٰ رأسها القبر الشريف.

والثاني: في ثبوت التوجه إلىٰ القبر النبوي عند الملمات والاستشفاء به عند الحاجات.

المحور الأول: في ثبوت الدعاء عند القبور وعلىٰ رأسها القبر الشريف

ثبت أن النبي ﷺ كان يدعوا للأحياء والأموات عند زيارة القبور ففي صحيح مسلم ومسند أحمد (أن النبي ﷺ علّم السيدة عائشة رضي الله عنها عند زيارة البقيع أن تقول: السلام علىٰ أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون).

وفي صحيح مسلم من حديث بريدة ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلىٰ المقابر أن يقولوا السلام عليكم... أسأل الله لنا ولكم العافية) وعند الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال (مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم) وعند أحمد في مسنده قول النبي ﷺ (اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم) والأحاديث في الباب كثيرة وهي تدل دلالة واضحة علىٰ استحباب الدعاء عند القبور للأحياء والأموات وأن ذلك من سنة رسول الله ﷺ.

وفي قوله تعالىٰ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾

Scanned by CamScanner

[النساء:٦٤].

دلالة على ذلك لوقوع الفعل جاءوك في حيز الشرط وهذا دليل العموم فدلت الآية على مشروعية الدعاء والاستغفار عند قبره الشريف خصوصاً وغيره من قبور الصالحين عموماً لأنها علقت وجدان الله تواباً رحيما على ثلاثة أمور هي:

١- المجيء.

٢- الاستغفار.

٣- استغفار الرسول.

والمجيء بعد انتقال النبي ﷺ للرفيق الأعلى يكون بالمجيء إلى قبره الشريف فالآية تدل على استحباب المجيء إلى القبر الشريف والدعاء والاستغفار وطلب الاستغفار من الرسول ﷺ.

المحور الثاني: في ثبوت التوجه إلى القبر النبوي عند الملمات والاستشفاء به عند الحاجات

ثبت أن عدداً من الصحابة ﷺ كان إذا حزبهم أمر أو نزلت بهم نازلة اتجهوا للقبر النبوي الشريف يدعون الله تبارك وتعالى ويستشفعون بالنبي ﷺ وهاك بعض النماذج الصحيحة:

١- أخرج أحمد في مسنده عن عبد الملك بن عمر حدثنا كثير بن زيد عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب ﷺ فقال: نعم جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعت رسول الله ﷺ يقول (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله) رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي.

٢- أخرج الدارمي في سننه باب ما أكرم الله تعالى نبيه بعد موته حدثنا أبو النعمان حدثنا سعيد بن زيد حدثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال قحط أهل المدينة قحطاً شديداً

Scanned by CamScanner

فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت (انظروا إلى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمّي عام الفتق)

٣- أخرج بن أبي شيبة وصححه الحافظ في الفتح عن مالك الدار وكان خازن عمر ﷺ على العام قال (أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقيون وقل له: عليك الكيس الكيس فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ﷺ ثم قال: يا رب لا آلوا إلا ما عجزت عنه).

٤- نقل عن الأئمة الدعاء عند قبور الصالحين ومن ذلك:

١- جاء في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر عن الحاكم النيسابوري قال: سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله ـ أي علي الثقفي ـ مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا عليهما السلام بطوس قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عنده ما تحيرنا.

أقول: وأقره الحافظ وهو سند صحيح متصل وهو صريح في شد الرحل لزيارة قبور الصالحين وتعظيمها ومشروعية الدعاء عندها.

٢- قال الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان في كتابه الثقات ٨/٤٥٦/٤٥٧ في ترجمة الإمام علي الرضا ﷺ وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجنب قبر الرشيد قد زرته مراراً كثيرة وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا ـ صلوات الله على جده وعليه ـ ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك أماتنا الله على

Scanned by CamScanner

محبة المصطفىٰ وأهل بيته ﷺ وعليهم أجمعين. ا.هـ.

٣- في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر في ترجمة يحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري نقلاً عن تاريخ نيسابور للحاكم قال: سمعت أبا علي النيسابوري يقول: كنت في غم شديد فرأيت النبي ﷺ في المنام كأنه يقول لي: صِر إلىٰ قبر يحيىٰ واستغفر وسل تقضىٰ حاجتك فأصبحت ففعلت ذلك فقضيت حاجتي. وأقره الحافظ وهذا إسناد يرويه حافظ ثقة إمام عن نظيره.

٤- وفي سير أعلام النبلاء في ترجمة معروف الكرخي: وعن إبراهيم الحربي قال قبر معروف الترياق المجرب يريد به إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء كما أن الدعاء في السحر مرجو ودبر المكتوبات وفي المساجد بل دعاء المضطر مجاب في أي مكان اتفق اللهم إني مضطر إلىٰ العفو فاعف عني ا.هـ.

٥- وفي سير أعلام النبلاء في ترجمة السيدة نفيسة قال الذهبي: كانت من الصالحات العوابد والدعاء مستجاب عند قبرها وعند قبور الأنبياء والصالحين وفي المساجد وعرفة ومزدلفة وفي السفر المباح وفي الصلاة وفي السحر ومن الأبوين ومن الغائب لأخيه ومن المضطر وعند قبور المعذبين وفي كل وقت وحين لقوله تعالىٰ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ولا ينهىٰ الداعي عن الدعاء في وقت الحاجة وفي الجماع وشبه ذلك.

٦- وفي سير أعلام النبلاء في ترجمة الفقيه الحنفي بكار بن قتيبة: وقبره مشهور قد عرف باستجابة الدعاء عنده.

أقول: وقبر أبي حنيفة ترياق مجرب كما نص عليه غير واحد من الأعلام في المعتبرات.

٧- وفي سير أعلام النبلاء في ترجمة الحافظ الإمام الثبت صالح بن أحمد الهمذاني السمسار: ويستجاب الدعاء عند قبره.

Scanned by CamScanner

٨- وفي سير أعلام النبلاء في ترجمة شيخ المتكلمين أبي بكر بن فورك: ومشهده بالحيرة يزار ويستجاب الدعاء عنده.

٩- وفي سير أعلام النبلاء في ترجمة أبي الحسن علي بن حميد الهمذاني الملقب ركن السنة: وكان ورعاً تقياً محتشماً يتبرك بقبره.

١٠- وفي اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: وذكر أبو علي الخرقي في قصص من هجره أحمد أن بعض هؤلاء المهجورين كان يجيء عند قبر أحمد ويتوخى الدعاء عنده وأظنه ذكر ذلك للمروذي ا.هـ.

أقول: وقد نص العلماء على استحباب الدعاء عند قبور الصالحين وأنه من مواطن الإجابة من أولئك إمام القراء ابن الجزري في الحصن الحصين والشوكاني في الدر النضيد وتحفة الذاكرين والذهبي في مواطن متعددة من السير وغيرهم وفيما ذكرت كفاية والله أعلم.

١٠٧- ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

شرح البيت رقم ١٠٧:

(ومن هو) معطوف على المنادى في البيت السابق أعني خير فالتقدير يا من هو (الآية) وهو ضمير فصل يفيد القصر. والمعتبر: هو الذي يصرف فكره الصحيح إلى معرفة الحق من الباطل.

ومعنى البيت: ويا من هو الآية الكبرى لمفكر ناظر نظراً صحيحاً ويا من هو النعمة العظمى لمن يغتنم النعمة.

ولا يخفى على ذي لب أن رسول الله ﷺ هو الآية الكبرى والنعمة العظمى لأنه أكمل الموجودات.

قال المحقق القاضي عياض في الشفا: إذا تأمل المتأمل المنصف في جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته.

Scanned by CamScanner

ولا يخفى أيضاً أنه ﷺ هو النعمة العظمى ولهذا المعنى امتنّ الله به على عباده بقوله ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] ا.هـ.

١٠٨- سريت من حرم ليلاً إلى حرم كما سرى البدر في داج من الظلم

شرح البيت رقم ١٠٨:

(سريت من حرم) جواب النداء في البيتين السابقين وسريت: سرت (ليلاً) والمراد من قوله ليلاً من الليل وتنكيره يدل على تقليل المدة قاله الزمخشري. من حرم: أي مكان لا يحل انتهاكه والمراد به هنا المسجد الحرام بمكة (إلى حرم) المراد به هنا المسجد الأقصى (كما) صفة محذوف وما مصدرية أي سرى مثل (سرى البدر) والتشبيه بالبدر في سرعة السير والكمال والإنارة وقطع المنازل. والبدر: القمر عند كماله. (في داج) اسم فاعل من دجا الليل إذا ركد ظلامه والموصوف محذوف أي في ليل داج. و (من الظلم) متعلق بداج بتضمنه معنى راكد والظلم جمع ظلمة والمراد إظهار مبالغة الظلمة.

وحاصل معنى البيت: سرت ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى سيرا مثل سير البدر في ليل مظلم.

وفي البيت إشارة إلى معجزة عظيمة من معجزاته ﷺ وهي معجزة الإسراء والمعراج وقد ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقال تعالى ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ

Scanned by CamScanner

أَوْحَىٰ ۞مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۞ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۞إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۞ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١-١٨].

وقد صحت الروايات وتواترت في ذكر قصة الإسراء والمعراج وقد جمعها الحافظ جلال الدين السيوطي في الآية الكبرىٰ قال العلامة أبو شهبة رحمه الله في كتابه السيرة النبوية قال العلامة ابن كثير رحمه الله في تفسيره «قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير في مولد السراج المنير بعد أن ذكر حديث الإسراء والمعراج من طريق أنس بن مالك ﷺ وتكلم عليه فأفاد وأجاد، وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبي حبة وأبي ليلىٰ الأنصاريين وعبد الله بن عمرو بن العاص وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب الأنصاري وأبي أمامة وسَمُرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأم هانئ بنت أبي طالب وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق ﷺ أجمعين منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره علىٰ ما وقع من المسانيد وإن لم تكن رواية بعضهم علىٰ شرط الصحيح فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون».

رواية البخاري ومسلم في صحيحهما:

وسأكتفي بذكر أوثق الروايات وأصحها وهي التي اتفق عليها الإمامان الجليلان البخاري ومسلم في صحيحهما ومن أراد استيفاء الروايات في الصحيحين فليرجع إلىٰ رسالة الإسراء والمعراج.

روىٰ الشيخان في صحيحهما بسندهما عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة واللفظ للبخاري أن رسول الله ﷺ حدّثهم عن

Scanned by CamScanner

ليلة أُسري به قال (بينما أنا في الحَطيم وربما في الحِجر مضطجعاً إذ أتاني آتٍ فقدّ قال - أي قتادة - وسمعته يقول: فشقّ ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى ثنته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حُشي ثم أعيد ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة ـ كنية أنس ـ؟ قال أنس: نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحُملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه الصلاة والسلام فقال: هذا أبوك آدم فسلّم عليه فسلّمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وهما ابنا الخالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلّم عليهما فسلّمت فردا ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف عليه الصلاة والسلام قال: هذا أخوك يوسف فسلّم عليه فسلّمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا إدريس عليه الصلاة والسلام قال: هذا إدريس فسلّم عليه فسلّمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ

Scanned by CamScanner

الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتىٰ أتىٰ السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هارون عليه الصلاة والسلام قال: هذا هارون فسلّم عليه فسلّمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتىٰ أتىٰ السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسىٰ عليه الصلاة والسلام قال: هذا موسىٰ فسلّم عليه فسلّمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكىٰ قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلون من أمتي.

ثم صعد بي إلىٰ السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلّم عليه قال: فسلّمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم رفعت إلىٰ سدرة المنتهىٰ فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها كآذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهىٰ وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات.

Scanned by CamScanner

ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك.

ثم فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسىٰ فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال: بم أُمرت؟ قال بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال: سألت ربي حتىٰ استحييت ولكن أرضى وأسلم قال: فلما جاوزت ناداني منادٍ: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي.

وقد تكفّلت بعض روايات الإمام مسلم في صحيحه ببيان مجيء النبي بيت المقدس ودخوله وصلاته فيه ركعتين وعرض جبريل عليه بعد خروجه إناءين إناء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن.

وأن الله تبارك وتعالىٰ قال (يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر - يعني حسنات - فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة).

وكذلك تكفّلت بعض الكتب الحديثية الأخرىٰ ببيان ما رآه النبي ﷺ في مسراه من مكة إلىٰ بيت المقدس حيث ضربت له الأمثال لبعض الفضائل والرذائل وصلاته ﷺ ركعتين بطور سيناء وببيت لحم وبالمدينة

Scanned by CamScanner

وصلاته بالأنبياء في بيت المقدس وثناء الأنبياء على ربهم وثناء النبي على ربه وقد ذكر كثير من هذه الروايات الدالة على ذلك ابن كثير في تفسيره والحافظ ابن حجر في الفتح ا.هـ كلام أبي شهبة رحمه الله.

واعلم أن الصحيح من أقوال أهل العلم أن الإسراء والمعراج كانا بعد البعثة المحمدية وأنهما كانا قبل الهجرة بسنة وأنها كانت في اليقظة لا في المنام وأنها في ليلة السابع والعشرين من رجب.

وقد جرت عادة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عموماً وعندنا في اليمن خصوصاً وفي تهامة على وجه أخص بإحياء ليلة الإسراء والمعراج بالاجتماع على قراءة قصة المعراج في المساجد بين المغرب والعشاء وسماع المدائح النبوية والسمر على الطاعة وذلك من كريم الطاعات. والله أعلم.

١٠٩- وبت ترقى إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

شرح البيت رقم ١٠٩:

(وبت) من البيتوتة بمعنى صرت. و(ترقى) تصعد. و(أن) مصدرية. و(نلت) من النيل أي وجدت. و(من) بيان لمنزلة. القاب: بمعنى القدر تقول بيني وبينه قاب رمح وقاب قوس أي مقدارهما كما في النهاية وقاب قوسين عبارة عن كمال القرب وهذا كما قال الفخر الرازي رحمه الله على استعمال العرب وعادتهم فإن الأميرين منهم أو الكبيرين إذا اصطلحا وتعاقدا خرجا بقوسيهما وجعل كل منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ا.هـ.

وهو هنا كناية عن شدة القرب المعنوي لتنزه الله عز وجل عن معنى الجسمية ومشابهة المخلوقات.

وحاصل معنى البيت: وما زلت يا رسول الله تعرج إلى أن وصلت إلى منزلة عظيمة هي مقدار قوسين بينه ﷺ وبين الرب تبارك وتعالى

Scanned by CamScanner

وهذه المنزلة لم يصل إليها أحد غيرك وهذا معنى قوله لم تدرك ولم يطلبها أحد غيرك لعزة مكانها وهذا معنى قوله ولم ترم.

وفي البيت إشارة إلى ما جاء في البخاري من حديث أنس ﷺ في قصة الإسراء والمعراج (ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى) والدنو المذكور بالنسبة للمصطفى ﷺ عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة وبالنسبة إلى الله عز وجل إجابته ورفع درجته.

وفي الشفا للقاضي عياض رحمه الله قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما الدنو من الله تعالى لا حدّ له ومن العباد بالحدود.

وقال أيضاً: انقطعت الكيفية عن الدنو.

وقال القاضي أبو الفضل: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا إلى الله أو من الله تعالى فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي ﷺ من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان.وقال الواسطي: من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد ا.هـ بتصرف يسير.

Scanned by CamScanner

١١٠- وقدمتك جميع الأنبياء بها والرسل تقديم مخدوم على خدم

شرح البيت رقم ١١٠:

وجعلك جميع الأنبياء والرسل إمامهم في بيت المقدس واقتدوا بك كما يتبع الخدام المخدوم.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ (وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسىٰ قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد ـ هو الخفيف اللحم الممشوق المستدق كما في النهاية ـ جعد كأنه من رجال شنؤة وإذا عيسىٰ بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه ﷺ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام) وعند النسائي (ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل حتىٰ أممتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا).

١١١- وأنت تخترق السبع الطباق بهم في موكب كنت فيه صاحب العلم

شرح البيت رقم ١١١:

وأنت خرقت السموات السبع سماء بعد سماء ماراً بالرسل واحداً بعد واحد كما تقدم من حديث أنس ﷺ عند البيت ١٠٧ وكأنا في جمع من الملائكة كنت فيهم الكبير المقدم وهذا معنىٰ قوله كنت فيه صاحب العلم.

Scanned by CamScanner

١١٢- حتى إذا لم تدع شأواً لمستبق من الدنو ولا مرقى لمستنم

شرح البيت رقم ١١٢:

وأنت أيها الرسول الكريم خرقت السموات السبع حتىٰ إذا لم تترك غاية من القرب لطالب السبق ولم تترك درجة لطالب الرفعة وذلك المقام هو المعبر عنه فيما تقدم بقاب قوسين أو أدنىٰ. والمستبق: طالب السبق. والدنو: القرب.

والمرقىٰ: محل الرقي وهو الدرجة. والمستنم: طالب الرفعة إلىٰ السنام وهو أعلىٰ الشيء.

١١٣- خفضت كل مقام بالإضافة إذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

شرح البيت رقم ١١٣:

(خفضت) تركت في الأسفل كل مقامات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بالنسبة إلىٰ مقامك (إذ نوديت) أي حين طلب الله تعالىٰ إقبالك بفضله وعنايته مميزاً إياك عن سائر الناس مثل ما يطلب المميز فيما بين الأنام بنحو يا هذا الرجل بالتعظيم والإكرام. والمفرد: المتوحد بالفضائل والكمالات. والعلم: المشهور العالي القدر.

هنا تشبيه تبسيطه أن مقامات الأنبياء وإن علت إلا أنها بالنسبة إلىٰ مقام نبينا محمد ﷺ منخفضة وكان ذلك الخفض منك يا رسول الله لها حين نوديت بالرفع إلىٰ مقام قاب قوسين نداء مصاحباً لرفع شأنك مثل مصاحبة الرفع نداء الاسم المفرد العلم وذلك أن أنواع المنادىٰ وإن اشتركت في النداء إلا أن المفرد العلم منها كيا زيد وما في معناه من النكرة المقصودة بالنداء مخصوص بالرفع عن باقيها من المضاف وشبهه والنكرة غير المقصودة وإن شاركته في أصل النداء فكذا نبينا ﷺ وإن اشترك هو والأنبياء في أصل النبوة إلا أنه امتاز عليهم بنداء رفعه لذلك المقام ما ارتفعت به منزلته علىٰ مشاركيه من الأنبياء والرسل فانفرد عنهم برفعة

Scanned by CamScanner

منزلته وخفض منازلهم بالنسبة لمنزلته فأشبه المنادىٰ المفرد العلم في انفراده بالرفع ونصب غيره من أقسام المنادىٰ ا.هـ بتصرف من الذخر والعدة شرح البردة لابن علان.

١١٤- كيما تفوز بوصل أي مستتر عن العيون وسر أي مكتتم

شرح البيت رقم ١١٤:

كي: حرف جر بمعنىٰ اللام. وتفوز: من الفوز وهو الظفر. أي مستتر: صفة لمحذوف أي بوصل مستتر أي مستتر بمعنىٰ كامل في الاستتار لا يطلع عليه أحد ولا يكتنه كنهه كما يقال هو رجل أي رجل أي رجل كامل في الرجولية.

وأي مكتتم: كأي مستتر بمعنىٰ كامل في الاكتتام.

وحاصل معنىٰ البيت: سريت وبت وقدمتك... إلخ لأجل أن تظفر بوصل من الله لك كامل في الاستتار عن عيون الناس وبسر كامل في الاكتتام عن الخلق.

قال بعض الشراح: المراد من الوصل رؤيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ربه بعيني رأسه ليلة المعراج ومن السر مناجاته فيها.

أقول: رؤيته ﷺ لربه محل خلاف بين الصحابة ﷺ ومن بعدهم نفت ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها وأثبت ذلك ابن عباس رضي الله عنهما والمثبت مقدم علىٰ النافي.

أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن محمدا ﷺ رأىٰ ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده) وعند النسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسىٰ والرؤية لمحمد) وعند البيهقي في الأسماء والصفات سئل ابن عباس رضي الله عنهما هل رأىٰ محمد ربه قال: نعم.

Scanned by CamScanner

وقال بعض المفسرين: إن ما أوحىٰ إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في ليلة المعراج علىٰ أقسام: قسم أداه إلىٰ العوام وهو الأحكام والشرائع وقسم أداه إلىٰ الخواص وهو المعارف الإلهية وقسم أداه إلىٰ أخص الخواص وهو الحقائق والنتائج للعلوم الذوقية وقسم آخر بقي معه لكونه مما خصه الله تعالىٰ به هو السر الذي بينه وبين الله عز وجل. ا.هـ.

١١٥- فحزت كل فخار غير مشترك وجزت كل مقام غير مزدحم
١١٦- وجل مقدار ما وليت من رتب وعز إدراك ما أوليت من نعم

شرح البيتين رقمي ١١٥/١١٦:

فحزت: الفاء للتفريع وحزت جمعت. والفخار: ما يفتخر به من الفضائل. والمشترك: ضد المختص. وجزت: تجاوزت. والمقام: الرتبة. مزدحم: بفتح الحاء أي غير مزاحم فيه لعدم الواصلين إليه. وجل مقدار: عظم مقدار. ما وليت: أي ما ولاك الله عز وجل. من رتب: من مناصب. وعز: عز الشيء عز حصوله. وأوليت: أعطيت. من نعم: جمع نعمة.

وحاصل معنىٰ البيتين: فجمعت كل فخر غير مشترك بينك وبين غيرك وتجاوزت كل رتبة غير مزدحم فيها وعظم قدر ما ولاك الله من المناصب الشريفة الجليلة ونعجز عن الوصول إلىٰ إحصاء وإدراك ما أعطاك مولاك من الفضائل والمنن والنعم الجليلة.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ عند ابن جرير الطبري والبزار والبيهقي قال: (فكلمه الله تعالىٰ عند ذلك ـ أي سدرة المنتهىٰ ـ فقال له: سل. فقال: اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيماً وكلمت موسىٰ تكليماً وأعطيت داود ملكاً عظيماً وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسىٰ التوراة والإنجيل

Scanned by CamScanner

وجعلته يبرئ الأكمه ويحيى الموتى بإذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل.

فقال له ربه: قد اتخذتك خليلاً وحبيباً. وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معي وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطاً وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلت من قومك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً وأولهم يقضى له وأعطيتك سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحاً خاتما...) الحديث ذكره بطوله الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله في الخصائص.

١١٧- بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا من العناية ركنا غير منهدم

١١٨- لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

شرح البيتين رقمي ١١٧/١١٨:

بشرى لنا: بشرى مبتدأ ونعتها محذوف أي بشرى عظيمة ولنا خبره والبشرى والبشارة الخبر السار المغير للبشرة. والمعشر: الجماعة الذين يشملهم وصف واحد. وإن: بكسر الهمزة تعليل لما سبق. والمراد من العناية: مزيد الاعتناء بمصالحهم وإرادة مزيد الخير والكرامة من الله الواهب المعطي الكريم الجواد سبحانه وتعالى. ركن الشيء: ما يعتمد عليه والمراد منه الشريعة. وغير منهدم: صفة ركناً. والانهدام: التغير.

Scanned by CamScanner

ودعا: سمّىٰ. ولفظ الجلالة: فاعله. وداعينا: مفعوله وسكون يائه للضرورة. وسكون سين الرسل لضرورة الوزن.

وحاصل معنىٰ البيتين: يا معشر المسلمين بشرىٰ عظيمة لنا لأن لنا من أجل العناية بنا في الأزل شريعة غير منسوخة ولما سمّىٰ الله عز وجل نبينا محمد ﷺ الذي دعانا لطاعة ربه بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم لأن أكرم الرسل لا يبعث إلا لأكرم الأمم.

وعند الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قوله ﷺ: (أنا أكرم الأولين والآخرين علىٰ الله ولا فخر) وعند الترمذي أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه (وأنا أكرم ولد آدم علىٰ ربي).

ومن عناية الله عز وجل بهذه الأمة أنه اختصها ببركة حبيبه مولانا محمد ﷺ بخصائص لم توجد لغيرها وقد أفردها العلماء بالكتابة والتأليف قديماً وحديثاً وها أنا أتبرك بذكر طرف يسير منها:

١- عظم رصيد هذه الأمة من الإيمان: قال شيخنا السيد محمد علوي المالكي رحمه الله تعالىٰ أما رصيد هذه الأمة من الإيمان فعظيم ونصيبها منه كبير وذلك لأنها تؤمن بكل كتاب أنزله الله وبكل رسول أرسله الله وبكل ملك خلقه الله بلا تفريق بين واحد وهذا مصداق قوله تعالىٰ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقد أمرنا بالإقرار بهذه الحقيقة الإيمانية الاعتقادية قولاً واعتقادا في قوله سبحانه ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

٢- رفع الإصر عن هذه الأمة: وذلك بنص القرآن قال تعالىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى

Scanned by CamScanner

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والإصر أصله الثقل الذي يأصر صاحبه فلا يقدر على التحرك ومعنى ذلك أن الله عز وجل رحم هذه الأمة فلم يوجب عليها شيئا فوق طاقتها وخفف عنها ما كان شديداً على الأمم قبلها فعلى سبيل المثال كان في الأمم قبلنا إذا أصابت النجاسة ثوب أحدهم وجب عليه قطعه ليطهره ولا يكفى غسله كما في صحيح البخاري وغيره.

أما هذه الأمة فإنه يكفي في شرعها غسل المحل بالماء حتى تزول النجاسة ويعفى عن أثر شق زواله فالحمد لله.

٣- جعل الله هذه الأمة أمة وسطاً وجعلهم شهداء على الناس وذلك بنص القرآن ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

٤- يسر الشريعة المحمدية: وذلك بنص القرآن ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال ﷺ (إن الله رضي لهذه الأمة اليسر وكره لها العسر) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

٥- كمال الشريعة المحمدية: من خصائص أمة سيدنا محمد ﷺ أن شريعتها أكمل الشرائع وذلك بنص القرآن ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] فهي رسالة عالمية كاملة تعم جميع شؤون الحياة صالحة لكل زمان ومكان.

٦- نورهم يسعى بين أيديهم: من خصائص هذه الأمة أن نورهم يسعى بين أيديهم يوم القيامة بنص القرآن قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ

Scanned by CamScanner

أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآ﴾ [التحريم: ٨].

قال شيخنا السيد محمد المالكي رحمه الله: وقد وضحت السنة المشرفة هذه الخصوصية كما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: (إني لأعرف أمتي يوم القيامة من بين الأمم أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعىٰ بين أيديهم) رواه أحمد بإسناد صحيح.

٧- هذه الأمة خير أمة: وذلك بنص القرآن قال تعالىٰ ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال ﷺ: (أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها علىٰ الله عز وجل) رواه أحمد والترمذي وحسنه. وقال ﷺ (أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء فقلنا يا رسول الله ما هو قال نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد وجعل التراب لي طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم) رواه أحمد.

٨- هذه الأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة: لقوله ﷺ (لا يجمع الله أمتي أو قال أمة محمد علىٰ ضلالة ويد الله علىٰ الجماعة ومن شذ شذ في النار) رواه الترمذي.

٩- هذه الأمة لا تعذب بعذاب الأمم السابقة ويبلغ ملكها مشارق الأرض ومغاربها: روىٰ مسلم عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوىٰ لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوىٰ لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم فأعطاني).

١٠- خص الله هذه الأمة بليلة القدر: قال تعالىٰ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ * لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ * تَنَزَّلُ

Scanned by CamScanner

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

١١- فضلوا برحمة الله وبركاته وسلام منه يوم يلقونه عز وجل قال تعالىٰ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

١٢- نحن الآخرون الأولون: الآخرون وجودا الأولون يوم القيامة حسابا ودخولا الجنة قال ﷺ (نحن آخر الأمم وأول من يحاسب فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غراً محجلين من أثر الطهور) أخرجه أحمد.

وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد حسن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الجنة حرمت علىٰ الأنبياء حتىٰ أدخلها وحرمت علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمتي).

وهذا غيض من فيض وقليل من كثير وقطرة من بحر والاستقصاء صعب والمقصود الإشارة ومن أراد البسط فعليه بالكتب المصنفة في الباب والحمد لله رب العالمين.

١١٩- راعت قلوب العدى أنباء بعثته كنبأة أجفلت غفلاً من الغنم

شرح البيت رقم ١١٩:

راعت: أفزعت العِدىٰ اسم جمع للعدو وقيل جمع عدو والأنباء جمع نبأ: وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتىٰ يتضمن هذه الأشياء الثلاثة كما في مفردات الراغب. والبعثة: الرسالة.

والنبأة: الصوت الخفي. أجفلت: أذهبت وأفزعت. غفلاً: جمع أغفل: وهو البليد الغافل الذي لا يحس بالأمارات الواضحة. والغنم: اسم جنس يطلق علىٰ الضأن والمعز وقد تجمع علىٰ أغنام علىٰ معنىٰ

Scanned by CamScanner

قطعانات من الغنم ولا واحد لها من لفظها قاله ابن الأنباري.

وحاصل معنى البيت: أخبار بعثة النبي ﷺ أفزعت قلوب الأعداء وفرقت شملهم كما تفزع زأرة الأسد الأغنام الغافلة من هيبته.

وفي البيت إشارة إلى ما سمع من أخبار الكهان والأصوات عند مبعثه ﷺ وقد بسط ذلك الإمام الحافظ محمد بن يوسف الصالحي في سبل الهدى والرشاد ومن ذلك ما رواه ابن سعد عن تميم الداري رضي الله عنه قال: (كنت بالشام حين بعث النبي ﷺ فخرجت إلى بعض حاجتي فأدركني الليل فقلت أنا في جوار عظيم هذا الوادي فلما أخذت مضجعي إذا منادينا يناديني لا أراه عُذ بالله فإن الجن لا تجير أحداً على الله فقلت أيم تقول؟ فقال قد خرج رسول الأميين رسول الله وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق إلى محمد وأسلم فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب فسألت راهباً وأخبرته الخبر فقال صدق نجده يخرج من الحرم ومهاجره الحرم وهو خير الأنبياء فلا تسبق إليه قال تميم فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله ﷺ).

ومن ذلك قصة سواد بن قارب قال: (بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب أتاك رسول من لؤي بن غالب يدعوا إلى الله وإلى عبادته فرفعت رأسي وجلست فأدبر وهو يقول:

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قُداماها كأدبارها

قال: فقلت دعني أنام فإني أمسيت ناعساً قال: فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعوا إلى

Scanned by CamScanner

الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وأخبارها ورحلها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ليس ذوو الشر كأخيارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ما مؤمنوا الجن ككفارها

قال: قلت دعني أنام فإني أمسيت ناعساً فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعوا إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتجساسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما خَيِّرُ الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم وارم بعينك إلى رأسها

فقمت وقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه حوله فدنوت منه فقلت اسمع مقالتي يا رسول الله قال هات فأنشأت أقول:

أتاني رئي بعد هدءٍ ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيل الإزار ووسطت بي الدّعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً حين ذو وقرابة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

Scanned by CamScanner

قال: ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديدا حتىٰ رئىٰ الفرح في وجوههم وهذه القصة ذكرها ابن هشام في سيرته والسيوطي في الخصائص وقال له عدة طرق.

أقول: وهو عند البيهقي في الدلائل وأخرجه البخاري في التاريخ وقال السيوطي أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده وابن شاهين في الصحابة والطبراني والروايات في سماع الهواتف عند مبعثه كثيرة انظرها إن رمت البسط في سبل الهدىٰ والرشاد فقد بسطها جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

١٢٠- ما زال يلقاهم في كل معترك حتى حكوا بالقنا لحماً على وضم

شرح البيت رقم ١٢٠:

ما زال: هذا شروع في بيان جهاده ﷺ وقتاله في المعارك. يلقاهم: بإشباع ضمة الميم لضرورة الوزن ومعناه يحاربهم وفاعله راجع إلىٰ النبي ﷺ وضمير مفعوله راجع إلىٰ الكفار. والمعترك: موضع الاعتراك وهو الازدحام في الحرب.

وحكوا: شابهوا. والقنا: جمع قناة وهي الرمح. والوضم: خشبة الجزار يقطع عليها اللحم.

وحاصل معنىٰ البيت: ما زال ﷺ يحارب الكفار في كل معركة حتىٰ تركهم بطعن الرماح قتلىٰ مشابهين اللحم الموضوع علىٰ خشبة الجزار معدين للسباع والوحوش والطيور.

وفي هذا البيت إشارة واضحة إلىٰ كمال شجاعته ﷺ وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق إلىٰ الصوت وهو يقول: لن تراعوا لن تراعوا وهو علىٰ فرس لأبي طلحة عُري ما عليه سرج في عنقه سيف

Scanned by CamScanner

فقال: لقد وجدته بحراً أو إنه لبحر) وفي الصحيحين قول البراء ﷺ: (كنا والله إذا احمر الناس نتقي به وإن الشجاع منا للذي يحاذي به ـ يعني النبي ﷺ ـ).

وفي صحيح مسلم عن كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس ﷺ (شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار. قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: (أي عباس ناد أصحاب السمرة) فقال عباس وكان صيتا: فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأني عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا: يا لبيك يا لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار.

قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ: (هذا حين حمي الوطيس) قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بين وجوه الكفار ثم قال: (انهزموا ورب محمد) قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئة فيما أرى فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصيات فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبِراً).

وفي رواية أخرى لمسلم عن أبي إسحاق قال: قال رجل للبراء: يا أبا عمارة فررتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولى رسول الله ﷺ ولكن خرج شبان أصحابه ليس عليهم كثير سلاح فلقوا قوماً رماه لا يكاد يسقط لهم سهم فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث

Scanned by CamScanner

يقوده فنزل واستنصر وقال:

أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب

ثم صفهم ﷺ.

١٢١- ودوا الفرار فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم

شرح البيت رقم ١٢١:

ودوا: تمنوا والضمير للكفار. يغبطون: يتمنون من غبطته غبطاً إذا تمنيت مثل ما ناله من غير تمني زوال النعمة عنه لما أعجبك منه وعظم عندك فإن تمنيت زوال النعمة عنه فحسد. وضمير به راجع إلى الفرار. وأشلاء: جمع شلو بمعنى العضو. وشالت: ارتفعت. والعقبان: جمع عقاب وفي الكامل العقاب سيد الطيور والنسر عريفها. والرخم: جمع رخمة بالتحريك طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة.

وحاصل معنى البيت: تمنى الأعداء الفرار من حرب سيد الأبرار ﷺ لشدة ما حصل عليهم فلم يقدروا عليه وتمنوا أن يحصل لهم مثل ما حصل لأعضاء أمثالهم حين وقعت عليها الطيور فأكلت منها ما اختارت وارتفعت منها بما شاءت ليتخلصوا مما هم فيه فإن الإنسان إذا أشتد عليه الحال ولا يجد لشدته فرجاً ولا لضيقه مخرجا يتمنى الموت كما في شرح الأزهري.

Scanned by CamScanner

١٢٢- تمضي الليالي ولا يدرون عدتها ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم

شرح البيت رقم ١٢٢:

تمضي الليالي: أي والأيام وإنما ذكر الليالي دون الأيام لأن مقاساة ذوي المحن والأحزان في الليالي أشد مما في النهار. ولا يدرون: لا يعلمون والضمير للكفار والواو للحال. والعِدة: العدد. والأشهر الحرم: أربعة واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهي القعدة والحجة ومحرم وكان القتال ممنوعاً فيها في صدر الإسلام.

وحاصل معنى البيت: هؤلاء الكفار تمر عليهم الليالي والأيام وهم لا يعلمون عددها لشدة ما حصل عليهم من القتال ما لم تكن تلك الليالي من ليالي الأشهر الحرم فإنهم يعلمون عدد ليالي الأشهر الحرم دون غيرها لإمساك النبي ﷺ عن القتال فيها رعاية لحرمتها.

١٢٣- كأنما الدين ضيف حل ساحتهم بكل قرم إلى لحم العدا قرم

شرح البيت رقم ١٢٣:

كأنما الدين ضيف حل: أي نزل. ساحتهم: الساحة ما حول الدار. والقرم: السيد. إلى لحم العِدى: أي الأعداء. قرم: أي شديد الشهوة إلى اللحم والمراد شديد الحرص على قتل أعداء الدين.

وحاصل معنى البيت: كأنما دين الإسلام ضيف نزل ساحة الكفار مع كل سيد من الصحابة شديد الشهوة إلى لحم الأعداء للمسلمين ومن شأن الضيوف إذا كانوا كراماً أن يشبعوا عند الضيف لهم مما يشتهون هذا بناء على أن ضمير ساحتهم راجع إلى الكفار وأن قلنا برجوعه للصحابة يكون المعنى كأن دين الإسلام ضيف نزل ساحة كل سيد من الصحابة شديد الشهوة إلى قتل أعداء المسلمين وتمزيق لحومهم ومن شأن المضيف أن يشبع ضيوفه مما يشتهون.

Scanned by CamScanner

١٢٤- يجر بحر خميس فوق سابحة يرمي بموج من الأبطال ملتطم

شرح البيت رقم ١٢٤:

أي ما زال ذلك الضيف أو الدين يقود جيشاً كالبحر كائنا على ظهور خيل سريعة إلى المحاربات يرمي ذلك الجيش إلى الكفار سهاماً ورماحاً كالأمواج الملتطمة في التكثر والإهلاك والرامون كلهم شجعان يسابق بعضهم بعضاً في الرمي وتتصّاك أسلحتهم.

١٢٥- من كل منتدب لله محتسب يسطوا بمستأصل للكفر مصطلم

شرح البيت رقم ١٢٥:

أولئك الأبطال كل واحد منهم مجيب لدعوة الله عز وجل طوعاً محتسب بعمله الأجر عند الله يصول بسيف قاطع قالع لأصل الكفر مهلك لأهله. فمعنى يسطو: يصول. بمستأصل: أي بسيف مستأصل أي قاطع للكفر. مصطلم: صفة مستأصل وهو من الاصطلام بمعنى الاستيصال فهو تأكيد.

١٢٦- حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم من بعد غربتها موصولة الرحم

١٢٧- مكفولة أبداً منهم بخير أب وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

شرح البيتين رقمي ١٢٦- ١٢٧:

مازال كل منتدب لله عز وجل يسطوا حتى غدت ملة الإسلام أي صارت والحال أنها منصورة بهم موصولة الرحم بعد أن كانت مقطوعة الرحم مكفولة أبداً أي محفوظة من الكفار أبداً لشرف وجود خير أب وخير زوج وهو النبي ﷺ ومن قام بعده مقامه من الخلفاء الراشدين والعلماء المهديين فلم يحصل لها يتم من جهة الأب ولا تأيم من جهة البعل لأن النبي ﷺ أبو الملة في حفظها وبعلها في القيام بمصالحها.

Scanned by CamScanner

١٢٨- هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ماذا رأى منهم في كل مصطدم

شرح البيت رقم ١٢٨:

أولئك الأبطال أصحاب النبي ﷺ ﷺ ومن جاء بعدهم من المجاهدين هم الجبال أي كالجبال في التمكن والثبات في المعارك وإن لم تصدقني فاسأل عنهم من صادمهم في الحرب من الأعداء ماذا رؤوا منهم في كل معركة.

١٢٩- وسل حنينا وسل بدراً وسل أحداً فصول حتف لهم أدهى من الوخم

شرح البيت رقم ١٢٩:

وسل وقعة حنين التي قاتل النبي ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ فيها هوزان وثقيف في سنة ثمان من الهجرة بعد فتح مكة وانتصر فيها المسلمون على عدوهم وغنموا فيها مغانم عظيمة وسل وقعة بدر الكبرى التي أظهر الله بها الإسلام وفرّق بها بين الحق والباطل وكانت صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان في السنة الثانية من الهجرة وانتصر فيها المسلمون وأهلك الله بها صناديد مكة وسل وقعة أحد التي استشهد فيها سيد الشهداء حمزة ﷺ وكانت سنة ثلاث من الهجرة ومحص فيها أهل الإسلام وكسرت فيها رباعية النبي وشج وجهه الشريف وحقق الله فيها النصر للمسلمين بعد التمحيص سل هذه الأزمنة الثلاثة التي هي أزمنة موت الكفار وهلاكهم فإنها فصول حتف لهم هذه الفصول التي هلكوا فيها أشد داهية من الوخم أي الوباء لكثرة من مات في هذه الفصول في زمن يسير أكثر مما يموت الناس في زمن الوخم البلاء والمرض.

Scanned by CamScanner

١٣٠-المصدري البيض حمراً بعدما وردت من العِدا كل مسوّد من اللمم

شرح البيت رقم ١٣٠:

المصدري: جمع مصدر من أصدره جعله صادراً. والبيض: السيوف المصقولة. وحمراً: جمع أحمر حال من البيض. من العِدا: أي الأعداء. كل مسوّد من اللمم: جمع لمة واللمة بالكسر الشعر المسترسل يلم بالمنكب أي يقرب.

وحاصل معنى البيت: أمدح الأصحاب الكرام والأبطال العظام بأنهم المصدرون السيوف المصقولة متلطخة بدماء الكفار بعد ما وردت تلك السيوف كل أشعر أسود من رؤوس الأعداء.

١٣١- والكاتبين بسمر الخط ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم

شرح البيت رقم ١٣١:

والكاتبين: عطف على المصدري والمراد به الطاعنين. والسمر: جمع أسمر بمعنى الرماح. والخط: بفتح أوله وتشديد الطاء أرض تنسب إليها الرماح الخطّية. ما تركت: ما نافية والمراد بأقلامهم أسنة رماحهم. والحرف: الطرف. غير منعجم. غير منقوط من قولهم أعجمت الحرف أزلت عجمته وإبهامه بما يميزه عن غيره بنقط وشكل.

وحاصل معنى البيت: وأمدح الأصحاب الكرام والأبطال العظام بأنهم الطاعنون بالرماح الخطية ولم تترك أسنة رماحهم الخطية طرف جسم من أجسام الكفار غير منقوط بآثارها فآثار الطعن ظاهرة في أجسامهم.

Scanned by CamScanner

١٣٢- شاكي السلاح لهم سيما تميزهم والورد يمتاز بالسيما عن السلم

شرح البيت رقم ١٣٢:

شاكي السلاح: صفة للمصدري أو حال منه والأصل شاكين حذفت النون للإضافة وشاكين جمع شاكي مقلوب شائك من شاك الرجل يشاك شوكا من باب خاف ظهرت شوكته وحدته وهو شائك السلاح وشاكي السلاح على القلب أي ذو شوكة وحدة في سلاحه. والسيما: العلامة كما في قوله تعالى ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية.

والسلم: شجر له شوك يشبه شجر الورد ويمتاز الورد عنه بحسن الخلقة وبهاء المنظر وطيب الرائحة ويمتاز في النور فإن شجر الورد نوره أحمر غالباً والسلم نوره أصفر.

وحاصل معنى البيت: أمدح المصدري البيض حال كونهم شاكين السلاح لهم بذلك علامة تميزهم عن غيرهم كما يمتاز الورد من السلم بعلامة تميزه وهي طيب الرائحة وبهاء المنظر.

١٣٣- تهدي إليك رياح النصر نشرهم فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي

شرح البيت رقم ١٣٣:

تهدي إليك: استئناف أو حال وتهدي: ترسل هدية. والمراد برياح النصر: الرياح التي حصل بها النصر وقيل التأييدات بالنصرة. والنشر: الرائحة الطيبة والمراد به أخبارهم الطيبة. والزهر: نورة النبات. والأكمام: جمع كم بكسر الكاف وعاء الطلع وغطاء النور. والكمي: بتشديد الياء فعِيل وخفف للضرورة وهو الرجل الشجاع المستور بالسلاح. فتحسب الزهر في الأكمام كل كمى مقلوب أصله أن يقال فتحسب كل كمي الزهر في الأكمام.

Scanned by CamScanner

وحاصل معنىٰ البيت: ترسل إليك رياح النصرة أخبارهم الطيبة هدية فتظن أنت أيها المخاطب كل كمي منهم في استتاره بسلاحه كأنه الزهر في استتاره بكمامه لأنه في كمامه أحسن منظرا وأطيب رائحة منه خارج كمامه.

قال المحقق البيجوري رحمه الله: أنه لما فتحت الأزهار في رياض ملة الإسلام برياح نصرهم كان كلما تهب هذه الرياح من تلك الأزهار وتنشر إلىٰ المشام روائح نشرهم فتظن كل بطل في الدروع الغامرة زهراً في الأكمام الفاخرة.

١٣٤- كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا من شدّة الحزم لا من شدة الحزم

شرح البيت رقم ١٣٤:

كأن الصحابة ﷺ ومن سار علىٰ دربهم من المجاهدين العظام حال كونهم علىٰ ظهور الخيل مثل نبات رُبا في الثبات وثباتهم علىٰ ظهور الخيل من شدة الحزم أي من شدة إتقان رأيهم وتدبيرهم فقط لا من شدة الحزم أي لا من شدة ربط الحزم علىٰ السرج.

١٣٥- طارت قلوب العدا من بأسهم فرقاً فما تفرق بين البهم والبهم

شرح البيت رقم ١٣٥:

طارت: أي اضطربت وانزعجت وذلك لأن القلب متحرك دائما لحرارته فإذا زالتا الحرارة الغريزية لخوف أو شدة شوق أوجب زيادة خفقانه فيشبه حينئذ بطائر يخفق بجناحيه. وبأسهم: شدتهم في الحرب. وفرقا: خوفا. والبهم: ولد الضأن. والبُهم: بضمتين جمع بهمة وهو الشجاع الذي لا يدري من أين يؤتىٰ لشدة بأسه أو كيف يؤتىٰ لاستبهام حاله.

Scanned by CamScanner

وحاصل معنىٰ البيت: اضطربت قلوب الأعادي فزعاً من أجل شدة الصحابة والأبطال العظام في الحرب حتىٰ صارت لا تفرق من دهشتها بين صغار الغنم وشجعان الفرسان وكل ذلك ببركة النبي ﷺ لأنه كان منصوراً بالرعب والصحابة ﷺ رزقوا منه حظاً وافراً وكذلك أمته.

١٣٦- ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم

شرح البيت رقم ١٣٦:

ومن تكن: الواو ابتدائية ومن شرطية وتكن مضارع مجزوم. وبرسول الله: خبر مقدم لتكن. ونصرته: اسم تكن. وتلقه: مجزوم أصله تلقاه والضمير راجع إلىٰ من. والأسد: بالضم جمع أسد. والأجمة: الشجر الملتف والجمع أجم والآجام جمع الجمع. وتجم: من وجم يجم سكت وعجز عن التكلم من كثرة الخوف أو الغم.

وحاصل معنىٰ البيت: الأصحاب الكرام ما كانوا منتصرين في الجهاد إلا بنصرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإعانته فإنه من كانت نصرته وإعانته وإغاثته علىٰ محاربة الأعداء بواسطة رسول الله ﷺ فهو منصور حتىٰ إنه إن تلقه الأسد في غاباتها وهي فيها أجرأ منها في غيره تسكن علىٰ حالها خوفا واحتراما لرسول الله ﷺ.

وفي البيت إشارة إلىٰ قصة سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ مع الأسد وهي عند ابن سعد وأبي يعلىٰ والبزار والحاكم وصححه والبيهقي وأبي نعيم عن سفينة ﷺ قال (ركبت سفينة في البحر فانكسرت فركبت لوحا منها فأخرجني إلىٰ أجمة فيها أسد إذ أقبل الأسد فلما رأيته قلت: يا أبا الحارث أنا سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ فأقبل يبصبص بذنبه حتىٰ قام إلىٰ جنبي ثم مشىٰ معي حتىٰ أقامني علىٰ الطريق ثم همهم ساعة فرأيت أنه يودعني).

Scanned by CamScanner

١٣٧- ولن ترى من ولىّ غير منتصر به ولا من عدو غير منقصم

شرح البيت رقم ١٣٧:

الصحابة الكرام منتصرون به ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذ لن تبصر وليا ولا صديقا إلا وهو به منصور ولا تبصر عدوا كافراً إلا وهو به منقصم مقهور.

قال العلامة الخربوتي: قال الشيخ أحمد الملئم: لم تكن الأقطاب أقطابا ولا الأوتاد أوتادا ولا العماد عمادا إلا برسول الله ﷺ وبتعظيمهم له وإجلالهم لشريعته وكل من كان عدوا لشريعته كان عدوا له ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكذا كل من كان عدوا لصاحب الشرع من العلماء وكل من يتكلم بما يتأذىٰ به ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو عدوه ا.هـ.

١٣٨- أحل أمته في حرز ملته كالليث حل مع الأشبال في أجم

شرح البيت رقم ١٣٨:

أحل أنزل النبي ﷺ أمته في حصن دينه الحصين من نار الكفر كما ينزل الليث مع أولاده في الغابة للتحصن من عدو يطرقهم.

وحاصل معنىٰ البيت: أن الناظم رحمه الله شبه النبي ﷺ بالأسد في القوة وكمال الشجاعة والهيبة وحماية الأولاد وشبه أمته بأولاده في كونه ﷺ سبب حياتهم كالأسد وشبه الملة بالأجم في أن كلا منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير.

Scanned by CamScanner

١٣٩- كم جدلت كلمات الله من جدل فيه وكم خصم البرهان من خصم

شرح البيت رقم ١٣٩:

كم: في الموضعين خبريه أي كثيراً من المرات. وجدلت: ألقت على الجدالة وهي الأرض. وكلمات الله: القرآن الكريم. والجدل: كثير الجدال. وفيه: الضمير راجع إلى النبي ﷺ. وخصم: غلب. والبرهان: الدليل القاطع. والخصم: شديد الخصومة.

وحاصل معنى البيت: كم مرة ألقت على الأرض في المجادلة كلمات الله التي أتى بها من عند الله تعالى شخصاً كثير الجدال وكم مرة غلب الدليل القاطع شخصاً شديد الخصومة.

١٤٠- كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

شرح البيت رقم ١٤٠:

كفاك بالعلم: أي كفاك العلم فالباء زائدة في الفاعل. وفي الأمي: حال من العلم أو صفة له والأمي: هو الذي لا يقرأ ولا يكتب نسب لأمه لأنه كان على حال يوم ولدته أمه. ومعجزة: تمييز. وفي الجاهلية: حال من العلم أو صفة له والجاهلية زمان كثرت فيه الجهالة أو ناس كذلك وهي ما قبل الإسلام أو أيام الفترة. والتأديب: بالجر عطف على قوله بالعلم. وفي اليتم: حال من التأديب.

وحاصل معنى البيت: أيها الطالب لمعجزاته ﷺ كفاك العلم الكائن في الأمي في وقت الجاهلية وكفاك أيضاً تنبيهه على مكارم الأخلاق لعلمه بها في وقت اليتم معجزة.

قال العلامة سليمان الجمل رحمه الله في شرح دلائل الخيرات: إن الأمية وصف ذم ونقص في حق غيره ﷺ أما في حقه ﷺ فهو وصف مدح بل هي معجزة له دالة على صدق نبوته لأنه مع كونه لا يقرأ ولا يكتب ولم يدارس ولم يتلق ممن قرأ وكتب وظهر منه من العلوم والمعارف

Scanned by CamScanner

اللدنية ومعرفته بأخبار الأمم السالفة وشرائعهم واطلاعه على علوم الأولين والأخرين بل وإحكامه لسياسة الخلق على تنوعهم وإحاطته بجميع مصالح الدين والدنيا وتخلقه بكل خلق حسن واتصافه بكل كمال للخلق على الإطلاق ما أعجز به جميع الخلق وظهر اختصاصه به لكافتهم فكان ذلك آية ظاهرة وحجة باهرة ودليلا واضحا من دلائل نبوته ﷺ وكانت أميته كمالا بينا لا خفاء به والمقصود من القراءة والكتابة هو ما ينشأ عنهما من العلم لأنهما آلة وواسطة له غير مقصودة في نفسها فإذا حصلت الثمرة المقصودة منهما استغنى عنهما ولو كان يحسن القراءة والكتابة لوقعت الريبة وقالوا إنما عرف هذه العلوم من قراءته للكتب السالفة كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. ا.هـ. مختصرا.

١٤١- خدمته بمديح أستقيل به ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

شرح البيت رقم ١٤١:

خدمته: أي مدحته ﷺ والمديح: ما يمدح به من الثناء الحسن. وأستقيل: أطلب الإقالة والعفو. والخدم: جمع خدمة.

حاصل معنى البيت: مدحته ﷺ بمديح أطلب من الله تعالى أن يعفو عني بواسطته ذنوب عمر انقضى في إنشاد الشعر وخدمة أبناء الدنيا من الملوك والأمراء وكان هذا في أول حياة الناظم ثم تحوّل لخدمة الجناب المحمدي بالمديح فطاب ذكره في العالمين ببركة خدمته لجناب رسول الله ﷺ.

Scanned by CamScanner

١٤٢- إذ قلداني ما تخشى عواقبه كأنني بهما هدي من النعم

شرح البيت رقم ١٤٢:

إذ قلداني: تعليل للبيت السابق وقلداني: أي جعلاه في عنقي كالقلادة وضمير التثنية يعود إلى الشعر والخدمة للأمراء. وحاصل معنى البيت: لأن الشعر والخدم جعلا الآثام التي تخشى عواقبها من أنواع العذاب كالقلادة في عنقي فصرت بسببهما أشبه الهدي من النعم فكأن الناظم يقول إني أطلب من الله عفو ذنوبي لأني اكتسبت بسبب الشعر والخدم الأوزار التي تخشى عواقبها فكأني مسوق إلى الهلاك بسببهما كالهدي المقلد المسوق إلى الحرم.

١٤٣- أطعت غي الصبا في الحالتين وما حصلت إلا على الآثام والندم

شرح البيت رقم ١٤٣:

أطعت: امتثلت. والغي: الضلالة. والصبا: بالكسر الميلان إلى الصبوة أي جهلة الفتوة والمراد بغي الصبا الاغترار بالأباطيل والميل إلى العاجل وترك النظر في الأمر الآجل. في الحالتين: أي حالتي الشعر والخدم. وما حصلت: أي ما بقيت. والآثام: جمع إثم. والندم: الندامة.

وحاصل معنى البيت: امتثلت أمر ضلال الصبا في حالتي الشعر والخدم فما حصل لي إلا الأثم والندامة.

١٤٤- فيا خسارة نفس في تجارتها لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

شرح البيت رقم ١٤٤:

فيا خسارة: الفاء للتفريع على ما سبق وياء حرف نداء وخسارة نفس منادى على طريق التعجب كأنه يقول يا خسارة نفس موصوفة بما ذكر احضري فهذا أوانك وهذا كناية عن استعظام خسارة هذه النفس والتعجب منها فإن عادة العرب إذا استعظموا شيئاً وتعجبوا منه نادوه

Scanned by CamScanner

ليحضر كما في حاشية البيجوري. والسوم: العرض للشراء.

وحاصل معنى البيت: فما أخسر نفسي في تجارتها إذ لم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تتعرض لأخذه بل أخذت الدنيا وتركت الدين الذي تنجو به في الآخرة.

١٤٥- ومن يبع آجلا منه بعاجله يبن له الغبن في بيع وفي سلم

شرح البيت رقم ١٤٥:

ومن يبع: هذا البيت متمم للبيت السابق والمراد بالبيع: الاستبدال والإخراج من اليد. والأجل: المستقبل وهو هنا الآخرة. والعاجل: الدنيا. ويبن: بمعنى يظهر. والغبن: النقص. والسلم: في البيع هو السلف.

وحاصل معنى البيت: ومن يستبدل الآخرة بالدنيا يظهر له النقص في هذا السلم لأنه أخذ العاجل الفاني وترك الآجل الباقي.

١٤٦- إن آت ذنب فما عهدي بمنتقض من النبي ولا حبلي بمنصرم

شرح البيت رقم ١٤٦:

أن آت: شرع الناظم رحمه الله بعد ذكر ذنوبه في تسلية النفس ببيان ما يكون سببا لمغفرتها فقال: إن آت، وآت: مضارع متكلم مجزوم وجواب الشرط محذوف أي إن آت ذنبا فأرجو ستره وغفرانه. والعهد: الميثاق والأيمان. والحبل: الوصل. والمنصرم: المنقطع. ويجوز أن يكون المراد بالعهد والحبل ما سيأتي في البيت الآتي وهو الوعد الذي جاء في التسمية بمحمد.

وحاصل معنى البيت: إن فعلت ذنبا فإني أرجو غفرانه لأن ذلك لا ينقض عهدي من النبي ﷺ ولا يقطع سبب الوصلة به.

Scanned by CamScanner

١٤٧- فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

شرح البيت رقم ١٤٧:

فإن لي: الفاء للتعليل أو للتفسير. والذمة: الأمان. والضمير في منه: راجع للنبي ﷺ. بتسميتي: الباء للسببية وتسميتي مصدر مضاف إلى مفعوله الأول. ومحمد: مفعوله الثاني.

وحاصل معنى البيت فإن لي آمان منه ﷺ بسبب تسميتي باسمه الشريف ﷺ والحال أنه عليه الصلاة والسلام أكثر الناس وفاء بالعهد.

وفي البيت إشارة واضحة إلى الترغيب في التسمية باسمه ﷺ وقد جاء في ذلك أحاديث أفردها العلامة المحدث الصوفي محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي الحنفي البخاري ت ٣٨٤هـ.

وفي شرح الزرقاني على المواهب روى ابن عساكر والحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير عن حامد بن حماد العسكري حدثنا إسحاق بن يسار النضيبي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن برد بن سنان عن مكحول عن أبي أمامة ﷺ مرفوعا (من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركاً باسمي كان هو ومولوده في الجنة) قال السيوطي: هذا أمثل حديث ورد في هذا الباب وإسناده حسن ونازعه تلميذه الشامي فقال: وليس كذلك ففي سنده أبو الحسين حامد بن حماد العسكري شيخ بن بكير قال فيه في اللسان كالميزان خبره هذا موضوع وهو آفته وشيخه إسحاق بن يسار مجهول كذا قال وفيه نظر فإنه لم ينفرد به فقد أخرجه الحافظ بن بكير أيضاً عن شيخه محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا حبيب بن نصر المهلبي حدثنا عبد الصمد بن محمد العباداني حدثنا منصور عن عكرمة عن برد بن سنان عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

١٤٨- إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

شرح البيت رقم ١٤٨:

إن لم يكن: الضمير المستتر في لم يكن راجع للنبي ﷺ. والمراد بالمعاد: حالة الموت وما بعده. وأخذ الأيد: عبارة عن النصر والإمداد والشفاعة وفضلاً: بالنصب على أنه تمييز من نسبة آخذ إلى فاعله.وفيه دليل على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ شافع تفضلاً وإحساناً. فقل: جواب إن الشرطية. يا زلة القدم: أي يا زلة القدم هذا أوانك وهو كناية عن سوء الحال والهلاك وإلا مركب من إن الشرطية ولا النافية وفعل الشرط وجوابه محذوف أي إن انتفى ـ لم يكن أخذا بيدي ـ بأن كان آخذاً بيدي فقل يا ثبات قدمي.

وحاصل معنى البيت: إن لم يكن الحبيب الشفيع سيدي محمد رسول الله ﷺ في معادي آخذاً بيدي فضلاً منه وإحسانا إلي فما أزل قدمي عن الصراط المستقيم إلى نار الجحيم وإن كان كما أرجو فما أثبت قدمي على الصراط المستقيم إلى جنة النعيم.

١٤٩- حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم

شرح البيت رقم ١٤٩:

حاشاه: مصدر منصوب بفعل محذوف والهاء مضاف إليها والتقدير أحاشيه حاشا أي محاشاة أي أنزهه تنزيهاً وفاعل يحرم مستتر فيه يعود للنبي ﷺ. وسكون ياء الراجي لضرورة الشعر. والمكارم: جمع مكرمة والمراد بها هنا الشفاعة. وأو: بمعنى الواو. والجار: المستجير. وضمير منه: راجع للنبي ﷺ. وغير محترم: حال من الجار والمحترم الموقر.

Scanned by CamScanner

وحاصل معنىٰ البيت: حبيبي وسيدي وقرة عيني محمد ﷺ منزه عن أن يحرم سائله كرمه الجزيل ومنزه عن أن يرجع المستجير بجنابه الرفيع محروما من جوده ﷺ.

وفي البيت دلالة واضحة علىٰ الاستغاثة والتشفع والتوسل بالنبي ﷺ وبجاهه وبركته ومحبته وهذا التوسل والتشفع وهذه الاستغاثة بالنبي إلىٰ الله عز وجل مشروعة جائزة بل مطلوبة ومستحبة قبل خلق النبي ﷺ وبعد وجوده ﷺ في الدنيا وبعد انتقاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ ويوم القيامة علىٰ ذلك أهل السنة والجماعة وقد بسطنا دلائل ذلك في الحذر الحذر من وجهة نظر مخالفة للفقه والأثر فليرجع إليها من شاء بسط الدلائل. والله أعلم.

١٥٠- ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه وجدته لخلاصي خير ملتزم

شرح البيت رقم ١٥٠:

ومنذ ألزمت أفكاري: الأفكار جمع فكر وهو استعمال القوة العاقلة لاستحضار ما ليس بحاضر. والمدائح: جمع مديح وهو ما يمدح به من الثناء الحسن. وخير ملتزم: خير متكفل.

وحاصل معنىٰ البيت: ومنذ أوجبت علىٰ أفكاري مدائحه ﷺ وجدته خير متكفل لخلاصي من كل مكروه ومن ذلك ما حصل للناظم من بركة الشفاء من مرضه بمدحه لرسول الله ﷺ.

واعلم أن التعلق بالجناب المحمدي عظيم النفع عميم البركة طيب الثمرة يعود علىٰ صاحبه بخيري الدنيا والآخرة وسعادة الدنيا والآخرة اللهم اربط قلوبنا بمحبة نبيك وأعد علينا من بركات تلك المحبة ما تبلغنا به مقامات الصالحين آمين يا رب العالمين.

Scanned by CamScanner

١٥١- ولن يفوت الغنى منه يداً تربت إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم

شرح البيت رقم ١٥١:

ولن يفوت: جملة استئنافية. يداً: مفعول يفوت. وتربت: فعل وفاعل وهو من ترب الرجل يترب من باب تعب أي افتقر كأنه لصق بالتراب والمراد من الافتقار قلة الأعمال الصالحة. إن الحيا: استئناف ونظير الحكم السابق. والحيا: مقصور معناه الغيث. والأزهار: جمع زهرة. والأكم: جمع أكمة وهي الربوة.

وحاصل معنى البيت: عطايا الحبيب ﷺ كثيرة فلن تفوت يد فقير عاص فإن الغيث ينبت الرياحين والأزهار على المواضع المرتفعة التي ليست مظنة للنبات لعدم استقرار الماء عليها لعلوها فكذلك الغنى منه ﷺ يصل إلى من يستأهله ومن لا يستأهله.

وفي البيت إشارة إلى عظيم كرمه وجوده ﷺ وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال (ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه فجاء رجل ـ وهو صفوان بن أمية ـ فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر) وفي رواية (من لا يخشى الفقر).

وروى الترمذي (أن النبي ﷺ حمل إليه تسعون ألف درهم ووضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما ردّ سائلا حتى فرغ منها).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال (سأل ناس من الأنصار رسول الله ﷺ فأعطاهم ما سألوه ثم سألوه فأعطاهم ما سألوه ثم سألوه فاعطاهم ما سألوه حتى إذا نفد ما عنده قال (ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغني يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء هو خير له و أوسع من الصبر).

Scanned by CamScanner

وكان ﷺ كريم النفس يكرم السائل بنفسه ولا يأنف أن يقوم إلى السائل فيعطيه الصدقة بل كان لا يكل صدقته إلى غير نفسه حتى يكون هو الذي يضعها في يد السائل روى ابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيت رسول الله ﷺ يكل صدقته إلى غير نفسه حتى يكون هو الذي يضعها في يد السائل).

وكان من كرمه ﷺ إذا لم يكن عنده ما يفي بحاجة المحتاج أمره أن يستقرض عليه ﷺ روى الترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ: (أن رجلا أتى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه. فقال النبي ﷺ: ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءني شيء قضيته. فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ﷺ قول عمر فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً فتبسم رسول الله ﷺ وعرف في وجه البشر بقول الأنصاري ثم قال ﷺ: بهذا أمرت).

بل كان ﷺ من عظيم كرمه ما سئل شيئاً قط فقال: لا كما روى الترمذي عن جابر ﷺ قال: (ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا).

فالنبي ﷺ أكرم الخلق أجمعين وأجود الناس كما في حديث أنس السابق فهو ﷺ لا يجارى في كرمه ولا يساوى بل ولا يدانى.

١٥٢- ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت يدا زهير بما أثنى على هرم

شرح البيت رقم ١٥٢:

لما كان البيت السابق موهما أنه أراد النفع الدنيوي دون الحظ الأخروي دفع الوهم فقال: ولم أرد زهرة الدنيا: وزهرة الدنيا: متاعها وزينتها. اقتطفت: جنت وجمعت. وزهير: هو بن أبي سُلمى بضم السين من فحول شعراء الجاهلية وولده كعب صحابي وهو صاحب البردة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

Scanned by CamScanner

وفيها:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ومن اللطائف: قول ابن الأعرابي كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان أبوه شاعراً وهو شاعر وخاله شاعر وأخته سُلمىٰ شاعرة وابناه كعب وبجير شاعران وأخته الخنساء شاعرة ا.هـ.

وهرم: بفتح الهاء وكسر الراء هو هرم بن سنان من أجود ملوك العرب وكان زهير مداحاً له فأعطاه عطايا كثيرة.

وحاصل معنىٰ البيت: وأنا علىٰ مسيس حاجتي لا أريد علىٰ مدحه ﷺ زهرة الدنيا التي حصلت لزهير من مدحه لهرم بن سنان وإنما أريد الشفاعة في الآخرة.

١٥٣- يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

شرح البيت رقم ١٥٣:

لما عدد الناظم نعوت ذاته ﷺ وكمالات صفاته التفت من الغيبة إلىٰ الخطاب لأن السؤال في الخطاب ادعىٰ إلىٰ الإجابة من الغيبة فقال مخاطباً للرسول ﷺ مستشفعاً به (يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به) وألوذ: مضارع متكلم معناه ألتجئ. سواك: أي غيرك يا رسول الله. عند حلول: أي نزول. الحادث العمم: هول يوم القيامة الذي يعم الخلق.

وحاصل معنىٰ البيت: يا أكرم الخلق ما لي أحد غيرك ألتجئ إليه من هول يوم القيامة الذي يعم جميع الخلق فأن كلا من الرسل يقول حينئذ نفسي نفسي وأنت وحدك يا سيد الخلق تقول يا رب أمتي أمتي.

Scanned by CamScanner

١٥٤- ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تجلى باسم منتقم

شرح البيت رقم ١٥٤:

(ولن يضيق رسول الله) بنصب رسول منادىٰ سقط منه حرف النداء. (جاهك) الجاه والوجاهة: رفعة المنزلة وسعة الرتبة وعظمة المقام. (إذا الكريم) الكريم: اسم من الأسماء الحسنىٰ. و(تجلىٰ): اتصف. (باسم منتقم) والله متصف باسم المنتقم أزلا والمراد كمال ظهور هذا الاسم في يوم القيامة حين يتجلىٰ المنتقم علىٰ العصاة باسمه المنتقم في عرصات القيامة نسأل الله اللطف.

وحاصل معنىٰ البيت: ولن يضيق بشفاعتي جاهك يا رسول الله إذا اشتد الأمر وانتقم الله تعالىٰ ممن عصاه بل جاهك يا رسول الله واسع يسعني ويسع كل عاصي مثلي بالشفاعة تفضلاً.

واعلم أنه قد اعترض من لا فهم له ولا علم له علىٰ هذين البيتين للإمام البوصيري رحمه الله فنسب البوصيري إلىٰ الضلال والكفر وحاشاه من ذلك ولولا اغترار بعض الناس بمثل هؤلاء الذين لا فهم لهم ما احتجت إلىٰ الجواب فالبردة لا يحصىٰ عدد من شرحها وخمسها وسبعها وحشىٰ عليها وأجاز فيها وأجيز بها ولا يحصىٰ عدد المجالس العلمية التي تقرأ فيها وكل هؤلاء العلماء فهموا البردة فهما صحيحا حتىٰ ظهر هؤلاء الذين أسرفوا في إطلاق لفظ الكفر والضلال بغير بصر ولا روية ولا فهم ولا تحقيق.

ولا يوجد لهم متكئ فيما اعترضوا به علىٰ الإمام البوصيري إلا وساوس الشيطان إذا علمت هذا فأقول إن قول الإمام البوصيري رحمه الله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ سواك عند حلول الحادث العمم

Scanned by CamScanner

قول صحيح ومعناه ظاهر فإن معنىٰ البيت: يا أكرم الخلق علىٰ ربه ما لي من ألوذ به غيرك وقت حلول الحادث العام الذي يعم الخلائق كلها وهو يوم القيامة في الموقف.

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة تدل علىٰ أن الشمس تدنو ذلك اليوم من الناس قدر ميل ويزدحمون حتىٰ يصير علىٰ كل قدم سبعون ألف قدم ويلجمهم العرق وتسعر جهنم ويغضب الجبار جل جلاله وكل الأنبياء والرسل يقول كل واحد نفسي نفسي ثم يطلب الناس من يشفع لهم فيشفع لهم محمد ﷺ.

وقد جاء في صحيح البخاري أنهم يستغيثون بآدم عليه السلام ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسىٰ ثم بعيسىٰ وكل واحد يقول لست لها ثم يأتون النبي ﷺ فيقول أنا لها أنا لها فيشفع لجميع الخلائق من ذلك الموقف المهول الشديد الذي يشتهي الناس أن يخلصوا من شدته ولو يؤمر بهم إلىٰ النار كما في صحيح الأخبار.

فهل ترىٰ أن أحداً من الرسل يلاذ به أو أحداً من المخلوقات يلاذ به إلا هو ﷺ في هذا الحادث العام لا في سائر الأحوال بل في هذه الحال وهو عند حلول الحادث العمم وليس مراده ما لي من ألوذ به سواك مطلقاً بل مقيداً بهذا الوقت الذي وردت الأحاديث المتواترة أنه ما يكون غيره له بل أولو العزم من الرسل يعتذرون للناس في ذلك اليوم ويقول كل واحد منهم لست لها وحبيبنا محمد ﷺ وحده من بين سائر الخلق يقول أنا لها أليس هذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل بقول: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]؟ أليس هذا ما دل عليه حديث الشفاعة الصحيح بل المتواتر؟ أليس هذا ما جاء مدونا في أمهات كتاب السنة؟ ومعنىٰ قوله ألوذ به أي من جهة الشفاعة بدليل قوله في البيت بعده:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تجلىٰ باسم منتقم

Scanned by CamScanner

إذ الجاه راجع للشفاعة كما قرره شراح البردة وهم أئمة كبار وعلماء عظام حماة الإسلام حراس العقيدة قال العلامة المحقق خالد الأزهري رحمه الله في شرحه على البردة: ألوذ: ألتجئ. سواك: غيرك. وحلول الحادث العمم: هول يوم القيامة الشامل لجميع الخلق.

والمعنى: يا أكرم مخلوق ما لي أحد غيرك ـ يعني من المخلوقين ـ ألتجئ إليه يوم القيامة من هوله العميم والناس يتطاولون إلى جاهك الرفيع ولن يضيق بي جاهك إذا اشتد الأمر وعيل الصبر فإنك أعظم الخلق على الله المعوّل في الشفاعة عليه ا.هـ وهكذا قرره غيره من الشراح.

واعتراض المعترض أن قول البوصيري يا أكرم الخلق نداء والنداء دعاء فجوابه لو كان كل نداء دعاء وعبادة لما جاز لأحد أن ينادي أحداً وهذا لا يقول به أحد والدعاء واقع بين الناس كلهم وكل واحد من الأنبياء وغيرهم يدعو من احتاج إلى أن يدعوه ولم يقل أحد بأن من دعا غير الله فقد كفر والقرآن يقول ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣].

فمن دعا عبداً بعبوديته أي بصفته عبداً لله لن يكون كافراً لأنه دعا غير الله ومن دعا ولياً لله معتقداً ولايته وعبوديته لله لن يكون كافراً ومن دعا نبياً بصفته نبياً لله وعبداً لله لن يكون كافراً وإنما يكون كافراً من دعا غير الله معتقداً ألوهيته وربوبيته ومن هذا يتضح أنه ليس كل نداء دعاء فالدعاء الذي هو عبادة لا بد فيه من ملاحظة الداعي أن المدعو إله ورب يقصد للعبادة هذا هو الكفر الصريح.

أما الذي ينادي رسول الله أو ولي الله مع إيمانه بعبودية المدعو لله رب العالمين واعتقاده أن المدعو المنادى لا يضر ولا ينفع من دون الله عز وجل وقصد بذلك النداء التوسل به والاستشفاع فمحال أن يكون هذا من الكفر وها نحن معشر المسلمين نخاطب رسول الله وندايه في كل صلاة نصليها بقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فهذا

Scanned by CamScanner

الدعاء الموجه إلى رسول الله ﷺ وهو في الرفيق الأعلى وبكاف الخطاب ومصدراً بأيها التي هي من أقوى أدوات النداء والدعاء وهذا الخطاب وهذا النداء ليس هو نداء ودعاء فحسب بل إنه عبادة شرعها الله فلو كان مطلق الدعاء عبادة وكان مطلق العبادة تأليه لا تكون إلا لله ولا يقصد بها سواه لما علمنا الله ورسوله أن نعبد غير الله ولو كان ذلك الغير رسول الله وحبيبه محمد ﷺ ولما كان دعاء غير الله ليس من العبادة أو من العبادة ولكن المعبود به الله لا المدعو كما هو الحال في دعاء النبي في التشهد من كل صلاة لم يكن ثمة ما يمنع من دعاء غير الله من عباده سواء كان المدعو في الدنيا أم في البرزخ وسواء كان النداء في الدنيا أو يوم القيامة حيث ينادي الناس نبينا ﷺ قائلين يا محمد اشفع لنا عند ربك.

وقد بسط العلماء أدلة جواز النداء والطلب من الرسل والأولياء على سبيل التوسل والاستشفاع ومن ذلك ما قرره المحقق داود بن سليمان النقشبندي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ بقوله رحمه الله:

والدليل على أن النداء والطلب من الأموات والغائبين ليس بعبادة بل هو مأمور به شرعاً: آيات وأحاديث وآثار وأقوال العلماء الكبار من الأئمة الأربعة الأخيار كما ستحيط به علماً ولكن لا تعجل بل تصبر وتبصر واستوعب الأدلة التي تقرأ وتقرر وأنصف ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله.

الدليل الأول: قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة:٣٥].

قال البغوي في تفسير قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

Scanned by CamScanner

عن ابن عباس رضي الله عنهما «الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله أي ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به» انتهى.

فالوسيلة عامة شاملة للذوات والأفعال والأقوال وتخصيصها بالأفعال تحكم لا دليل عليه مع أن الذوات الفاضلة أفضل من الأفعال الصادرة عنها لا سيما نبينا ﷺ فإنه خُلق من نور الله تعالى كما في حديث جابر رضي الله عنه.

الدليل الثاني: قوله تعالى ﴿لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧].

قال المفسرون: العهد قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. قيل معناه: لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند أي مع الرحمن عهداً يعني المؤمنين أهل لا إله إلا الله.

وقيل: ملّك الله المؤمنين الشفاعة فلا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا مؤمن.

وعلى كل حال فقد أخبر الله تعالى أنه ملّكَ المؤمنين الشفاعة فطلبُها ممن يملكها بتمليك الله لا مانع منه كمن طلب المال وغيره ممن ملكه الله له.

ومراد المنادي له ﷺ والمتوسل به إنما هو الشفاعة وشفاعته ﷺ الدعاء وهو حاصل له ولسائر الموتى من المؤمنين كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

قال ابن رجب وقد صح عرض الأعمال كلها على رسول الله ﷺ لأنه لهم بمنزلة الوالد خرجه البزار في مسنده قال: قال رسول الله ﷺ: (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض أعمالكم علي فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم).

Scanned by CamScanner

والدعاء من الحي والميت شفاعة كما ورد في صلاة الجنازة أن الداعي يقول «وقد جئناك راغبين إليك شفعاء له بين يديك» واستغفارهم شفاعة ودعاء كما هو ظاهر.

وأما الأحاديث الصحيحة في طلب الصحابة الكرام منه ﷺ ولم ينكرها عليهم فكثيرة شهيرة ولم يقل لهم: حتىٰ يأذن الله لي وأنتم طلبتم مني قبل الإذن فقد أشركتم.

فدل علىٰ أن ذلك جائز مطلقاً في حال حياته وموته ﷺ لأنه ﷺ بعد موته حيٌّ في قبره بالاتفاق.

الدليل الثالث: الحديث الأول: أخرج الترمذي عن أنس ﷺ قال: قلت: اشفع لي يا رسول الله يوم القيامة قال ﷺ: (أنا فاعل) قلت: فأين أطلبك؟ قال ﷺ: (أول ما تطلبني علىٰ الصراط) قلت: فإن لم ألقك هناك؟ قال ﷺ (فاطلبني عند الميزان) قلت: فإن لم ألقك هناك؟ قال ﷺ: (فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه المواطن الثلاثة).

فإن قال قائل: إن هذا الطلب للشفاعة في حال حياته وهو جائز.

قلنا: لا طلب منه ما ليس في حياته وهو الشفاعة يوم القيامة وما جاز أن يطلب منه في الحياة جاز أن يطلب منه بعد الممات ومن منع فعليه الدليل أن النبي ﷺ نهىٰ عن ذلك في حديث.

بل علىٰ قولكم: إن الطلب نفسه عبادة يقتضي أن لا فرق بين الحياة والممات لأن العبادة ممنوعة في الحالين!

وما تقولون في قوله ﷺ لما قال الصديق ﷺ: قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال ﷺ (إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله) وهو حيٌّ قادر علىٰ قولكم وقد أخبر الله عن موسىٰ عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

Scanned by CamScanner

الحديث الثاني: وهو الدليل الرابع: قال الإمام أحمد في مسنده عن أنس ﷺ قال (ما شممت عبيراً قط ولا مسكاً قط ولا شيئاً قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ).

قال ثابت ﷺ فقلت يا أبا حمزة ألست كأنك تنظر إلى رسول الله ﷺ وكأنك تسمع إلى نغمته؟ فقال ﷺ بلى والله إني لأرجو أن ألقاه يوم القيامة فأقول يا رسول الله خُويدمك أنس... الحديث.

وفي الجامع الصغير: كان مما يقول للخادم (ألك حاجة؟) حتى كان ذات يوم قال: يا رسول الله حاجتي قال رسول الله ﷺ (وما حاجتك؟) قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة قال ﷺ (ومن دلك على هذا؟) قال ﷺ: ربي عز وجل. قال ﷺ (أما لا بُد فأعني بكثرة السجود) رواه الإمام أحمد، قال الترمذي رجاله رجال الصحيح. ورمز السيوطي لحُسنه. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح ذكره المناوي في شرحه الكبير.

الدليل الخامس: روى الترمذي والنسائي والبيهقي وصححه والحاكم وقال: على شرط البخاري ومسلم وأقره الحافظ الذهبي عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلاً ضريراً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يكشف لي عن بصري قال ﷺ (إن شئت دعوت لك وإن شئت صبرت) قال: ادعه فقال ﷺ (ائت الميضأة فتوضأ وصل ركعتين وادع بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم شفعه في وإن كان لك حاجة فمثل ذلك) فذهب الأعمى وعمل ذلك لنفسه بغيبة النبي ﷺ. قال البيهقي رحمه الله تعالى عن الراوي: فقام الأعمى وقد أبصر.

أقول: ولا يخفى أن هذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ ومعجزاته حيث أن الأعمى أبصر ببركته ﷺ كما كان عيسى ابن مريم يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله.

Scanned by CamScanner

وهذا الحديث ذكره ابن تيمية في الفتاوىٰ وأقره ولم يتعرض له وترجم له المحدثون باب من له إلى الله حاجة أو إلى أحد من خلقه.

وذكره الحافظ الجزري في الحصن الحصين والحافظ السيوطي في الجامع الصغير وشرحه للمناوي والشيخ علي القاري الحنفي فقال قوله: «يا محمد» التفات وتضرع لديه ليتوجه بروحه إلى الله تعالىٰ ويغني السائل عما سواه وعن التوسل إلى غير مولاه قائلاً (إني أتوجه بك) أي بذريعتك الذريعة الوسيلة والباء للاستعانة (إلىٰ ربي في حاجتي هذه) وهي المقصودة المعهودة (لتقضىٰ لي) ويمكن أن يكون التقدير: ليقضي الله الحاجة لأجلك بل هذا هو الظاهر.

وفي نسخة: (لتقضي) بصيغة الفاعل أي لتقضي أنت يا رسول الله الحاجة لي والمعنىٰ لتكون سبباً لحصول حاجتي ووصول مرادي فالإسناد مجازي انتهىٰ.

قال المجوزون فقوله في الحديث (يا محمد إني أتوجه بك في حاجتي لتقضىٰ) نداء وطلب منه ﷺ واستغاثة به وتوسل والنبي ﷺ كان غائبا وقال له: (وإذا كان لك حاجة فمثل ذلك) وحاشا لرسول الله ﷺ أن يعلم أمته الشرك وقد بعث لهدمه. فدل أن النداء له والطلب منه ليس بشرك كما يعنيه الخوارج.

وأجاب تقي الدين ابن تيمية عن هذا الحديث: بأن الأعمىٰ صور صورة النبي ﷺ وخاطبها كما خاطب الإنسان من يتصوره ممن يحبه أو يبغضه وإن لم يكن حاضراً. انتهىٰ

وهو عجيب! فإن نداء الصورة والطلب منها مع كونها وهمية خيالية أقوىٰ في الحجة علىٰ المانع فهذا الحديث الصحيح هو الدليل لمن يجوز نداء النبي ﷺ في غيبته وبعد موته والناظم ممن يرىٰ ذلك.

والدليل علىٰ أن هذا الحديث عام ما رواه البيهقي والطبراني بسند لا بأس به عن عثمان بن حنيف راوي الحديث الأول أن رجلاً كان

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ في حاجته فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فشكى لابن حنيف الصحابي ﷺ فعلمه أن يفعل كما فعل الأعمى ففعل فقضيت حاجته.

وسيأتي في كلام ابن تيمية أن للناس في الحديث قولين: قولاً بجواز التوسل به بمعنى طلب دعائه في حياته وقولا بجواز ذلك في حياته ومماته وحضوره ومغيبه.

وعلى كلا القولين لا مانع في حياته من طلب صاحب «البردة» الشفاعة منه ﷺ لأنه على الأول يكون طالبا لدعائه وهو حي في قبره وعلى الثاني فظاهر.

وقد وافق ابن تيمية ابن عبد السلام سلطان العلماء على جواز الطلب والتوسل به ﷺ لحديث الأعمى فصار نداؤه ﷺ والسؤال منه محل اتفاق وسيأتي أقوال السلف والخلف وتواطئهم على جوازه.

الدليل السادس: روى الحاكم في صحيحه وأبو عوانة في صحيحه والبزار بسند صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فإن لله حاضراً سيجيبه).

وقد ذكر هذا الحديث تقي الدين ابن تيمية في الكلم الطيب عن أبي عوانة وابن القيم في الكلم الطيب له والنووي في الأذكار والحافظ الجزري في الحصن الحصين وغيرهم مما لا يحصى من المحدثين وهذا اللفظ رواية ابن مسعود ﷺ مرفوعاً.

وأما قول هذا النجدي: إن هذا نداءٌ لحاضر كذبٌ ظاهر فإن عباد الله المدعوين وإن كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله الذي لا يغيب عنه شيء فهم غائبون بالنسبة لمن يناديهم وكذلك الأنبياء والصالحون وأهل القبور فإنهم أحياء في قبورهم وأرواحهم موجودة.

ولهذا أمر النبي ﷺ أمته أن ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضرين مع أنهم غائبون عن العين بل ربما يُسمع منهم رد السلام وقراءة القرآن

والأذان من داخل قبورهم كما ذكر ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم.

فليس نداء النبي ﷺ وخطابه أقل من عباد الله الذين أمر نبينا ﷺ أن نناديهم ونستعين بهم في رد الدابة ولكن مقصوده ﷺ التسبب فإن الله ربط الأمور بالأسباب والنبي ﷺ أفضل الوسائل والأسباب خصوصاً يوم القيامة.

ولكون النبي ﷺ حاضراً مع موته شُرع لنا خطابه والتسليم عليه في الصلاة وهو قولنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولولا ذلك لكان هذا الخطاب والسلام عبثاً وحاشا هذه الشريعة الغراء العبث فيها.

فهو على قولين: إما أنه يسمع سلام المُسلمين عليه ويعرفهم حيث ما كانوا أو أنه موكل بقبره ملك يبلغه عن أمته السلام.

الدليل السابع: روى الطبراني عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ: (إذا أضل أحدكم شيئاً وهو بأرض فلاة ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أعينوني فإن لله عباداً لا يراهم).

وروي عن ابن مسعود ﷺ موقوفا. قال النووي رحمه الله تعالى قد جُرب فصح.

وذكر ابن مفلح عن عبد الله ابن الإمام أحمد أنه ضل في طريق الحج فنادى: يا عباد الله دُلّونا على الطريق فوقع على الطريق.

فهب أن عباد الله المدعوين حاضرون ـ كما قال ـ ولكن لما لم يرهم الداعي لهم كيف يهتدي الداعي إلى الطريق أو يحصل له مقصوده في مثل الهداية إلى الطريق وهو لم يرهم وكيف حصلت له الهداية بمجرد هذا الكلام لولا أنهم وسيلة والله الفعال؟!

فكذلك خطاب النبي ﷺ أقل مراتبه أن يكون كالجن أو رجال الغيب مع أنه ﷺ أفضلهم وأقربهم إلى الله وسيلة عند ربه تعالى.

Scanned by CamScanner

الدليل الثامن: روىٰ البيهقي وابن أبي شيبة عن مالك الدار ﷺ وكان خازن عمر ﷺ قال أصاب المدينة قحط في زمن عمر بن الخطاب ﷺ فجاء رجل إلىٰ قبر النبي ﷺ فشكىٰ له فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا.فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: (ائت عمر وأقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون...) الحديث.

وقد ذكر هذا الحديث تقي الدين ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ونقله النجدي في رسالته عنه وأقره ولم ينكره.

قال: وما روي أن رجلاً جاء إلىٰ قبر النبي ﷺ فشكىٰ إليه الجدب عام الرمادة فأمره ﷺ أن يأتي عمر ﷺ... الحديث.

قال: فهذا حق ومثل هذا وقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ ولكن عليك أن تعلم هؤلاء السائلين الملحين لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم كما أن السائلين له في الحياة كانوا كذلك انتهىٰ.

ولا يخفىٰ أن هذه المسألة والسؤال والشكوىٰ للنبي ﷺ وقعا في زمن الصحابة وخير القرون فلو كان ذلك ممنوعاً لم يفعله الصحابي الذي هو أعلم بالدين من سائر علماء المسلمين ولم ينكر مع وجود الصحابة الكرام فعلم أن هذا أمر معلوم عندهم جوازه واستحبابه وإلا لنقل عن واحد إنكاره.

الدليل التاسع: ذكر ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن والإمام هبة الله في توثيق عُرىٰ الإيمان عن العُتبي التابعي الجليل: أن أعرابياً جاء إلىٰ قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله وفي رواية ذكرها الطبري أنه قال: ويا خير الرسل سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

Scanned by CamScanner

وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشد:

يا خير من دُفنت في القاع أعظُمه .....إلخ

قال العُتبي: فحملتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في النوم وقال: (يا عُتبي الحق الأعرابي فبشرهُ بأن الله غفر له).

فتلقى هذا الأثر علماء الأمة كلهم بالقبول وذكره أئمة المذاهب الأربعة في المناسك مستحسنين وفيه نداء النبي ﷺ وطلب الشفاعة منه في الدنيا.

وسيأتي نقل نصوص العلماء سيما من الحنابلة لهذا الأثر.

قال ابن تيمية عند ذكره هذا الأثر: ولقد استحب طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد مثل ذلك واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي بل قضاء حاجة الأعرابي وأمثالها لها أسباب بسطت في غير هذا الموضع.

وليس كل من قضيت له حاجته بسبب يقتضي أن يكون مشروعا وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحاً ولا يكون عالماً أنه منهي عنه فيثاب على حُسن قصده فيعفى عنه لعدم علمه ثم الفاعل قد يكون متأولا أو مخطئاً أو مجتهداً أو مقلداً فيغفر له خطأه ويثاب على ما فعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع كالمجتهد المخطئ وقد بُسط هذا في غير هذا الموضع ذكر ذلك في اقتضاء الصراط المستقيم وفي بعض الفتاوى وذكره ابن عبد الهادي تلميذه عنه في الصارم المنكي في الرد على السبكي.

فلو فرضنا أن صاحب البردة لم يتبع هذه الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة في طلبه منه ﷺ في الدنيا والآخرة وقلنا بقول الشيخ ابن تيمية أنه منهي عنه أو ليس مستحباً كما قال في اقتضاء الصراط أليس ابن تيمية أعذر المتأول والمخطئ والمجتهد والمقلد وقال إنه يغفر له ويثاب

Scanned by CamScanner

على فعله. فلنجعل هذا الرجل من هذا القبيل فكيف يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر يكفر رجلاً أقدم من ابن تيمية بل تلاميذه من شيوخه ومعاصريه كأبي حيان النحوي والعز بن جماعة وغيرهما فقبح الله الجهل أين يصل بصاحبه.

الدليل العاشر: ذكر القسطلاني في المواهب اللدنية والسمهودي في الوفا قال روى أبو سعيد السمعاني عن علي كرم الله وجهه أن أعرابياً قدم علينا بعد ما دفن رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل إليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر: (غُفر لك).

أقول: ويعضد هذا الأثر الأثر المتقدم الذي تلقاه الأئمة بالقبول حتى الشيخ ابن تيمية مع أنه تشدد في ذلك كما ترى.

الدليل الحادي عشر: ذكر القاضي عياض في الشفا بسنده الحسن أن الإمام مالك بن أنس تناظر مع أبي جعفر المنصور فقال الإمام مالك: يا أمير المؤمنين إن الله أدب أقواماً فقال ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

ومدح قوماً فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣].

وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة فأدعو أم استقبل رسول الله ﷺ؟ فقال مالك رحمه الله تعالى ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم؟! بل استقبله وتشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ

Scanned by CamScanner

تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] الآية.

ونقل هذا الأثر السبكي في شفاء السقام والقسطلاني في المواهب اللدنية والسمهودي في الوفا وخلاصة الوفا وابن حجر في الجوهر المنظم وغيرهم.

الدليل الثاني عشر: ذكر ابن الجوزي في كتابه الوفا في فضائل المصطفىٰ ﷺ بسنده إلىٰ أبي بكر المقرئ والطبراني وأبي الشيخ قالوا: كنا في حرم رسول الله ﷺ وكنا في حالة قد أثر فينا الجوع فواصلنا ذلك اليوم.

فلما كان وقت العشاء حضرتُ قبر النبي ﷺ وقلت: يا رسول الله الجوع الجوع وانصرفت.

قال أبو بكر: فنَمت وأبو الشيخ والطبراني جالس ينظر في شيء فحضر بالباب علوي فدق الباب ففتحنا له فإذا معه غلامان مع كل غلام زنبيل فيه شيء كثير فجلسنا فأكلنا فولىٰ وترك الباقي عندنا.

فلما فرغنا من الطعام قال العلوي: يا قوم شكوتم إلىٰ رسول الله ﷺ؟ فإني رأيته في المنام فأمرني بحمل شيء إليكم. انتهىٰ.

وذكر هذا الأثر جماعة من المحدثين وذكر مثله تقي الدين في اقتضاء الصراط المستقيم.

قال: وكذلك ما حكي أن بعض المجاورين في المدينة أتىٰ إلىٰ قبر النبي ﷺ فاشتهىٰ نوعاً من الأطعمة فجاء بعض الهاشميين إليه فقال إن النبي ﷺ بعث إليك ذلك النوع من الأطعمة ويقول لك رسول الله ﷺ أخرج من عنده لا تشتهي مثل ذلك.

وآخرون قضيت لهم حوائجهم ولم يقل لهم مثل هذا لاجتهادهم أو تقليدهم أو قصورهم في العلم فإنه يغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره انتهىٰ.

Scanned by CamScanner

الدليل الثالث عشر: ذكر ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة بسنده إلى أبي الخير التيناتي قال: دخلت مدينة رسول الله ﷺ وأنا بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً فتقدمت إلى القبر الشريف وسلمت على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله وتنحيت فنمت خلف المنبر فرأيت في المنام النبي ﷺ وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلياً بن أبي طالب بين يديه فحركني علي ﷺ وقال قم لقد جاء رسول الله ﷺ فقمت فقبلت بين عينيه فدفع إلي رغيفاً فأكلت بعضه فانتبهت فإذا النصف الآخر بيدي. انتهى.

الدليل الرابع عشر: ذكر ابن تيمية في الكلم الطيب والحافظ ابن أبي جمرة في شرح مختصر البخاري عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما: أن أحدهما خدرت رجله فقيل له: أذكر أحب الناس إليك فقال: يا محمد فذهب الخدر عن رجله.

فهذا يدل على أن نداء أحب الناس إلى الإنسان جائزٌ ولو لم يكن نداء الرسول ﷺ جائزاً وأنه مُذهِبٌ لهذه العلة فكيف نادى رسول الله ﷺ؟!.

فلو كان نداء الغائب والميت ممنوعاً لكان هذان الصحابيان الجليلان أحق بالمنع من ذلك! ولهذا ذكر هذا الأثر ابن تيمية وابن القيم وغيرهما في الأذكار التي يسن استعمالها.

وذكر ابن الأثير في تاريخه الذي ذكر أنه اختصره من تاريخ ابن جرير السني: أن الصحابة الكرام ﷺ كان شعارهم في الحرب: يا محمد وذكر مثله الواقدي في كتابه فتوح الشام.

وذكر السيوطي في شرح الصدور عن ابن الجوزي بسنده إلى بعض التابعين: أنهم لما أمرهم الكفار وراودوهم على الكفر امتنعوا غلوا لهم زيتاً في قدر فألقوهم فيه فنادوا يا محمداه.

Scanned by CamScanner

ولا شك أن هذا النداء في هذه المواضع المهلكة ما هو إلا توسل به ﷺ وطلب لشفاعته ﷺ وإلا فلا معنىٰ لندائه.

وفي ترجمة سعيد بن عامر بن حذيم الصحابي ﷺ قال: شهدت مصرع خبيب وقد بَضعت قريش لحمه ثم حملوه علىٰ جذعة ثم نادىٰ يا محمد فما ذكرت ذلك وتركي نصرته وأنا مشرك إلا ظننت أن الله لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك الغنظة إلىٰ آخر الأثر.

فهذا يدل علىٰ أن نداء النبي ﷺ في الشدائد أمر معهود لأن خُبيباً ﷺ فعل ذلك في مكة والنبي ﷺ في المدينة حينئذ. والله أعلم.

وأما الألفاظ التي صدرت في زمانه ﷺ مما فيها حصر الشفاعة به وأمثاله ذلك مما هو مثل قول البوصيري:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

فكثيرة جداً منها ما ذكر القسطلاني في المواهب اللدنية في باب الاستسقاء عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أتيناك وما لنا صبيٌّ يغط وبعير يئط وأنشد:

أتيناك والعذراء يدمىٰ لبانها وقد شُغلت أم الصبي عن الطفل

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلىٰ الرسل

فقام رسول الله ﷺ يجر رداه ورفع يديه إلىٰ السماء ثم قال: (اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً غدقاً طبقاً نافعاً غير ضار عاجلاً) قال ﷺ: فما رد ﷺ يديه إلىٰ نحره حتىٰ ألقت السماء بأبراقها وجاء أهل البطانة يضجون الغرق الغرق. فقال رسول الله ﷺ: (حوالينا ولا علينا) فانجاب السحاب عن المدينة حتىٰ أحدق بها كالإكليل وضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدت نواجذه ثم قال: (لله در أبي طالب لو كان لقرت عيناه من يُنشدنا قوله؟) فقال علي ﷺ: يا رسول الله كأنك تعني قوله:

Scanned by CamScanner

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه ثِمالُ اليتامىٰ عصمة للأرامل
يُطيفُ به الهُلاَّك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

فقال ﷺ (أجل) رواه البيهقي.

قال القسطلاني رحمه الله تعالىٰ والثِمال - بكسر الثاء - اللجاء والغياث في الشدة وعصمة للأرامل يمنعهم عن الضياع والحاجة والأرامل: المساكين من رجال ونساء زاد الزرقاني في المواهب قاله بن السكيت.

وروىٰ ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سواد بن قارب الصحابي رضي الله عنه وقوله في رسول الله ﷺ:

وكُن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بِمغنٍ فتيلاً عن سواد بن قارب

ونقل ذلك جميع أهل السير في معجزاته ﷺ لأن الجن أمروا سواداً بالإسلام به ﷺ فأتاه وأسلم وأنشد النبي ﷺ أبياتا هذا البيت منها ومنها:

وأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون علىٰ كل غائب
وأنك أدنىٰ المرسلين وسيلة إلىٰ الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فلم ينكر النبي ﷺ طلب الشفاعة منه في القيامة وجعله وسيلة وأنه مأمون علىٰ كل غائب.

وعن ابن عساكر من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أن امرأة من قريش عارضت سعد بن عبادة فأنشدت النبي ﷺ:

يا نبي الهدىٰ إليك لجائي لقريش ولات حين لَجَاءِ
حين ضاقت عليهم سعة الأرض وعاداهم إلهُ السماء
إنَّ سعداً يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء

Scanned by CamScanner

فلما سمع هذا الشعر ﷺ دخلته رأفة لهم ورحمة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت إلى ابنه قيس.

وذكر القسطلاني في المواهب أن عمته صفية رضي الله عنها رثته بمراثٍ منها قولها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ليبكِ عليك اليوم من كان باكيا

إلى آخر كلامها رضي الله عنها.

وذكر ابن القيم في كتابه كتاب الكبائر في السنة والبدعة في بيان بدعة الرفض قال الشيخ الحافظ السِلفي نزيل الإسكندرية بسنده إلى يحيى بن عطاف المعدل حكى عن شيخ دمشقي جاور بالحجاز سنين قال: كنت بالمدينة المنورة في سنة مجدبة فخرجت يوماً إلى السوق لأشتري دقيقاً برباعي فأخذ الدقاق الرُّباعي وقال لي العن الشيخين حتى أبيعك الدقيق فامتنعت من ذلك فراجعني مرات وهو يضحك فضجرتُ منه وقلت: لعن الله من يلعنهما قال: فلطم عيني فسالت على خدي فذهبت إلى صاحب لي فأخبرته فرجعت إلى المسجد فجئت الحجرة فقلت: السلام عليك يا رسول الله قد جئناك مظلومين فخذ بثأرنا ثم رجعنا فلما جن الليل نمت فلما استيقظت وجدت عيني صحيحة أحسن ما كانت إلى آخر ما قال.

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في هذين الكتابين عن كمال الدين ابن العديم في تاريخ حلب قال: أخبرني أبو العباس أحمد بن عبدالواحد عن شيخ من الصالحين يعرف بعمر بن الرعيني قال: كنت مقيماً بمدينة الرسول ﷺ فخرجت بعض السنين في يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإمامية لقراءة المصرع في قبة العباس فوقفت على باب القبة فقلت: أريد شيئا في محبة أبي بكر قال: فخرج إلي واحد منهم وقال: اجلس حتى أفرغ قال: فلما خرج أخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأنا أظن أنه يريد أن يعطيني

Scanned by CamScanner

شيئا فقال: أدخل فدخلت فسلط علي عبدين فكتفاني وأوجعاني ضرباً ثم أمرهما فقطعا لساني ثم قال: اخرج إلى الذي طلبت لأجله ليرد عليك لسانك قال: فخرج من عنده مقطوع اللسان فجاء وهو يستغيث من الوجع إلى حجرة النبي ﷺ وجعل يقول: يا رسول الله قُطع لساني في محبة صاحبك فإن كان صاحبك حقاً فأحب أن ترجع علي لساني وبات يستغيث بقلبه قال: فأخذتني سِنة من النوم فاستيقظ فوجد لسانه في فيه صحيحاً كما كان وأن الذي قطع لسانه من الرافضة انقلب قرداً.

وفي السنة الثانية ذهب إلى ذلك المكان فوجد ابنه فأسلم هو وأهله وولده وتابوا من الرفض.

ففي هذين النقلين لابن القيم عن أكابر المحدثين وإقرارهما ورضاه بهما ولم يتعرض لهما باعتراض بل ذكرهما في مقام الافتخار بالاستغاثة بسيد المرسلين وأن شفاعته ﷺ ثابتة.

وكفى بنقل هذا العالم الذي هو معلوم تشديده في مثل هذه الأمور مع أن في هذين النقلين النداء له ﷺ والسؤال منه ما هو عظيم خارق للعادة انتهى المراد نقله من كلام الشيخ داوود بن سليمان النقشبندي.

١٥٥- فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

شرح البيت رقم ١٥٥:

(فإن من جودك) هذا البيت تعليل للبيت قبله ومن في الموضعين تبعيضية. والجود: إفاضة ما ينبغي لا لعوض ولا لغرض. وضرة المرأة: امرأة زوجها. وضرة الدنيا: الآخرة. والمراد بالدنيا وضرتها: خير الدنيا والآخرة فمن خير الدنيا هدايته ﷺ ومن خير الآخرة شفاعته ﷺ. والعلوم: جمع علم وإنما جمع باعتبار أنواعه. والمراد بعلم اللوح والقلم: علم ما كتبه القلم وثبت في اللوح. واللوح: جسم نوراني كتب فيه القلم بإذن الله تعالى ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. والقلم: جسم نوراني

Scanned by CamScanner

خلقه الله وأمره أن يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

وحاصل معنى البيت: لن يضيق بشفاعتي جاهك لأن خيري الدنيا والآخرة من جودك وعلمي اللوح والقلم من علمك.

ومعلوم أن البيت مشتمل على مسألتين:

الأولى: أن الدنيا والآخرة من جوده ﷺ:

أما جوده بالدنيا فمعلوم أنه كان يعطي منها عطاء من لا يخشى الفقر مع زهده فيها وعدم تعلقه بها أخرج أبو يعلى بإسناد حسنه الهيثمي في المجمع عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: (يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب) ا.هـ ولكنه آثر ﷺ أن يكون في الدنيا نبياً عبداً يأكل يوماً ويجوع يوماً والدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة كما جاءت بذلك السنة والله عز وجل لا يرضى أن تكون الدنيا كل ما أعطى لحبيبه ﷺ بل أعطاه الأخرى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

فكان هو صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود ولا يدخل أحد الجنة قبله ويشفع في أمته حتى يكونوا ثلثي أهل الجنة وأي جود أخروي يجود به البشر أعظم من جوده ﷺ بالشفاعة العظمى في وقت يحجم فيه الأنبياء والرسل ويقول كل واحد منهم: نفسي نفسي. ويقول سيد الخلق: أنا لها أنا لها فيخر ساجداً بين يدي ربه، ثم يقول له ربه: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فيشفع في بدء الحساب فينتفع الناس جميعاً بشفاعته فأي جود يريده الناس بعد ذلك بل إن رتبة الجود لتنزل عن هذا المقام العظيم.

والمسألة الثانية: سعة علمه ﷺ حتى أن من علومه ـ عليه الصلاة والسلام ـ علم اللوح والقلم:

وهنا تقوم قيامة بعض الناس وتضيق أفهامهم وتتحرج صدورهم ظناً منهم أن في ذلك تسوية بين علم الله عز وجل وعلم نبيه وهذا كفر

Scanned by CamScanner

ويا له من فهم سيء ذلك الفهم يدل على جهل صاحبه بعلم التوحيد فإنه من المقرر عند علماء العقائد أن الله عز وجل متصف بصفة العلم وهي صفة وجودية قائمة بذات الله عز وجل تتعلق بالشيء على وجه الإحاطة على ما هو به دون سبق خفاء كذا عرفه الكمال ابن الهمام رحمه الله.

ومعلوم أن صفات الكمال لله عز وجل لا تتناهى فله عز وجل الكمال المطلق والله أحاط بكل شيء علما ولا يحيطون بشيء من علمه فعلمه سبحانه المتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات لا يوصف ببداية ولا ينعت بنهاية ولا تحده غاية سبحان الله عما يصفون ويتوهمون.

ومنشأ خطأ المعترض هو تصوره أن علم الله تعالى محدود باللوح والقلم أو الدنيا والآخرة ولا أدري كيف يتصور عاقل فطن فضلاً عن عالم أن اللوح والقلم وهما مخلوقان من خلق الله يستوعبان علم الله تعالى فيحصر بهذا التصور العلم الإلهي فيهما ثم يقول إذا علم محمد بما في اللوح والقلم استوى علمه وعلم الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ألم يقرأ المعترض قصة الخضر وموسى عليهما السلام وفيها كما في البخاري «فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعُرف الخضر فحملوهما بغير نول فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر...» الحديث.

قال المحقق الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد وقع في رواية ابن جريج بلفظ أحسن سياقا «ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر». ا.هـ.

وهذا من باب إيضاح المعنى بالمثال وإلا فعلم الله لا يحد كما يحد البحر مهما عظم واتسع قال عز وجل ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

Scanned by CamScanner

وبهذا يتضح لك عوار كلام المعترض وبطلانه ولا يجوز أبداً أن يحصر علم الله اللامتناهي في اللوح والقلم وما فيهما متناهٍ وهذا تشبيه للخالق بالمخلوق تعالى الله عن ذلك قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

فعلم النبي ﷺ بما في اللوح والقلم لا يعني أبداً تسوية علم النبي بعلم الله فعلم النبي مستمد من الله وعلم الله لا يستمد من شيء علم النبي مسبوق بخفاء وعلم الله لا يسبق بخفاء علم النبي متناهٍ وعلم الله غير متناهٍ وما المانع من أن يطلع الله عز وجل من شاء من خلقه على ما يشاء من العلوم وما المانع لو اطلع الله نبيه على ما في اللوح والقلم قال الله مخاطباً لنبيه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣].

وقال تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧]

وقال عز وجل ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٧٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيطلع رسله على غيبه. وإن محمدا ﷺ أفضلهم.

أما قوله تعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

فالمراد بالغيب في الآية الاستقلال أو الإحاطة بكل شيء فهذا خاص بالله عز وجل أما الغيب الذي لا يكون بهاتين الصفتين فيجوز أن يكون لغيره تعالى لأن الله تعالى أثبت ذلك لرسله وبعض غيرهم من خلّص عباده لا استقلالا فإن هذا كفر بل بطريق اطلاعه لهم وتعليمه إياهم كما دلت عليه الآيات السابقة ودل عليه قوله تعالى مخاطباً لنبيه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

Scanned by CamScanner

ولا شك أن شريعة نبينا محمد ﷺ لا سيما القرآن المنزل عليه وما فيه من العلوم وما آتاه الله من الوحي قال تعالىٰ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وما اطلع الله نبيه عليه من المغيبات كل هذا من علم اللوح.

والبوصيري أثبت للنبي ﷺ علم اللوح والقلم ومراده بتعليم الله له لا استقلالا ولله أن يطلع من يشاء علىٰ ما شاء وتأمل في قوله تعالىٰ في قصة الخضر ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

قال البيضاوي رحمه الله: أي علم الغيب أي بدليل المسائل التي فعلها الخضر من خرقه السفينة وقتله النفس الزكية وإقامة الجدار وكل هذه الأمور مغيبات.

فما المانع أن يكون من علوم رسول الله علم اللوح والقلم بإطلاع الله له عليه. وما في اللوح والقلم متناهٍ ويجوز إحاطة المتناهي بالمتناهي.

وقد ورد في أحاديث «الصحيحين» إخبار النبي ﷺ عن المغيبات.

وذكر البغوي رحمه الله تعالىٰ وغيره في تفسير قوله تعالىٰ ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

أن سبب نزول هذه الآية: أن ناقة للنبي ﷺ ضلت في بعض أسفاره فقال بعض المنافقين: إن محمداً يزعُمُ أنه سيُفتح لأمته من بعده قصور كسرىٰ وقيصر وهو لا يدري أين ناقته.

فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال (إنها في مكان كذا بأرض كذا قد تشكل خِطامها بشجرة).

فذهبوا فوجدوها كما قال ﷺ ثم غضب ﷺ علىٰ المنافقين فقال: (ما بال أقوام يطعنون في علمي فوالذي نفسي بيده لا تسألوني في مقامي هذا عن شيء إلا أخبرتكم به).

Scanned by CamScanner

فقام رجل كان يدعىٰ إلىٰ غير أبيه فقال: يا رسول الله من أبي؟ فقال ﷺ: (أبوك حُذافة) وقام رجل فقال: يا رسول الله أين أبي؟ فقال ﷺ: (في النار).

فجثىٰ عمر ﷺ علىٰ ركبتيه فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً يا رسول الله اعف عنا فسكن غضبه أو كما قال.

فقوله ﷺ: (ما بال أقوام يطعنون في علمي) يعني: في علم الغيب الذي أطلعني الله عليه لأن الكلام فيه لا في غيره. ويدل عليه: أن الرجلين إنما سألا عن أمر مُغيب.

وفي الأحاديث الصحيحة كحديث البخاري وغيره من حديث حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ أخبرنا عن كل ما يقع إلىٰ يوم القيامة حتىٰ أُدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار حتىٰ إنا لنرىٰ الطائر يُقلب جناحيه فنذكر منه علماً.

والأحاديث الواردة في سعة علمه ﷺ بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره منها ما في صحيح البخاري عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر ﷺ يقول: (قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتىٰ دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه).

وعن أنس ﷺ قالوا سألوا النبي ﷺ حتىٰ احفوه فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر فقال: (لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم) فجعلت انظر يمينا وشمالا فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي... الحديث.

وفي صحيح مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوىٰ لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوىٰ لي منها) الحديث.

Scanned by CamScanner

وعن حذيفة ﷺ أنه قال: (أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى يوم أن تقوم الساعة فما منه شيء إلا قد سألته إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة).

وعن أبي زيد قال: (صلى بنا رسول الله الفجر وصعد المنبر حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: (جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال: فصعد الذئب على تل فأقعى وقال: قد عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته أي انتزعته مني. فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلم.

فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم...) الحديث ذكره البغوي في شرح السنة.

وفي المواهب أخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه).

وفي الخصائص للسيوطي أخرج الطبراني عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: (عرضت على أمتي البارحة لدى هذه الحجرة أولها وآخرها) فقال: يا رسول الله عرض عليك من خلق فكيف من لم يخلق؟ فقال: (صوروا لي في الطين حتى إني لأعرف الإنسان منهم من أحدكم بصاحبه).

والأحاديث في هذا كثيرة وقد ذكر طرفاً منها القاضي عياض في «الشفا».

فظهر أن من طعن في علمه ﷺ بالمغيبات فهو منافق.

Scanned by CamScanner

وقال صاحب «الإقناع» في المتن في «باب النكاح» في عد خصائصه ﷺ وكراماته ما نصه: وعُرض عليه الخلق كلهم من آدم إلى من بعده كما عُلّم آدم أسماء كل شيء.

قال شارحه البهوتي رحمه الله تعالى لحديث الديلمي «مُثلت لي الدنيا بالماء والطين وعلمت الأشياء كلها كما علم آدم الأسماء كلها» وعُرض عليه أمته بأسرها حتى رآهم لحديث الطبراني: (إني عُرض عليَّ أمتي البارحة لدى هذه الحجرة أولها وآخرها صوروا لي بالماء والطين حتى إني لأعرف بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه).

وعُرض عليه ما هو كائن في أمته حتى تقوم الساعة لحديث أحمد وغيره: «رأيت ما تلقى أمتي بعدي وسفك بعضهم دماء بعض». انتهى.

فإذا تحقق هذا تبين أن قول هذا المعترض جهل صِرف وصَرف للأشياء عن حقائقها بغير عُرف.

وهذا الذي قررناه بناء على أن الله يُطلع أنبياءه وبعض أتباعهم على الغيب غير الخمس.

قال الشيخ ابن القيم في مدارج السالكين: ولقد شاهدت من فراسة الشيخ ابن تيمية رحمه الله أموراً عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم. ووقائع فراسته تستدعي سفراً ضخماً. أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وست مئة، وأن جيوش المسلمين تكسر وأن دمشق لا يكون بها قتل عام وسبي عام، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال، وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة. ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنين وسبع مئة لما تحرك التتار وقصدوا الشام أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً فيقال له: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. وسمعته يقول ذلك. قال: فلما أكثروا عليَّ قلت: لا تكثروا كتب الله في اللوح المحفوظ أنهم منهزمون هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام انتهى.

Scanned by CamScanner

فماذا يقول أتباع ابن تيمية فيه وهو يقسم بالله أن الله كتب في اللوح المحفوظ النصر أقرأ اللوح المحفوظ؟!.

والذي نقله جماعة من أهل العلم: أنه لا مانع أن الله يُعلم ويُطلع نبينا ﷺ وغيره من المقربين حتىٰ علىٰ الخمس.

فهاك نقول من اطلعنا علىٰ نقله في حال العجلة: قال النووي رحمه الله تعالىٰ في فتاويه:

مسألة: ما معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

وقول النبي ﷺ (لا يعلم ما في غد إلا الله) وأشباه هذا من القرآن والحديث مع أنه وقع علم ما في غد في معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكرامات الأولياء ﷺ؟

الجواب: معناه: لا يعلم ذلك استقلالاً. انتهىٰ يعني: بتعليم الله لغيره جائز لأنه لا يكون استقلالاً حينئذ.

وقال الشيخ علي القاري الحنفي رحمه الله تعالىٰ في «شرح المشكاة»: «فإن قلت: ما التوفيق بين الآية يعني قوله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية، وبين ما اشتهر عن العُرفاء من الأخبار الغيبية كما قال الشيخ الكبير أبو عبد الله في «معتقده»: ونعتقد أن العبد يُنقل في الأحوال حتىٰ يصير إلىٰ نعت الروحانية فيعلم الغيب وتُطوىٰ له الأرض ويمشي علىٰ الماء ويغيبُ عن الأبصار»؟

فالجواب: أن للغيب مبادئ ولواحق فمبادئه لا يطلع عليه ملك مُقرب ولا نبيٌ مرسل أما اللواحق فهو ما أظهره علىٰ بعض أحبائه لوحة علمه وخرج ذلك عن الغيب المطلق وصار غيباً إضافياً وذلك إذا تنور الروح القدسية وازداد نوريتها وإشراقها بالإعراض عن ظلمة عالم الحس وتحلية مرآة القلب عن صدأ الطبيعة والمواظبة علىٰ العلم والعمل

Scanned by CamScanner

وفيضان الأنوار الإلهية حتىٰ يقوىٰ النور وينبسط في فضاء قلبه فتنعكس فيه النقوش المرتسمة في اللوح المحفوظ ويطلع علىٰ المغيبات ويتصرف في أجسام العالم السفلي بل يتجلىٰ حينئذ الفيَّاض الأقدس بمعرفته التي هي أشرف العطايا فكيف بغيرها» انتهىٰ.

وقال في الشرح المذكور في قوله ﷺ (مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا الله) أي: لا يعلم تفصيله إلا هو ولا يُعلم مُجمله بحسب خرق العادة إلا من قِبل الله تعالىٰ.

وقال رحمه الله تعالىٰ في شرح قوله ﷺ (في خمس لا يعلمهن إلا الله) فإن قلت: قد أخبر الأنبياء والأولياء بكثير من ذلك فكيف الحصر؟

قلت: الحصر باعتبار كلياتها دون جزئياتها قال تعالىٰ ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]. إلىٰ آخر كلامه رحمه الله تعالىٰ.

قال المناوي رحمه الله تعالىٰ في شرح الجامع الصغير و الكبير في تفسير قوله ﷺ (مفاتيح الغيب خمس) وأما قوله تعالىٰ ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ففسر بأنه لا يعلمها أحد بذاته ومن ذاته إلا هو وقد تُعلم بإعلام الله تعالىٰ فإن ثمة من يَعلمها.

وقد وجدنا ذلك لغير واحد كما رأينا جماعة علموا متىٰ يموتون وعلموا ما في الأرحام حال حمل المرأة بل وقبله.

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ في «الشفا»: ومن ذلك ـ أي من خصائصه ﷺ وكراماته الباهرة ـ ما اطلع عليه من المغيبات مما كان ويكون والأحاديث في هذا الباب لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزات من جملة معجزاته المعلومة علىٰ القطع الواصل إلينا خبرها علىٰ التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها علىٰ الاطلاع علىٰ الغيب ثم ذكر جملة من الأحاديث الصحيحة.

Scanned by CamScanner

قال الشهاب الخفاجي في «شرحه»: وهذا لا ينافي الآيات الدالة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله فإن المنفي علمه من غير واسطة وأما اطلاعه عليه بإعلام الله له فأمر متحقق لقوله تعالى ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧]. انتهى.

وقال الحافظ الحُجة ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى في «شرح مختصر البخاري»: في قوله ﷺ (ما من شيء لم أكن أُريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار فأوحي إلي أنكم تُفتنون في قبوركم).

قال رحمه الله تعالى الوجه الثالث: قوله عليه الصلاة والسلام: (ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا) فيه دليل على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن يرى من الغيب جميعه في الزمان المتقدم على هذا الموطن إلا البعض وأنه في هذا الموطن تكملت له الرؤية لتلك الأشياء كلها.

ثم قال: وهل المراد جميع الغيوب أو المراد به ما يحتاج به الإخبار إلى أمته وما يخصه عليه الصلاة والسلام في ذاته المكرمة؟

والجواب: إن هذا الحديث مُحتمل للوجهين معاً والظاهر منهما الوجه الأخير.

وقال العلامة الأجهوري رحمه الله تعالى في «شرح مختصر البخاري» قوله ﷺ (ما من شيء لم أكن أريته...) إلى آخره يُفيد أنه علم الخمس التي استأثر الله بعلمها وإن فُسرت الرؤية في الحديث بالعلمية وانظر هل علم نزول الغيث وما بعده مختص بزمنه ﷺ أو به وبما بعده إلى يوم القيامة انتهى.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] إلخ.. وأما الباقيات ـ يعني غير الساعة ـ فيعلمها ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] ملك الأمطار وملك الأرواح وملك الموت.

Scanned by CamScanner

فإن قلت: جاء في الحديث (في خمس لا يعلمهن إلا الله) وفسرها بما في الآية!

قلت: القصر إضافي لا حقيقي والمراد: نفيُ علم من يدعيه من المُنجمين والأطباء. انتهىٰ.

وذكر ابن رجب في «شرح الأربعين النووية»: أن الملك الموكل بالرحم يقول: أي رب مُخلقة أو غير مخلقة؟وإن كانت مخلقة قال ذكر أم أنثىٰ؟ شقي أم سعيد؟ ما الأجل ما الأثر؟ وبأي أرض تموت؟ فيقال: اذهب إلىٰ الكتاب فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة انتهىٰ.

فهذا يدل علىٰ أن الله يُطلع بعض خلقه علىٰ شيء من الخمس وهو الملك والنبي أولىٰ لأنه منصوص عليه في قوله تعالىٰ ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧].

وقد قال تعالىٰ في حق عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال تعالىٰ في حق يوسف عليه السلام ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٣٧].

وغير ذلك من الآيات والأحاديث وكان الواجب علىٰ من لم يطلع أن يسأل أهل الذكر ولا يعترض علىٰ أهل العلم. والله أعلم.

وقال العلامة المدابغي رحمه الله تعالىٰ في «حاشيته» علىٰ «شرح الأربعين» لابن حجر: والحق كما قال جمع إن الله لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتىٰ أطلعه علىٰ كل ما أبهمه عنه إلا أنه أمره بكتم بعض وإعلام ببعض. انتهىٰ.

Scanned by CamScanner

وقال السبكي رحمه الله تعالىٰ في «معيد النعم»: ومن حقهم ـ يعني الأولياء ـ الوقوف في إظهار ما يطلعهم الله عليه من المغيبات ويخصهم به من الكرامات علىٰ الإذن وهم لا يُجيزون إظهارها بلا فائدة ولا يظهرونها إلا عن إذن لفائدة دينية كما قال أبو بكر الصديق لعائشة رضي الله عنهما: إنما هو أخواك وأختاك فاقتسموه علىٰ كتاب الله.

قالت عائشة رضي الله عنها: إنما هي أسماء فمن الأخرىٰ؟ فقال أبو بكر ﷺ: ذوو بطن بنت خارجة أراها جارية.

فقد أخبر أن ما في بطن زوجته أنثىٰ وهي من جملة ما في الأرحام التي لم يطلع عليه إلا الله ولكن الله أطلعه عليه إذ ذاك فعلمه من علم الله تعالىٰ.

وذكر ابن تيمية في «الفرقان» معنىٰ قول سيدنا عمر ﷺ: اقتربوا من أفواه المطيعين فإنهم تنجلي لهم أمور صادقة ـ يعني: علم المكاشفة ـ.

وقال في مكان آخر من «الفرقان»: وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم كالمكاشفات ومنها من جنس القدرة والملك كالتصرفات الخارقة للعادة وجميع ما يعطيه الله لعبده من هذه الأمور وغيرها إن استعان بها علىٰ ما يُحبه الله ويرضاه ويقربه إليه ويأمر الله به ورسوله ازداد بذلك رفعة وقُرباً إلىٰ الله تعالىٰ وعلت درجته. وإن استعان به علىٰ ما نهىٰ الله ورسوله كالشرك والظلم والفواحش استحق بذلك الذم والعقاب فإن لم يتداركه الله بتوبة حسنة أو حسنات ماحية وإلا كان كأمثاله من المذنبين انتهىٰ.

وذكر ابن القيم في كتابه «الروح» أحاديث صحيحة وآثاراً علىٰ عِلم أهل القبور بأحوال أهل الدنيا من الأمور التي لا يعلمها إلا الله من أمور واقعة وأمور ستقع.

وقد وقع من هذا كثير للصحابة ومن بعدهم وتكلم ابن القيم علىٰ تأييد هذه المسألة.

Scanned by CamScanner

أقول: وقد أخذ جمع من العلماء أن قول النبي ﷺ لجبريل عليه السلام في علم الساعة: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) يعني: أنا وأنت في العلم سواء لأنه نفي أفعل التفضيل الدال على الزيادة.

فمعناه: ما أنا أعلم منك بل كما تعلمها أنت أنا أعلمها.

وقد ثبت في «البخاري» وغيره أنه ﷺ أشار إلى مصارع صناديد قريش كل منهم صُرع في ذلك المكان ما تعداه فقد علم أن هذه الأنفس بأي أرض تموت وهي من الخمس.

وأخبر ﷺ عن أشياء تقع بعده إلى يوم القيامة فوقعت كما أخبر وهذا مما لا تدري نفسٌ ماذا تكسب غدا.

وأخبر ﷺ بعد موته بنزول الغيث كما في الحديث الذي ذكره الشيخ ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» حين شكى الصحابي فأتى إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: (ائت عمر وأخبره أنهم مسقون) فكان كما أخبر.

ورفع هذا الإشكال والتوفيق بين الآيات والأحاديث الصحيحة بهذا التقرير متعين وإلا يلزم منه التناقض والخلف في الأخبار الصادقة وبالله التوفيق.

فإن قيل إذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه ﷺ فما البعض الآخر أجيب بأن البعض الأخر هو ما أخبر الله عنه من أحوال الآخرة لأن القلم إنما كتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة فقط كما جاءت بذلك الأحاديث وقال الشيخ إسماعيل حقي في روح البيان: قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة في الرسالة الرحمانية في بيان الكلمة الفرقانية علم الأولياء من علم الأنبياء بمنزلة قطرة من سبعة أبحر وعلم الأنبياء من علم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة. ا.هـ.

Scanned by CamScanner

١٥٦- يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت إن الكبائر في الغفران كاللمم

شرح البيت رقم ١٥٦:

يا نفس: بكسر السين منادىٰ مضاف إلىٰ ياء المتكلم المحذوفة المكتفي عنها بالكسرة وإن قرئ بضم السين كان النداء لكل نفس يقصد إليها.

ولا تقنطي: لا تيأسي. والزلة: الذنب الشامل للصغيرة والكبيرة. وعظمت: كبرت وهو صفة للزلة. والكبائر: جمع كبيرة. والغفران: المغفرة. واللمم: بفتحتين مقاربة الذنب من غير مواقعه أو هو الصغائر.

وحاصل معنىٰ البيت: يانفس لا تيأسي من مغفرة ذنب كبير إن الكبائر كالذنوب الصغائر في جواز الغفران قال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالىٰ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

١٥٧- لعل رحمة ربي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم

شرح البيت رقم ١٥٧:

لعل: حرف ترج. وحين: ظرف زمان لتأتي. والحسب: القدر. والقسم: جمع قسمة.

وحاصل معنىٰ البيت: أرجو أن تكون رحمة ربي إذا قسمها بين العصاة علىٰ قدر العصيان فمن كان ذنبه كبيراً كان حظه من الرحمة كبيراً ومن كان ذنبه صغيراً كان حظه من الرحمة علىٰ قدر ذنبه.

Scanned by CamScanner

١٥٨- يا رب واجعل رجائي غير منعكس لديك واجعل حسابي غير منخرم

شرح البيت رقم ١٥٨:

يارب واجعل: أي حقق ظني. والرجاء: الأمل. غير منعكس: أي غير مخالف لظني بك. واجعل حسابي: ظني فيك. غير منخرم: غير منقطع أو غير ناقص.

وحاصل معنىٰ البيت: يا رب حقق ظني واجعل ما أملته فيك غير مخالف له بأن يحصل المأمول من عفوك عن ذنوبي كبائرها وصغائرها واجعل يا مولاي ويا عمدتي ويا معتمدي اجعل ما ظننته فيك غير ناقص بأن يحصل المظنون تاما كاملا وقد قلت في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي بي ما شاء) وظني فيك يا سيدي يا خالقي يا حسبي يا ثقتي يا عمدتي وعدتي ظني فيك أن تصب سجال عفوك ومغفرتك وصفحك ورحمتك علىٰ ذنوبي فلا يبقىٰ عليّ منها شيء يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين ووالدي وأشياخي وزوجي وولدي وطلابي وأحبابي وذوي الحقوق علي ومن لي حق عليه يا الله يا كريم آمين آمين آمين.

١٥٩- والطف بعبدك في الدارين إن له صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم

شرح البيت رقم ١٥٩:

وارفق بعبدك العاصي في الدنيا والآخرة لأن له صبراً لا يثبت في الشدائد فمتىٰ تطلبه الأهوال يفر صبره أمامها فينهزم فيا رب لطفك يا رب لطفك يا رب لطفك بعبدك في الدارين فأنت يا الله اللطيف الخبير.

Scanned by CamScanner

١٦٠- وأذن لسحب صلاة منك دائمة على النبي بمنهل ومنسجم
١٦١- ما رنحت عذبات البان ريح صبا وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

شرح البيتين رقمي ١٦٠/١٦١:

وائذن يا مولاي يا الله لسحب الصلوات والتسليمات الدائمات الزاكيات الناميات الطيبات المباركات على النبي ﷺ بإفاضة مطر منصب سائل بشدة ومطر سائل بغير شدة ما دامت ريح الصبا تميل أغصان البان وما دام الحادي المنشد يطرب الإبل بالنغم والألحان.

وحاصل معنى البيتين: يا مفيض الجود يا معطي الخير يا واهب النعم يا مجزل العطاء يا مانح الجود صل وسلم دائماً أبداً على حبيبك المصطفى ما بقيت الدنيا صلاة زاكية نامية وتحية طيبة مباركة تليق بكرمك يا الله وتليق بمقام حبيبك ﷺ.

إلى هنا تمت البردة وقد زاد بعضهم فيها هذه الأبيات:

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر وعن علي وعن عثمان ذي الكرم
والآل والصحب ثم التابعين فهم أهل التقى والنقا والحلم والكرم
يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم
واغفر إلهي لكل المسلمين بما يتلون في المسجد الأقصى وفي الحرم
بجاه من بيته في طيبة حرم واسمه قسم من أعظم القسم
وهذه بردة المختار قد ختمت والحمد لله في بدء وفي ختم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة فرج بها كربنا يا واسع الكرم

Scanned by CamScanner

وقد زدت فيها واستحسنه الأشياخ وأنشده المداحون بتهامة

أبياتها قد أتت ستين مع مائة فرّج بها كربنا يا واسع الكرم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة إحفظ بها شيخنا ثبت بها قدم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة انصر بها ديننا يا كاشف الغُمَم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة إجمع بها شملنا يا راحم الأمم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة أنزل بها غيثنا يا مُولي النِعم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة قوي بها عزمنا طيب بها كَلِم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة حسَّن بها ختمنا بالطاهر العَلَم

كان الفراغ من تبييضه الخميس ٢٩ ربيع الأنوار
عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف هجرية

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع	الصفحة
ترجمة الناظم رحمه الله تعالى	٧
اسمه ونسبه:	٧
أصله ومولده:	٧
أشياخه:	٨
ثناء العلماء عليه	٨
الآخذون عنه	٩
شعره	١٠
الكلام على البردة وسندي إليها	١٢
ناظمها	١٢
سبب نظمه لهذه القصيدة	١٢
اشتقاق اسمها	١٣
أسماؤها	١٣
بحرها	١٣
بركتها	١٤

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع	الصفحة
ذكر جماعة ممن سمعها أو حفظها	١٥
فائدة جليلة:	١٦
شراحها:	١٧
سندي إليها:	١٨
فائدة:	١٩
أدلة مشروعية المديح النبوي	٢٠
ومشروعية استماعه وحضور مجالسه	٢٠
المدائح النبوية:	٢٠
شرح البيت رقم ١:	٢٦
شرح البيت رقم ٢:	٢٧
شرح البيت رقم ٣:	٢٧
شرح البيت رقم ٤:	٢٨
شرح البيت رقم ٥:	٢٨

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ٦: ٢٩
شرح البيت رقم ٧: ٢٩
شرح البيت رقم ٨: ٣٠
شرح البيت رقم ٩: ٣٠
فائدة: ٣١
شرح البيت رقم ١٠: ٣١
شرح البيت رقم ١١: ٣٢
شرح البيت رقم ١٢: ٣٣
شرح البيت رقم ١٣: ٣٣
شرح البيت رقم ١٤: ٣٤
فائدة: ٣٤
شرح البيت رقم ١٥: ٣٥
شرح البيت رقم ١٦: ٣٥

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ١٧: ٣٦
شرح البيت رقم ١٨: ٣٦
شرح البيت رقم ١٩: ٣٧
شرح البيت رقم ٢٠: ٣٧
فائدة: ٣٨
شرح البيت رقم ٢١: ٣٨
شرح البيت رقم ٢٢: ٣٩
فائدة: ٣٩
شرح البيت رقم ٢٣: ٣٩
شرح البيت رقم ٢٤: ٤١
فائدة: ٤٢
فائدة: ٤٢
شرح البيت رقم ٢٥: ٤٢

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ٢٦: ٤٣
شرح البيت رقم ٢٧: ٤٤
فائدة: ٤٤
شرح البيت رقم ٢٨: ٤٤
فائدة: ٤٥
فائدة: ٤٥
شرح البيت رقم ٢٩: ٤٥
شرح البيت رقم ٣٠: ٤٦
شرح البيت رقم ٣١: ٤٧
فائدة: ٤٨
شرح البيت رقم ٣٢: ٤٨

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ٣٣: ٥٠

شرح البيت رقم ٣٤: ٥١

شرح البيت رقم ٣٥: ٥٣

فائدة: ٥٤

شرح البيت رقم ٣٦: ٥٥

شرح البيت رقم ٣٧: ٥٥

شرح البيت رقم ٣٨: ٥٧

شرح البيت رقم ٣٩: ٥٨

شرح البيتين رقم ٤٠/ ٤١: ٦٠

شرح البيتين رقم ٤٢/ ٤٣: ٦١

شرح الأبيات رقم ٤٤/ ٤٥/ ٤٦: ٦٢

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ٤٧: ٦٦
فائدة: ٦٦
شرح البيت رقم ٤٨: ٦٩
شرح البيت رقم ٤٩: ٧١
شرح البيت رقم ٥٠: ٧٢
شرح البيت رقم ٥١: ٧٣
شرح البيت رقم ٥٢: ٧٤
شرح البيتين رقمي ٥٣/ ٥٤: ٧٤
المحور الأول: في أولية سيدنا محمد ﷺ وبراهينها: ٧٤
المحور الثاني: في نورانية سيدنا محمد ﷺ وأدلتها: ٨٧
المحور الثالث: في كونه أكمل المخلوقات ومنبع الكمالات: ٩٥

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ٥٥: ٩٨

شرح البيت رقم ٥٦: ٩٩

شرح البيت رقم ٥٧: ١٠٢

شرح البيت رقم ٥٨: ١٠٢

شرح البيت رقم ٥٩: ١٠٤

شرح البيت رقم ٦٠: ١١٩

شرح الأبيات رقم ٦١ - ٦٥: ١٣٣

شرح البيت رقم ٦٦: ١٣٨

شرح البيتين رقمي ٦٧/ ٦٨: ١٤١

شرح البيتين رقمي ٦٩/ ٧٠: ١٤٣

شرح البيتين رقمي ٧١/ ٧٢: ١٤٦

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

القصة الأولى: قصة الفيل: ١٤٧
القصة الثانية: قصة رمي الحصاة: ١٤٩
القصة الثالثة: قصة تسبيح الحصى في كفه الشريف: ١٥٠
القصة الرابعة: قصة نبي الله يونس عليه السلام: ١٥١
شرح البيتين رقمي ٧٣/ ٧٤: ١٥١
شرح البيت رقم ٧٥: ١٥٤
شرح البيت رقم ٧٦: ١٥٦
المحو الأول: انشقاق القمر: ١٥٧
المحور الثاني: شق صدره الشريف ﷺ: ١٥٨
شرح البيت رقم ٧٧: ١٦٠
شرح البيت رقم ٧٨: ١٦١

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ٧٩: ١٦١

شرح البيت رقم ٨٠: ١٦٤

شرح البيت رقم ٨١: ١٦٤

شرح البيت رقم ٨٢: ١٦٥

شرح البيت رقم ٨٣: ١٦٥

شرح البيت رقم ٨٤: ١٦٦

شرح البيت رقم ٨٥: ١٦٧

فائدة: ١٦٨

شرح البيت رقم ٨٦: ١٦٨

شرح البيتين رقمي ٨٧/ ٨٨: ١٧١

شرح البيتين رقمي ٨٩/ ٩٠: ١٧٣

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ٩١: ١٧٣
فائدة: ١٧٤
شرح البيت رقم ٩٢: ١٧٥
شرح البيت رقم ٩٣: ١٧٦
شرح البيت رقم ٩٤: ١٧٦
شرح البيت رقم ٩٥: ١٧٨
شرح البيت رقم ٩٦: ١٧٨
شرح البيت رقم ٩٧: ١٨١
شرح البيتين رقمي ٩٨/ ٩٩: ١٨٢
شرح البيت رقم ١٠٠: ١٨٤
شرح البيت رقم ١٠١: ١٨٤

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ١٠٢: ١٨٥
شرح البيت رقم ١٠٣: ١٨٦
شرح البيت رقم ١٠٤: ١٨٦
شرح البيت رقم ١٠٥: ١٨٧
شرح البيت رقم ١٠٦: ١٨٧
شرح البيت رقم ١٠٧: ١٩٥
شرح البيت رقم ١٠٨: ١٩٦
شرح البيت رقم ١٠٩: ٢٠١
شرح البيت رقم ١١٠: ٢٠٣
شرح البيت رقم ١١١: ٢٠٣
شرح البيت رقم ١١٢: ٢٠٤

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ١١٣: ٢٠٤

شرح البيت رقم ١١٤: ٢٠٥

شرح البيتين رقمي ١١٥/ ١١٦: ٢٠٦

شرح البيتين رقمي ١١٧/ ١١٨: ٢٠٧

شرح البيت رقم ١١٩: ٢١١

شرح البيت رقم ١٢٠: ٢١٤

شرح البيت رقم ١٢١: ٢١٦

شرح البيت رقم ١٢٢: ٢١٧

شرح البيت رقم ١٢٣: ٢١٧

شرح البيت رقم ١٢٤: ٢١٨

شرح البيت رقم ١٢٥: ٢١٨

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيتين رقمي ١٢٦- ١٢٧: ٢١٨

شرح البيت رقم ١٢٨: ٢١٩

شرح البيت رقم ١٢٩: ٢١٩

شرح البيت رقم ١٣٠: ٢٢٠

شرح البيت رقم ١٣١: ٢٢٠

شرح البيت رقم ١٣٢: ٢٢١

شرح البيت رقم ١٣٣: ٢٢١

شرح البيت رقم ١٣٤: ٢٢٢

شرح البيت رقم ١٣٥: ٢٢٢

شرح البيت رقم ١٣٦: ٢٢٣

شرح البيت رقم ١٣٧: ٢٢٤

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ١٣٨: ٢٢٤

شرح البيت رقم ١٣٩: ٢٢٥

شرح البيت رقم ١٤٠: ٢٢٥

شرح البيت رقم ١٤١: ٢٢٦

شرح البيت رقم ١٤٢: ٢٢٧

شرح البيت رقم ١٤٣: ٢٢٧

شرح البيت رقم ١٤٤: ٢٢٧

شرح البيت رقم ١٤٥: ٢٢٨

شرح البيت رقم ١٤٦: ٢٢٨

شرح البيت رقم ١٤٧: ٢٢٩

شرح البيت رقم ١٤٨: ٢٣٠

Scanned by CamScanner

فهرس العمدة في شرح البردة

الموضوع الصفحة

شرح البيت رقم ١٤٩: ٢٣٠

شرح البيت رقم ١٥٠: ٢٣١

شرح البيت رقم ١٥١: ٢٣٢

شرح البيت رقم ١٥٢: ٢٣٣

شرح البيت رقم ١٥٣: ٢٣٤

شرح البيت رقم ١٥٤: ٢٣٥

شرح البيت رقم ١٥٥: ٢٥٣

شرح البيت رقم ١٥٦: ٢٦٧

شرح البيت رقم ١٥٧: ٢٦٧

شرح البيت رقم ١٥٨: ٢٦٨

شرح البيت رقم ١٥٩: ٢٦٨

شرح البيتين رقمي ١٦٠/ ١٦١: ٢٦٩

Scanned by CamScanner